سلسلة المعارف الإسلاميّة





بحوثٌ في



العقيدة الإسلاميّة





الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org





بحوثٌ في العقيدة الإسلاميّة



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

اسم الكتاب: بحوثٌ في العقيدة الإسلاميّة

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

تاريخ الطبع: حزيران ٢٠١١ م - رجب ١٤٣٢هـ



بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org

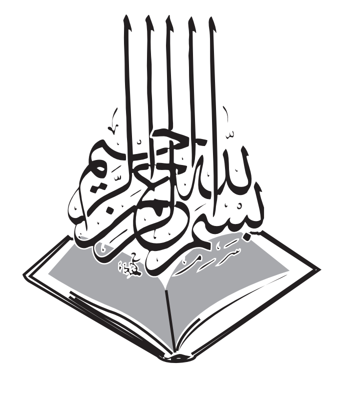
سلسلة المعارف الإسلاميّة

بحوثٌ في العقيدة الإسلاميّة

إعداد



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org





الفهرس

المقدّمة

الحمد للّه الّذي هدانا إلى التوحيد ونقّى نفوسنا من الشرك والترديد، الأوّل بلا بداية، والآخر بلا نهاية، أرسل الأنبياء عليهم السلام لما فيه مصالح العباد وجعل بحكمته وعدله الموت والمعاد. والصلاة والسلام على عبده المصطفى ورسوله المنتجب وعلى آله الأطهار.

أمّا بعد، فلا يخفى على ذي لبّ ما للمسائل العقائديّة من أهميّة قصوى لا يدانيها في أهميّتها أيّ علم آخر، لأنّها الأساس في معرفة الهدف من الوجود والنظرة إلى الكون. وبالبناء عليها تتحدّد القيم والمبادئ الّتي يجب أن يرتسم على أساسها السلوك الإنسانيّ. ويتّضح بذلك سبب اهتمام القرآن ببيان ما يرتبط بالأمور العقائديّة وكذلك النبيّ والأئمّة عليهم السلام وكذلك الحال عند العلماء قديماً وحديثا، حيث تعدّدت وتنوّعت تآليفهم في العقيدة وقد اشتركت معظمها في أدلّة موحّدة في المضمون وإن اختلفت من حيث الأسلوب والطرح.

وقد أبدع علماؤنا ببيان الأدلّة سواء العقليّة منها أم النقليّة، وذكر المتأخّرون بعض الأدلّة الّتي لم تُذكر عند غيرهم وقد جرت محاولات - موثّقة نسبيّاً- لاستحضار وابتكار أساليب طرح المسائل المعقّدة بشكل مبسّط؛ ليستفيد منه أكبر عدد ممكن من طلاب الحقيقة، وقد تمّت الاستفادة في هذا الكتاب من

أكثر من مصدر أو مؤلَّف على مستوى المضمون، وإن حافظ على خصوصيّته في التعبيـر والبيان في كثير من الأحيان، وإن كان المعتمد في ترتيبه وبعض أفكاره هو كتاب «**دروس في العقيدة الإسلاميّة**» للمحقّق الشيخ مصباح اليزدي.

وقد جهدنا قدر الإمكان في تقسيم الكتاب إلى دروس تستوعب حصّة دراسيّة كاملة، مراعين بذلك المضـمون والمسـتوى، وسـعينا لتسـهيل الأفكار الصعبة والدقيقة، دون إخلال بالعبارة والمصطلح العلميّ، لذلك لا يستغني الطالب عن أستاذ يسهّل عليه فهم بعض العبائر والمصطلحات الواردة في الدروس.

وقد كان هذا الكتاب «**بحوث في العقيدة**» خطوة ثانية بين كتابي «**دروس في العقيدة**» و«**دراسات عقائديّة**»، وبه تكتمل دورة عقائديّة كاملة، متنوّعة الأسلوب والمنهج.

نسـأل الله سـبحانه وتعالى أن يُضـيف بهـذا السـفر المبارك إلـى المكتبة الإسـلاميّة ما يسـدّ الحاجة لدى طلاب الحقيقة، كما نشـكر كلّ من ساهم في العمل على إخراج هذا الكتاب إلى حيّز النور، سـائلين المولى سـبحانه القبول، والحمد لله ربّ العالمين.

مركز نون للتأليف والترجمة



الدرس الأوّل

ما هو الدين؟



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى مفهوم الدّين.

٢. أن يميّز بين أنواع الرؤى الكونيّة.

٣. أن يتعرّف إلى أصول الأديان السماوية.

٤. أن يميّز بين أصول الدين وأصول المذهب.



مفهوم الدّين

كلمة الدّين في اللّغة[١] بمعنى الطّاعة كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾[٢]، و تأتي بمعنى الجزاء[٣] كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[٤] وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[٥] أي يوم الجزاء،[٦] **وفي الاصطلاح** معناها: الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

ويتكوّن الدّين بالمعنى الاصطلاحي من ركنين:

١ ـ العقيدة الّتي تمثّل الأساس والقاعدة بالنّسبة للدّين وتسمّى (أصول الدين).

٢ ـ التّعاليم والأحكام العمليّة المنبثقة من الأسس العقائديّة والملائمة لها وتسمّى (فروع الدّين).

(١) راجع كتب اللّغة، مثل: تاج العروس، مادّة: دين.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص ٣٦٨.

(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٥) سورة الماعون، الآية: ١.

(٦) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص ٣٦٨.

الرؤيّة الكونيّة والأيديولوجية

إنّ ألفاظ الرّؤية الكونيّة والأيديولوجيّة استعملت في معان متقاربة، ومن معاني الرّؤية الكونيّة أنّها عبارة عن «**مجموعة من المعتقدات والنظريّات الكونيّة المتناسقة حول الكون والإنسان بل وحول الوجود بصورة عامّة**»، ومن معاني الأيديولوجية أنّها عبارة عن «**مجموعة من الآراء الكليّة المتناسقة حول سلوك الإنسان وأفعاله**».

وعلى ضوء هذين المعنيين يمكن أنْ يعتبر النّظام العقائديّ لكلّ دين هو رؤيته الشّاملة، ونظام أحكامه العمليّة الكليّة أيديولوجيّته، ويتمثّلان في أصول الدّين وفروعه.

وقد تستعمل كلمة الأيديولوجية أحياناً في معنى عامّ بحيث يشمل الرّؤية الكونيّة والأحكام العمليّة معاً.

الرّؤية الكونيّة الإلهيّة والمادّيّة

تنتشر بين النّاس الكثير من أنواع الرّؤى الكونيّة، ولكن يمكن تقسيمها جميعاً على أساس الإيمان بالغيب وإنكاره إلى قسمين جامعين: الرّؤية الكونيّة الإلهيّة، والرّؤية الكونيّة المادّيّة.

وقد أطلق على مَن يتبنّى الرّؤية الكونيّة المادّيّة في العصور السّابقة اسم «**الطّبيعيّ**» و«**الدّهريّ**» وأحياناً «**الزّنديق**» و«**الملحد**»، وأمّا في عصرنا فيطلق عليه «**المادّي**».

الأديان السّماويّة وأصولها

بحسب المستفاد من المصادر الإسلاميّة فإنّ الدّين قد لازَمَ وجود الإنسان على الأرض، فكان الإنسان الأوّل وهو آدم عليه السلام نبيّاً وداعياً للتّوحيد، وأمّا سبب

ظهور الشِّـــرك وتطرّق البدع إلـــى الأديان فهو الجهل واتّبـــاع الأهواء والمطامع.

وتشترك الأديان التّوحيديّة في ثلاثة أصول كليّة:

١ ـ الإيمان باللّه الواحد.

٢ ـ الإيمان بالحياة الأبديّة في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على العمل إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

٣ ـ الإيمان ببعثة الأنبياء والرّسل المبعوثين من اللّه تعالى لهداية البشريّة إلى مصدر سعادتها في الدّنيا والآخرة.

وهذه الأصول الثلاثة تمثّل إجابات حاسمة على الأسئلة الرّئيسة الّتي يواجهها كلّ إنســـان في صميم ذاته وفطرته: من هو خالق الوجود والإنسان؟ ما هي نهاية الحياة ومصير البشر؟ ما هو السّبيل لمعرفة النّظام الأفضل للحياة؟

وعليـــه يعتبر الإيمـــان بوجود اللّه الواحـــد «**الأصـــل الأوّل**» من أصـــول الدّين الإســـلاميّ، والإيمان بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم «**الأصل الثّاني**»، والإيمان بالمعاد والحياة بعد الموت «**الأصل الثّالث**».

أصول الدّين وأصول المذهب

تقدّم أنّ أصـــول الإســـلام الأســـاس ثلاثة: التّوحيد، نبـــوّة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، المعاد. وهذه الأصول الثلاثة تسمّى أصول الدّين، ويخرج المنكر لأيّ واحد منها من ملّة المسلمين.

وهناك معتقدات أخرى نشـــأت من تحليل هـــذه المعتقدات وتجزئتها، أو أنّها من لواحقها، يمكن أن نعتبرها من العقائد الأصـــليّة أيضـــاً ولكن وفق اصـــطلاح خاصّ، فمثـــلاً يمكن أن نعتبـــر الإيمان بوجـــود اللّه والإيمان بتوحيـــده والإيمان بنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم من أصـــول الدّين الإســـلاميّ،كما يمكن اعتبـــار العدل ـ وهو من

المعتقدات المتفرّعة من التّوحيد. أصلاً مستقلّاً، والإمامة - وهي من لواحق النّبوّة - أصلاً آخر - كما فعل علماء الشيعة-.

وفي الواقع فإنّ استعمال كلمة «**الأصل**» في مثل هذه المعتقدات خاضع للاعتبار والاصطلاح.

ويمكن أن نطلق «**أصول الدّين**» على العقائد المشتركة بين جميع الأديان السّماويّة دون تخصيصه بدين معيّن، أمثال الأصول الثّلاثة (التّوحيد، النّبوّة العامّة، المعاد)، أمّا لو أضفنا إليها بعض الأصول الأخرى المختصّة بدين ما فنطلق عليها «**أصول الدّين الخاصّ**» كالإسلاميّ مثلاً، وكذلك إذا أضفنا إليها بعض المعتقدات المختصّة بمذهب معيّن أو فرقة معيّنة نطلق عليها «**أصول الدّين والمذهب**».

خلاصة الدرس

.**الدِّين لغة بمعنى الطاعة والانقياد، واصطلاحاً:** الإيمان بالخالق وبالأحكام والوظائف العمليّة الملائمة لهذا الإيمان.

.**الرؤية الكونيّة هي:** مجموعة من المعتقدات والنظريّات حول الوجود بشكل عام.

.**الأيديولوجية هي:** مجموعة آراء كليّة متناسقة حول سلوك الإنسان. وقد تستعمل في معنى الرؤية الكونيّة.

ثمّ إنّ هناك رؤيتين كونيتين إلهيّة ومادّية.

.**أصول الأديان السماويّة:**

١.الإيمان بالله الواحد.

٢.الإيمان بالنبوّة.

٣.الإيمان بالآخرة.

.أصول الإسلام ثلاثة: التوحيد والنبوّة والمعاد، وإذا أُضيف إلى هذه الثلاثة أصول أخرى يُطلق عليها أصول المذهب، كالعدالة والإمامة.



أسئلة

١. ماذا تعني كلمة الدّين في اللغة، والاصطلاح؟

٢. ما هو معنى الرّؤية الكونيّة، والأيديولوجيّة؟

٣. ما هي أصول الأديان السماويّة؟

٤. ما هو الفرق بين أصول الدّين، وأصول المذهب؟



الدرس الثاني

البحث عن الدين



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى الدوافع العامّة للبحث عن الدين.

٢. أن يدرك غريزة حبّ الاستطلاع.

٣. أن يدرك غريزة حبّ الكمال.

تمهيد:

إنّ كلّ إنسـان عاقـل لا يقـدم على عمل إلّا لغاية تشـكّل الدّافـع والمحرّك له باتجاه الفعل ـ وهذا إدراك وجدانيّ ـ فعندما يسعى الإنسان مثلاً لتحصيل الطّعام فدافعه الجوع فعلاً أو توقُّع حصـوله، وقد أودع اللّه تعالى في الإنسـان جملة من الدّوافع الفطريّة ـ نفسيّة وقلبيّة كانت أو عقليّة ـ تشكّل الأساس لحركته في الحياة الدنيا، وهنا يأتي سـؤال وهو: ما هي الدّوافع الكامنة في الإنسان والّتي يجب أن تحرّكـه للبحث عن الدّيـن أي للبحث عن وجود اللّه وما يتعلّق به وما يترتّب عليه من أسئلة أخرى، ينبغي السّعي لتحصيل الإجابة عليها.

والجواب: إنّ اللّه تعالى قد أودع في داخل الإنسان جملة من الدّوافع العامّة؛ الّتـي تدفعه للبحث عن مجموعة مهمّة من المسـائل بما فيها البحث عن الدّين، بالإضافة لدافع خاصّ بالبحث عن الدّين.

الدّوافع العامّة

الأوّل: غريزة حبّ الاستطلاع

من الخصـائص النفسـيّة الإنسـانيّة، هي وجـود دافع فطريّ لديـه لمعرفة

الحقائـق والاطّـلاع على الواقعيّات، وهـو المعبّر عنه «**بحبّ الاستطلاع**» الّذي يدفع الإنسان للتفكير والتأمُّل وطرح التّساؤلات، في محاولةٍ للبحث عن الحقائق بما فيها الدّين الحقّ.

ومـن هـذه التّساؤلات: هل هنـاك وجود لموجود غير محسـوس وغيبي غير مـادّيّ؟ وإذا كان لـه وجـود فهل هناك علاقـة بين عالم الغيـب والعالم المادّيّ المحسـوس؟ وإذا كانت هناك علاقـة، فهل هناك موجود غير محسـوس خالق للعالم المادّيّ؟ وهل ينحصـر وجود الإنسـان بهذا البدن المـادّيّ؟ وهل تتحدّد حياتـه بهذه الحيـاة الدّنيويّة؟ أم أنّ هناك حياة أخـرى؟ وإذا كانت هناك حياة أخرى، فهل هناك علاقة وارتباط بين الحياة الدّنيا والحياة الآخرة؟ وإذا وجدت العلاقـة، فما هي الظّواهر الدّنيويّة الّتي لها تأثير فـي الأمور الأخرويّة؟ وما هو السّـبيل لمعرفة النّظام الأكمل للحياة؛ النّظام الّذي يكفل سـعادة الإنسـان في الدّنيا والآخرة؟ وما هي طبيعة هذا النّظام؟

إذن فغريزة حبّ الاستطلاع تمثّل الدّافع الأوّل الّذي يدفع الإنسان للبحث عن إجابات لهذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المرتبطة بالمسائل والمعارف الدينية الأساسية الحقّة.

الثّاني: غريزة جلب المنفعة والأمن من الضّرر

أنّ إرضـاء الحاجـات الطّبيعيّة للإنسـان وإشـباع الدّوافـع الفطريّة لديه لا يتحقّق إلّا من خلال الإلمام ببعض المعارف الخاصّة، الّتي تجلب له النّفع وتدفع عنه الضّـرر. فإذا أمكن للمعارف الدينية خاصّـة أن تساعد الإنسان على إشباع حاجاته، وتوفير المنافع الّتي ينشدها، والأمن من المضارّ والأخطار الّتي تتهدّده، فسيكون الدّين من المجالات الّتي ينشدها الإنسان بفطرته، وبذلك تكون غريزة البحـث عن المنفعة والأمن من الضّـرر والخطر دافعاً آخـر للبحث عن الدّين،

خاصّــة بعدما ســمع بوجود أشــخاص يدعون إلى اللّه وما يترتّب عليه من منافع وسعادة أبديّة، وضرر عظيم وعقاب دائم على فرض ترك البحث عن اللّه تعالى، والوقوع في مخالفة أوامره ونواهيه، حتّى مع الجهل بها لتقصــيره وإهماله لهذا الأمر الخطير.

شبهة وجوابها

قد يدّعي بعض الناس أنّ الدّافع للبحث عن شيء ما إنّما يكون محرّكاً وفاعلاً فيما إذا كان احتمال الوصــول إلى نتيجة قويّاً وعالياً، وبما وأنّ احتمال الوصــول إلــى نتيجــة في البحــث عن الدّين ضــعيف جدّاً، فــلا يكون مثل هــذا الاحتمال محرّكاً، بل لا يُعبأ به ولا يُلتفت إليه عند العقلاء، وعليه فمن الأفضل بذل الجهد في البحث عن مسائل تكون درجة الاحتمال فيها قويّة ومؤثّرة، كما هو الحال في المسائل العلميّة المعتمدة على التّجربة.

والجواب: يقع من جهتين:

أوّلاً: إنّ الأمل في معالجة المسائل الدّينيّة واحتمالها ليس ضعيفاً كما تُوهّم، بل إنّ الأمل فيها ليس بأقلّ من المســائل التّجريبيّة، خاصّــة وإنّ بعض المسائل العلميّة التجريبيّة تحتاج إلى سنوات من الجهود المضنية، مع أنّ احتمال الوصول إلــى نتيجة فيها ضــعيف جدّاً، ومــع ذلك تُبذل الجهود دون تــردّد ولا ملل، وهذا يفتح الباب للجهة الثّانية من الجواب.

ثانيــاً: أنّ الدّافــع والمحــرّك للبحث عن أيّ شــيء لا يعتمــد فقط على درجة الاحتمــال قوّةً وضــعفاً، بل لا بدّ من مراعــاة درجة المحتمل أيضــاً، وذلك؛ لأنّ المحتمَــل يُــزوِّد الاحتمال بقوّة دفــعٍ وتحريكٍ باتّجاه البحــث، وهذا ما تجده في كثير من المســائل والقضــايا، فلو احتملــت قويّاً لدرجة ٨٠٪ مثلاً أنّك أضــعت مبلغــاً بســيطاً من المال لا يعتدّ به أثناء ســيرك ليلاً، فإنّــك لن تبحث عنه، وما

ذلك إلّا لضعف المحتمل مع أنّ الاحتمال كان قويّاً وكبيراً، بخلاف ما لو احتملت ٢٠٪ أنّك فقدت مبلغاً كبيراً من المال أثناء سيرك ليلاً، ففي مثل هذه الحال ستجد في نفسك دافعاً قويّاً للبحث عنه وستبدأ بالبحث مباشرة، وما ذلك إلّا لأنّ المحتمَل كان قويّاً وكبيراً مهما كانت درجة الاحتمال ضعيفة وبسيطة.

والمحصَّل: أنّ لكلٍّ من الاحتمال والمحتمل دوره في التحريك والدفع نحو البحث، وقصر النظر على قيمة الاحتمال فقط مخالف للعقل والعقلاء.

وبما أنّ المنفعة المحتملة المترتّبة على البحث عن الدّين لا حدّ لها وهي كبيرة وقويّة جدّاً، بحيث تكفي لدفع الإنسان وتحريكه للبحث عنها، فيجب على العاقل في مثل هذه الحال أنْ يبحث عن مسائل الدّين ويبذل الجهد في سبيل تحصيلها، لأهمّيّتها الّتي تفوق بدرجات قيمة المحتَمل في أيِّ مسألة علميّة تجريبيّة.

هذا كلّه لو سلّمنا أنّ درجة الاحتمال ضعيفة، فكيف والحال أنّ هذا الاحتمال قويّ أيضاً.

الثّالث: لزوم شكر المنعم

وهذا الدّافع هو من الدّوافع العقليّة الفطريّة؛ حيث إنّ النِّعم الّتي تواكب الحياة الإنسانيّة كلّها والّتي لا يسع أحداً إنكارها هي من الكثرة بحيث لا تبلغ حدّ الإحصاء، ومن جانب آخر فإنّ العقل الفطريّ يحكم بلزوم شكر المنعم على نعمه ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[1]، ولا يتحقّق شكر المنعم الحقيقيّ - وهو اللّه تعالى - إلّا بمعرفته، ولا تتحقّق المعرفة إلّا بالبحث عنه والاستدلال على وجوده تعالى وعليه يجب البحث عن الدّين؛ لأنّه مقدّمة للشُّكر الواجب ومقدّمة الواجب واجبة بحكم العقل.

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

الرابع: غريزة حبّ الكمال

من جملة المسائل الّتي ينبغي أن تشكّل حافزاً ودافعاً للإنسان للبحث عن المبدأ وما يرتبط به من صفات وأفعال، هو ما فُطرت عليه النفس الإنسانيّة؛ وهو حبّ الكمال، «**فإنّ الإنسان موجود باحث عن الكمال بفطرته**»، ولكي لا ينحرف هذا الدافع عن مساره الصحيح، كان لا بدّ من معرفة «**أنّ الكمال الإنسانيّ لا يتحقّق إلّا من خلال اختيار الإنسان لأفعاله**»، هذا الاختيار المعتمد على حُكم العقل وتوجيهاته، لأنّ الكمالات المختصّة بالإنسان هي الّتي تتمثّل بكمالاته الروحيّة، والّتي يتوصّل إليها من خلال الإرادة الواعية، والاختيار المنبثق من حكم العقل.

إلّا أنّ العقل عاجز عن تقييم الأفعال وتقويمها ما لم يتوصّل إلى نظام خلقي وقيمي. نحاكم الأفعال على أساسه، وهذا لا يتحقّق إلّا برؤية صحيحة للكون والحياة وعلاج مسائلها ومواضيعها «**فمعرفة الله وصفاته وأفعاله هي الأساس لتقييم الأفعال والحكم عليها من قبل العقل**».

وعليه لا يتمكّن الإنسان من تحقيق كماله المنشود إذا لم يعالج هذه المسائل ويجيب على تلك الأسئلة.

الخامس: فطريّة الشّعور الدّيني

إنّ بعض علماء النفس يرون أنّ التديّن وعبادة الله ظاهرة ثابتة - بشكل من الأشكال - في كلّ الأجيال البشريّة على امتداد التّاريخ، وهذا الثّبات الدّائم لهذه الظاهرة دليل على فطريّتها، ولقد صرّح القرآن الكريم بهذا الدّافع بقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1].

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

تنبيه: حول شمولية الدافع الفطري

إنّــه لا يلــزم من القول بشــموليّة الدّافع الفطــريّ أنّ يوجد دائماً بشــكل حيّ ويقظ في جميع الأفراد، بحيث يدفع الإنســان بطريقة شــعوريّة وواعيّة لأهدافه المنشودة، بل من الممكن أنّ يختفي هذا الشّعور الفطريّ في أعماق الفرد نتيجة العوامــل المحيطة والتّربية غير السّــليمة، كما قد تنحــرف الميول والغرائز عن مســارها الطبيعي للسّــبب نفسه. وعلى ضــوء ذلك فإنّ للبحث عن الدّين دافعه الفطريّ المستقلّ ولا نحتاج لإثبات ضرورته إلى دليل.



- هناك دوافع فطريّة عامّة تدفع للبحث عن الدِّين.

وهذه الدوافع هي:

١. غريــزة حــبّ الاستطــلاع: هو دافع فطريّ يدفع الإنســان لمعرفة الحقائق مطلقاً ومن ضمنها الدِّين.

٢. غريــزة البحــث عــن المنفعة والأمن من الضرر: فحيــث إنّ هناك منافع ومضار دنيويّة وأخرويّة تترتّب على معرفة الدِّين وعدمها فيجب إذن البحث عن الدِّين لجلب المنفعة ودرأ المضرّة.

- وقد اعتُرض على الغريزة السابقة، بأنّ الدافع للبحث عن شيء إنّما يكون محرّكاً إذا كان احتمال الوصول إلى نتيجة قويّاً، وحيث إنّ احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الدّين ضعيف، فليس لهذا الدافع فاعليّة.

والجواب: بعد التسليم بكون احتمال الوصول إلى نتيجة في البحث عن الدِّين ضــعيفاً - وهــو ليس كذلــك -، إنّ التحريك لا يتوقّف على قــوّة الاحتمال فقط، بل

يحصل أيضاً بسبب قوّة المحتمل؛ فحيث إنّ مسائل الدِّين كبيرة المضرّة لو تركت وكثيرة المنفعة لو حصلت دنيا وآخرة - جنّة أو نار - فالدافع موجود للبحث عن الدِّين.

٣. وجوب شكر المنعِم: ولا يتحقّق الشكر إلّا بمعرفة المنعِم، وحيث إنّ الدِّين يُعرِّفنا بالمنعِم، فيجب البحث عن الدِّين.

٤. حبّ الكمال: وبما أنّ الدِّين هو الّذي يُعطي الأساس النظري الصحيح للعقل؛ ليتمكّن من الاختيار الصحيح وبالتالي الوصول إلى الكمال، ثبت إذن ضرورة البحث عن الدِّين.

٥. فطريّة الشعور الديني: وهو لا يشترط أن يكون حيّاً ويقظاً في جميع الأفراد، بل قد يختفي لعوامل مؤثّرة على الفرد.



أسئلة



١. ما هو المقصود من غريزة (حبّ الاستطلاع)؟

٢. كيف تجيب من يدّعي أن غريزة (البحث عن المنافع والأمن من المضارّ) غير كافية لتدفع الإنسان للبحث عن الدّين؟

٣. كيف نستدلّ على لزوم البحث عن الدّين من قاعدة (وجوب شكر المنعم)؟

٤. ما هو المقصود من فطرية الشعور الديني، ولماذا لا يكون مؤثّراً دائماً؟

٥. ما هو المقصود من غريزه (حبّ الكمال)؟



الدرس الثالث

دليل النظام على وجود اللّٰه تعالى



أهداف الدرس:

١. أن يذكر الطالب دليل النظام على وجود اللّه مع مقدّماته.
٢. أن يستذكر آية ورواية على دليل النظام.





تمهيد:

لقد أودع اللّه في الكون والإنسان من الأدلّة على وجوده تعالى ما لا يحصيه عدد، فالأدلّة على وجوده تعالى بعدد أنفاس الخلائق -كما قيل- والعقل البشري قادر على الاستدلال على اللّه تعالى وصفاته، والكثير من المسائل العقائديّة الأخرى إذا لم تؤثّر عليه الأهواء وتحيط به الشّبهات، وقد تعدّدت الأدلّة وتنوّعت، ومع ذلك يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: مجموعة أدلّة تعتمد على التأمّل في الكون والإنسان وما يكمن فيهما من الآثار والآيات الإلهيّة، وترتكز هذه الأدلّة على مقدّمات حسّيّة، ويقع على رأسها دليل النّظام.

الثّاني: مجموعة أدلّة تعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة محضة منها الدليل المعروف بـ(دليل الإمكان).

دليل النّظام

وهو من الأدّلة السّهلة الّتي يدركها كلّ إنسان عاقل، لأنّه يرتكز على مقدّمتين يسهل إثباتهما، **إحداها** حسّيّة تجريبيّة وهي «**إنّ هذا العالم منظَّم**» **وثانيتها** عقليَّة بديهيَّة وهي «**إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم**».

والنّتيجة هي «إنّ هذا العالم يحتاج إلى منظِّم وليس وليد الصدفة العمياء».

هذا هو دليل النّظام على الإجمال، وتفصيله يحتاج إلى:

أ. معرفة المقصود من النّظام، ب. وتوضيح المقدّمات وإثباتها.

أ ـ المقصود من النّظام

النّظام هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء المركَّب الواحد -كأجزاء الشجرة الواحدة- والتوازن الحاصل بين الموجودات -كالتوازن بين أنواع الحيوان والإنسان والنبات والهواء- إلخ- بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها وعلى أكمل وجه.

ب ـ مقدّمات دليل النظام

١- **إن هذا العالم منظم**: ويمكن إثباتها من خلال تأمّل الإنسان العاقل في هذا الوجود، بالمشاهدة الحسّيّة تارة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطّبيعيّة تارة أخرى، فإنّ الإنسان ـ وبأدنى تأمّل ـ سيجد نظاماً يتحكّم في كلّ موجود على حدة، ونظاماً عامّاً يربط بين الموجودات كلّها بحيث تؤدّي دورها على أكمل وجه، ويتحقّق الهدف المنشود من وجودها.

فالمنظومة الشّمسيَّة بما تحويه من شمس وقمر وكواكب، عجيبة في تكوينها، دقيقة في حركاتها المنتظمة، وما يترتّب عليها، من مصالح وما يحدث بسببها من أحوال لازمة لها، كاللّيل والنّهار، والفصول الأربعة وما يترتّب على هذا الانتظام من فوائد.

وكذلك عالم النبات وهو عالم عجيب في تركيبه وأسراره وفوائده، الّتي اكتشف العلم حتّى الآن جزءً بسيطاً منها، وما خفي أعظم.

وأمّا الإنسان، فإنّه من أعجب وأعظم المخلوقات، فهو يحوي ما تفرّق في المخلوقات، وأضيف إليه أجهزة معقّدَة أخرى ولكنّها منظّمة بكيفيّة مثيرة للدّهشة، لما فيه من عجائب وأسرار وأنظمة. ومع أنّ الإنسان وضع تحت مجهر البحث المركّز في كلّ جوانب وجوده، إلّا أنّهم لم يتوصّلوا إلى الكثير من خصائصه. فمن عالم الخلايا، والجهاز الهضميّ والتّنفّسي والدّورة الدمويّة والقلب وغيرها الكثير من الأجهزة، ويبقى المخّ من أكثر أجهزة الإنسان تعقيداً، وله مركز القيادة وأوامره الّتي تحملها الأعصاب إلى أعضاء البدن... إلخ، فالشّواهد التّي تثبت النّظام في الكون من أوضح الواضحات.

٢- **إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم**: وهذه المقدّمة عقليّة بديهيّة، يدركها الإنسان بمجرّد الإلتفات إليها، ومن دون حاجة إلى دليل؛ فإنّ العقل إذا أدرك النّظام وما هو عليه من دقّة وروعة في التّقدير والتّوازن والانسجام، يحكم مباشرة بأنّ هكذا موجود يمتنع وجوده بدون فاعل عالم وقادر، هو الّذي أوجده ونظّمه، وينفي العقل إمكانيّة وجود هكذا نظام عن طريق الصّدفة، فالعقل الّذي يرفض إمكانيّة صدور مقالة بسيطة من إنسان أميّ لمجرّد أنّه ضغط عشوائيّاً على أحرف الآلة الكاتبة، فهو يرفض قطعاً وبشكل أوضح وجود هذا الكون والنّظام صدفة من دون خالق، وهذا الحكم يعتمد على قانون العلّيّة الثّابت بحكم العقل البديهي. فالعقل يحكم بالبداهة أنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ويستحيل وجوده دون علّة.

وبذلك تظهر النّتيجة بشكل جليّ، فالعالم منظَّم بحسب المشاهدات والعلوم، وكلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم بحسب البداهة العقليّة، إذن فالعالم يحتاج إلى خالق منظِّم ويستحيل أن يكون وليد الصدفة العمياء، وهو المطلوب.

فوائد دليل النّظام

من أهمّ الفوائد الّتي يعطيها هذا الدّليل:

أوّلاً: إنّه يحرّك الفطرة الإنسانيّة ليرتقي بها إلى مرتبة الوعي والالتفات بعد النسيان والغفلة.

ثانياً: إنّه لا تقتصر وظيفته على إثبات وجود الخالق فحسب بل تتعدّاه لإثبات بعض صفاته ومنها أنّه عالم، قادر؛ إذ إنّ النّظام الهادف يجب أن يكون موجِدُه، عالماً، وتحقُّق النّظام خارجاً دليل القدرة؛ لأنّ خصائص الفعل تدلّ على خصائص الفاعل.

النّظام في الكتاب والسنّة

يزخر القرآن بالآيات الكريمة الّتي تلفت الأنظار إلى ما في الكون من أنظمة بديعة، نذكر منها الآيات التالية:

١- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[١].

٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[٢].

٣- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[٣].

وفي كلمات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إشارات واضحة إلى هذا الدّليل كقوله عليه السلام: «**ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرَجَعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والبصائر مدخولة**»[٤].

(١) سورة الملك، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٢-١٣.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦.

وقد أملى الإمام الصّادق عليه السلام على تلميذه المفضَّل، عدداً من الأنظمة وما فيها من أسرار وحكم وعجائب، من أجهزة الإنسان والحيوانات الأخرى، والطيور والحشرات، والفلك وما يحصل من تغيّرات، والنباتات وأسرار اختلافها، والأمراض وأدويتها، ثمّ الموت والفناء[1].

خلاصة الدرس

إنّ العقل قادر على الاستدلال على وجود اللّه تعالى، وقد تعدّدت الأدلّة وتنوّعت، وهي على نحوين:

الأوّل: مجموعة تعتمد على التأمّل في الكون والإنسان، وترتكز هذه الأدلّة على مقدّمات حسّيّة، ويقع على رأسها دليل النظام.

الثاني: مجموعة أدلّة تعتمد بشكل أساس على مقدّمات عقليّة كدليل الإمكان.

. يتكوّن دليل النظام من مقدّمتين:

الأولى: حسّيّة تجريبيّة وهي: (إنّ هذا العالم منظَّم).

الثانية: عقليّة بديهيّة وهي: (إنّ كلّ منظَّم يحتاج إلى منظِّم).

النتيجة هي: (إنّ هذا العالم يحتاج إلى منظِّم).

- يمكن إثبات المقدّمة الأولى من دليل النظام بالمشاهدة الحسّيّة، وبفضل ما وصلت إليه العلوم الطبيعيّة. ففي الكون أمثلة لا تُعدّ ولا تُحصى على النظام.
- المقدّمة الثانية من دليل النظام مقدّمة عقليّة بديهيّة، يُدركها الإنسان

(١) كتاب التوحيد، المفضّل، ص٣٧-٣٨.

بمجـــرّد الالتفات إليها، فالعقــل يحكم بالبداهــة أنّ كلّ معلول يحتاج إلى علّة، ويستحيل وجوده من دون علّة.

.المقصـود مـن النظام: هو عبارة عن التناســق الموجود بيــن أجزاء العالَم والتوازن الحاصل بين الموجودات بشكل يتحقّق منه الغرض والغاية من وجودها على أكمل وجه.

. من أهمّ وظائف دليل النظام:

أوّلاً: إنّه يُحرِّك الفطرة الإنسانيّة.

ثانياً: بالإضــافة إلى إثباته وجود الخالق يُثبت بعض صــفاته ومنها أنّه عالم قادر.

- فــي القرآن الكريــم والروايات الكثير مما يُلفت الأنظــار إلى ما في الكون مــن نظام، منهــا قوله تعالــى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].

وعــن الإمام علــيّ عليه السلام: «**ولـو فكّروا في عظيـم القـدرة وجسـيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق**».



أسئلة

١. **ما هو معنى النّظام المقصود في الدليل؟**

٢. **تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل النظام.**

٣. **بيّن أهم وظائف دليل النظام؟**

٤. **أذكر آية ورواية تشيران إلى دليل النظام؟**

(١) سورة الملك، الآية: ٢٣.



الدرس الرابع

دليل الإمكان على وجود اللّٰه تعالى



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الإمكان.

٢. أن يميّز بين الدور والتسلسل.

٣. أن يستذكر دليل الإمكان.



تمهيد:

يعدّ دليل الإمكان والوجوب من الأدلّة العقليّة القريبة إلى الفهم، إضافة إلى كونه محكماً. وهو يثبت وجوب الوجود للّه تعالى، واستغناءه عن غيره في وجوده، وأمّا صفاته الثبوتيّة والسلبيّة فتحتاج إلى أدلّة أخرى.

وقبل الشّروع في بيان هذا الدّليل لا بُدَّ أوّلاً من بيان بعض المصطلحات المرتبطة به. وذلك؛ لأنَّ فهم معنى الإمكان والوجوب والدور التسلسل يعدّ الركن الأساس لفهم هذا الدّليل، والاستفادة منه بالشّكل المطلوب والمفيد.

المصطلحات الواردة في الدليل

الأوّل: الإمكان والوجوب:

إنّ وجود الموجودات المتحقّقة الوجود، لا يشكّ به عاقل، ويدركه الإنسان بوجدانه من دون حاجة إلى دليل، وهذا الوجود لا يخلو عقلاً من أحد احتمالين:

الأوّل: أنْ يكون موجوداً بذاته وهذا يعني أنّه لا يحتاج إلى ما يوجده؛ ولذلك لا يصحّ السؤال عن علّة وجوده؛ لأنّه ليس له علّة حسب الفرض وهو الواجب.

والثاني: أن يكون وجوده ليس بذاته بل يحتاج إلى موجود آخر يوجده، ويصحّ أنْ يسأل عن علّة وجوده؛ لأنّه يستحيل وجوده بدون علّة وهو الممكن.

مثال تقريبي: لو قلت: الملح مالح فإنّ ثبوت الملوحة للملح، على نحو الوجوب فهو واجب الملوحة؛ لأنّ ملوحته ذاتيّة له ويستحيل أنْ تنفكّ عنه، فإنّ اللّه تعالى أوجده مالحاً من البداية لا أنّه تعالى أوجد شيئاً ثمّ عرضت عليه الملوحة ولذلك لا يصحّ السّؤال: لماذا الملح مالح، وأمّا لو قلت الطّعام مالح فإنّ ثبوت الملوحة للطّعام ليست ذاتيّة له، بل تتوقّف على غيره وهو الملح ويمكن انفكاك الملوحة عن الطّعام. ويصحّ السّؤال: لماذا الطّعام مالح.

وكذلك الحال بالنّسبة للوجود الواجب أو الممكن. فوجود الواجب بذاته، لا يحتاج فيه إلى غيره، أمّا وجود الممكن فليس بذاته لذلك يحتاج فيه لغيره.

الثّاني: الدّور:

وهو توقّف وجود الموجود الأوّل على الموجود الثاني، ووجود الثاني متوقّف على الأوّل فكلّ منهما علّة لوجود الآخر؛ وعليه يلزم أنْ يكون كلّ واحد منهما متقدّماً لأنّه علّة، و متأخّراً لأنّه معلول، وهذا جمع بين النقيضين وهو ممتنع بالبداهة. فالدّور باطل، وكلّ ما يلزم منه الدّور باطل أيضاً.

الثّالث: التسلسل:

وهو عبارة عن توقّف الموجود الأوّل على الثاني، والثاني على ثالث... وهكذا لا إلى نهاية، بحيث تجتمع سلسلة من الموجودات الممكنة، كلّ واحد منها معلول للسّابق وعلّة للّاحق، مترتّبة غير متناهية. وهنا يُسأل عن العلّة الّتي أفاضت الوجود على هذه السّلسلة الممكنة، فإن كانت العلّة ممكنة أيضاً كانت محتاجة إلى علّة أيضاً وهكذا لا إلى نهاية، ويلزم عدم وجود الموجودات؛ ولكنّ وجودها

بديهي. وإن كانت العلّة واجبة الوجود، أي: وجودها ذاتي، فقد انقطعت السّلسلة وحصـل المطلـوب. مثال: لـو نزّلنا الموجـود الممكن منزلة الصّـفر. فاجتماع الممكنات بمنزلة اجتماع أصـفار والّتي مهما تكاثرت لا تنتج عدداً بحكم فقرها الذاتي؛ فلا بدّ لها من عدد صحيح يحمل قيمة بذاته ليفيض منها على الأصفار، فتصبح حينئذ ذات قيمة.

مثال توضيحي:

لو أوقف قائدُ الجيش كلَّ جيشـه في صـفّ أفقي، وأصدر أمراً بإطلاق النار، لكنّه وضـع شـرطاً واحداً وهو: أن لا يطلق أحدٌ النار حتّى يسـمع من أطلق قبله، فـإن الجنـديّ الأوّل لا يُطلق النار حتّى يطلق الثانـي، والثاني لا يطلق حتّى يطلق الثالث، وهكذا، عندها لا يطلق أحدٌ النار. إذاً لا بدّ من وجود شخص في البداية يطلق النار من دون أيّ شـرط ويعتمد على ذاته بالإطلاق، وعندها يطلق الجميع النار.

المحصّـل: إنّ فرض وجـود ممكنات غير متناهية مسـتلزم لأحد أمرين: إمّا تحقُّق المعلول بلا علّة، وإمّا عدم وجود شـيء في الخارج رأساً، وكلاهما بديهـي البطـلان؛ فـالأوّل مخالـف لقانـون العليّـة العـامّ، والثّانـي مخالف للوجـدان.

الاستدلال بدليل الإمكان

تقـدّم أنّ صـفحة الوجـود مليئـة بالموجودات الممكنـة الوجود بمعنـى أنّها تحتـاج فـي وجودها إلى الغيـر، أي: تحتاج إلـى علّة توجدها؛ بدليـل أنّها توجد وتنعدم، وتتبدّل وتتغيّر وهو دليل الإمكان؛ وعليه فوجودها لا يخلو من الاحتمالات التّالية:

١ ـ إمّا أنّها وجدت من دون علّة، وهو باطل؛ لأنّها ممكنة الوجود، ولأنّ فرض وجودها من العدم يلزمه كون فاقد الوجود يعطيه وهو باطل؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه.

٢ ـ وإمّا أنّ بعضها علّة للبعض الآخر، والآخر علّة للبعض الأوّل وهو باطل؛ للزوم الدّور الباطل بالدّليل أيضاً.

٣ ـ وإمّا أنّ البعض الأوّل علّة للثّاني، والثّاني للثّالث وهكذا لا إلى نهاية، وهذا باطل؛ للزوم التّسلسل الممتنع والباطل بالدليل.

٤ ـ وإمّا أنّ وجودها مفاض من موجود واجب الوجود بذاته غير محتاج لأيّ شيء، وهو المطلوب وهذا الفرض هو الّذي يرضاه العقل ويحكم به.

دليل الإمكان في القرآن

لقد أشار القرآن الكريم إلى مفردات هذا الدّليل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[2].

تنبيه: قد يقال بأنّ الاعتقاد بوجود علّة غير معلولة موجودة بنفسها، مناف للقاعدة العقليّة القائلة بأنّ الموجود لا يتحقّق بدون علّة.

والجواب: إنّ القاعدة العقليّة لا تحكم على الموجود بما هو موجود بأنّه يحتاج إلى علّة، بل الحاجة إلى علّة هي من لوازم الموجود الممكن فالقاعدة العقليّة تحكم بأن الموجود الممكن يحتاج إلى علّة، وهذا واضح ممّا تقدّم.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٣٥- ٣٦.



.الوجود لا يخلو عقلاً من أحد احتمالين:

الأوّل: أن يكون موجوداً بذاته فلا يحتاج إلى موجد وهو (الواجب).

الثاني: أن يكون وجوده ليس بذاته بل يحتاج إلى علّة توجده، وهو (الممكن).

الدور: هو توقّف وجود الأوّل على الثاني، والعكس، ولازمه أن يكون كلّ واحد منهما متقدّماً لأنّه علّة، ومتأخّراً لأنّه معلول، وهذا جمع بين النقيضين وهو باطل.

التسلسل: هو توقّف الأوّل على الثاني، والثاني على الثالث، وهكذا لا إلى نهاية، وهو باطل؛ لأنّ فرض وجود ممكنات غير متناهية مستلزم لأحد أمرين: إمّا تحقّق المعلول بلا علّة، وإمّا عدم وجود شيء في الخارج رأساً، وكلاهما باطل بديهة؛ فالأوّل مخالف لقانون العلّيّة العامّ، والثاني مخالف للوجدان.

تقرير دليل الإمكان: بعد التسليم بوجود الممكنات، فوجودها لا يخلو من الاحتمالات التالية:

١ـ أنّها وجدت من العدم، وهذا باطل؛ لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

٢ـ أنّ بعضها علّة للبعض الآخر، والآخر علّة للأوّل، وهذا باطل للزوم الدور.

٣ـ البعض الأوّل علّة للثاني، والثاني علّة للثالث، وهكذا لا إلى نهاية، وهذا باطل للزوم التسلسل.

٤ـ أنّ وجود الممكنات فيضٌ من موجود واجب الوجود بذاته، وهو المطلوب.

- قد يُقال: إنّ الاعتقاد بوجود علّة غير معلولة، منافٍ للقاعدة العقليّة القائلة بأنّ الموجود لا يتحقّق بدون علّة.

الجواب: إنّ القاعدة العقلية تقول: «**إنّ الموجود الممكن يحتاج إلى علّة**»، وبالتالي فإنّ الواجب لا تشمله القاعدة.



أسئلة

١. عرّف الإمكان والوجوب، مع مثال؟

٢. ما هو الفرق بين الدّور والتسلسل، وما هو وجه بطلانهما؟

٣. بيّن كيفية الاستدلال بدليل الإمكان على وجوده تعالى؟

٤. هل يتنافى القول بوجود علّة غير معلولة مع القول بأنّ الموجود الممكن لا يتحقّق بدون علّة، ولماذا؟



الدرس الخامس

الصفات السلبيّة



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف إلى معنى الصفات السلبيّة.

٢. أن يتعرّف إلى معنى العلّة الموجدة وميّزاتها.





بعـد أن تـمّ إثبات وجود واجـب الوجود، فإنّ إثبات صـفاته يحتـاج إلى أدلّة أخرى، بعضها يعتمد على إدراك حقيقة معنى الواجب، كما سيتّضح لاحقاً.

تقسيم الصّفات الإلهيّة

تنقســم الصّفات الإلهيّة إلى ثبوتيّة وسلبيّة، والثّبوتيّة تنقسم أيضاً إلى ذاتيّة وفعليّة. وسيأتي الكلام عنها في الدرس اللاحق..

الصّفات السّلبيّة

ســوف يتمحور البحث في هذا الدّرس حول الصّــفات السّلبيّة: وهي الصّفات الّتي يجب تنزيه الذّات الإلهيّة عن الاتّصاف بها.

وذلك؛ لأنّه إمّا أن تكون الصّــفة في حقيقتها وواقعها نقص وحاجة، بحيث لا يمكن أن يتصوّر فيها كمال مطلق كالجسميّة مثلاً.

وإمّا أن تكون الصّــفة بحـدّ ذاتها كمال، إلّا أنّه قد شـابها نوع نقص، نتيجة ارتباطهـا وتعلّقها بالممكنـات، لكنّ العقل قادر علـى إدراك كمالها المطلق بعد إزالة النّقص العارض عليها، مثل: العلم والقدرة المتّصـف بهما الإنسـان، فإنّه لا يمكن وصـفه تعالى بهما بجميع خصائصهما، بسبب اشتمالهما على النّقص

العارض عليهما كالمحدودية وحاجتهما للمحلّ، مع أنّهما في اللّه تعالى عين ذاته المتعالية كما سيأتي. وبهذا يتّضح أنّ الصّفات السّلبيّة ترجع بتمامها إلى أصل واحد، وهو سلب النقص والحاجة عنها وأنّه يجب تنزيهه تعالى عنهما.

الدّليل على التّنزيه

إنّ فرض كونه تعالى واجب الوجود - كما تمّ الدليل عليه في الدرس السابق- يعني عدّة أمور:

أوّلاً: أنّه غير محتاج في وجوده لأيّ موجود آخر؛ لأنّ فرض حاجته إلى الغير تعني أنّه ممكن الوجود، وهو خلاف فرض وجوب وجوده.

ثانياً: أنّ الموجودات الممكنة الوجود كلّها معلولة ومحتاجة إليه.

ولكلٍّ من هاتين الصّفتين لوازم يثبت من خلالها نفي الصّفات السّلبيّة بتمامها، بل يمكن إثبات بعض الصّفات الثّبوتيّة.

وإنّ المتأمّل في معنى واجب الوجود يدرك بشكل واضح أنّ كلّ موجود سبقه العدم أو يلحقه العدم يستحيل أن يكون وجوده ذاتيّاً؛ لأنّ العدم السّابق أو اللّاحق يعني الحاجة إلى الغير في وجوده، وبالتّالي يعني أنّه غير واجب بل هو ممكن محتاج لعلّة هي غيره، وبذلك يثبت أنّ اللّه أزليّ أبديّ، أي: سرمديّ، ويثبت أنّ كلّ موجود سبقه العدم أو يلحقه العدم لا يكون واجباً.

ليس مركباً من أجزاء

أوّلاً: من لوازم واجب الوجود البساطة، أي عدم التّركيب من أجزاء؛ إذ كلّ مركّب محتاج ومفتقر إلى أجزائه؛ لأنّ التركيب مطلقاً يتنافى مع مفهوم واجب الوجود، المنزّه عن الحاجة مطلقاً.

ثانياً: فرض التركيب يعني قابليّة المركّب للزّوال والانعدام؛ لأنّ المركَّب

قابل للانقسام ولو عقلاً، إن لم ينقسم في الخارج فعلاً، وإمكان الانقسام يعني إمكان زوال الكلّ وانعدامه. وقد تمّ إثبات عدم قابليّة الواجب للزّوال والانعدام.

ليس جسماً

ومن لوازم عدم التّركيب يثبت أنّ اللّه تعالى **ليس جسماً**، بل هو موجود مجرّد، وإذ ثبت استحالة كونه تعالى جسماً، تثبت استحالة كلّ ما يتوقّف تحقّقه على الجسميّة، ويلازمها مثل كونه قابلاً للرّؤية والحاجة إلى المكان، والخضوع للزّمان، والحركة والتّحوّل؛ فإنّ جميع هذه المسائل من خصائص الجسم والجسمانيّات، وقد ثبت أنّه تعالى ليس بجسم.

العلّة الموجدة

بمناسبة الكلام عن واجب الوجود، تجدر الإشارة إلى أنّه يطلق على واجب الوجود، مصطلح «**العلّة الموجدة**» بمعنى أنّه تعالى هو الموجد للموجودات، والفاعل المستقلّ لها، وغير المحتاج في وجوده وإيجاده لأيّ شيء آخر ـ كما مرّ ـ ويستحيل وجود علّة فاعليّة كفاعليّة اللّه تعالى؛ إذ كلّ فاعل سواه يحتاج في فاعليته للّه تعالى.

ميّزات العلّة الموجدة

وهي ميّزات يمكن استخراجها من الخصائص المذكورة لواجب الوجود (العلّة الموجدة):

١- تمتاز العلّة الموجدة بأنّها توجد معلولها وتخلقه من العدم، من دون أن ينقص من وجودها شيء، وإلّا لَزِمَ الانقسام والتغيير في الذّات الإلهية، وقد ثبت بطلانه.

ويمكن تقريب هذه الميزة من خلال هذا المثال، وهو أنّ المعلّم يقدِّم من علمه لتلامذته دون أنّ ينقص من علمه شيء، وأقرب تعبير هو أنّ عالم الوجود نور وتجلٍّ من تجليات الذّات الإلهيّة المقدّسة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، وهذا بخلاف الفاعل المادّي والطّبيعي الّذي لا يوجِد معلوله من العدم، بل عليّته تعني تغيير صورة المعلول الموجود مع بذل الجهد ولزوم النّقص والتغيير عليه.

٢- يجب أن تشتمل العلّة الموجدة على جميع كمالات معلولها بصورة أتمّ وأكمل؛ لأنّها هي الّتي تفيض الوجود والكمال عليه، وهذا بخلاف العلل المعدّة المادّيّة، فإنّه لا يلزم اشتمالها على كمالات معلولها لأنّها لا تُعطيه الوجود بل تقرّبه وتعدّه لتفيض العلّة الموجدة الوجود عليه.

٣- أنّ العلّة الموجدة يحتاج إليها معلولها في أصل وجوده وفي بقائه واستمراره، خلافاً للعلّة المعدّة الّتي يحتاج إليها معلولها في أصل وجوده فقط، وأمّا غير العلّة الموجدة من العلل المادّيّة فهي في الحقيقة مهيّئة ومعدّة لفيض الوجود من العلّة، لا غير. وعليه فعالم الوجود محتاج ومفتقر إلى الله تعالى دائماً وفي كلّ شؤون وجوده وحالاته، وإذا امتنع الخالق عن فيض الوجود عليه فهذا يعني انعدام الوجود. وأمّا في العلل المعدّة، كالبنَّاء الّذي يبني منزلاً؛ قد يموت البنَّاء ويبقى المنزل بحاله.

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

خلاصة الدرس

- الصفات السلبيّة هي الصفات الّتي يجب تنزيه الذّات الإلهيّة عن الاتصاف بها؛ وذلك حتّى لا يلزم نسبة النقص والحاجة إليه تعالى.
- إنّ واجب الوجود يعني أنّه غير مسبوق بعدم ولا يلحقه عدم، لأنّ العدم السابق واللاحق يعني الحاجة إلى الغير في وجوده؛ وهو خلاف كونه واجب الوجود.
- ومن لوازم واجب الوجود أنّه غير مركّب؛ لأنّ المركّب محتاج إلى أجزائه، وينعدم بانعدامها، وقد تمّ إثبات عدم حاجة الواجب وعدم قابليته للزوال.

ومن لوازم عدم التركيب نفي الجسميّة عنه وما يلازمها من الرؤية والحاجة إلى المكان، والخضوع للزمان، والحركة والتحوّل.

- من ميّزات العلّة الموجدة (واجب الوجود):

١.أنّها توجد معلولها من العدم، من دون أن ينقص من وجودها شيء.

٢.أنّها تشتمل على جميع كمالات معلولها بصورة أتمّ وأكمل.

٣.أنّها علّة حقيقيّة يحتاجها معلولها وجوداً وبقاءاً واستمراراً.



١. ما هي الصّفات السلبيّة؟

٢. ماذا يتضمّن مصطلح واجب الوجود؟

٣. كيف تستفيد الصّفات السلبيّة من مضمون واجب الوجود؟

٤. ما هي ميّزات العلّة الموجدة؟





الدرس السادس

الصفات الثّبوتيّة



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الصفات الثبوتية.

٢. أن يميّز بين أقسام الصفات الثبوتية.

٣. أن يعدّد بعض الصفات الذاتية.



تعريف وتقسيم

الصّفات الثّبوتيّة هي كلّ صفة تثبت كمالاً مطلقاً دون استلزامها نسبة نقص أو تحديد للذّات الإلهيّة، فكلّ صفة تحمل هذه الخصائص يجب إثباتها للّه تعالى.

وتنقسم الصّفات الثبوتية إلى قسمين هما:

١. الصّفات الذّاتيّة . ٢. الصّفات الفعليّة.

١ ـ الصّفات الذّاتيّة:

وهي مفاهيم منتزعة من نفس الذّات الإلهيّة بلحاظ وجدانها لنوع من أنواع الكمالات، وأهمّ الصّفات الذّاتيّة: الحياة، العلم، القدرة.

ومن خصائصها أنّه ليس لها وجود غير وجود الذّات بل هي عين الذات، فهي واحد وجوداً ومصداقاً، والاختلاف بينها على مستوى المفهوم فقط، والاختلاف المفهومي كافٍ في المغايرة، ولا يلزم منه التكثر في الذات.

٢ ـ الصّفات الفعليّة:

وهـي مفاهيم تنتزع من نوع علاقة وارتباط بيـن اللّه تعالى ومخلوقاته، فهي مفاهيم إضافيّة تمثّل الذّاتُ الإلهيّة والمخلوقات طرفي الإضافة فيها، كالخالقيّة والرازقيّة وغيرها.

ولا وجود عيني لفعل الخالقيّة، فالموجود فعلاً هما طرفا الإضافة، أيّ: الذّات الإلهيّة والمخلوقات لا غير، وأمّا (الخلق) كـ (فعل) فهو مفهوم إضـافي نسـبي ينتزع من مقام الفعل لا غير.

إثبات الصّفات الذّاتيّة

لإثبات الصّفات الذّاتيّة دليل عامّ يجري فيها جميعاً، إضافة إلى أنّ لكلّ صفة أدلّة خاصّة بها يأتي بيانها، والدّليل العامّ هو القاعدة البديهيّة القائلة: إنّ فاقد الشّيء لا يعطيه، وبيانه:

إنّ هذه المفاهيم ـ أي: الحياة والعلم والقدرة ـ حينما تستخدم في المخلوقات، تعبّـر عن كمالاتها، فيلزمهـا إذن أن توجد بمرتبتها الكاملة في العلّة الموجدة؛ إذ كلّ كمال يوجد في أيّ مخلوق، فهو مستمدّ من اللّه تعالى؛ لأنّه العلّة الموجدة، فلا بُدَّ أنْ يكون اللّه تعالى الخالق واجداً له، حتّى يمكنه إفاضته وإعطاءه للمخلوق، ولا يمكن لمن يخلق الحياة أن يكون فاقداً لها، أو لمن يفيض العلم والقدرة للمخلوقات أن يكـون جاهـلاً عاجـزاً؛ لأنّ فاقد الشّـيء لا يعطيه. إذن فوجود هذه الصّـفات الكماليّة فـي بعض المخلوقات دليل على وجودها في الخالق تعالى، ولكن من دون أن يكون فيها نقص أو تحديد، أي: أنّ اللّه تعالى يتوفّر على الحياة والعلم والقدرة اللّامتناهية.

أ- الحياة

يستعمل مفهوم الحياة في مجموعتين من المخلوقات: **الأولى**: النباتات، حيث تتميّز بالنّموّ. **الثّانية**: الحيوانات والإنسان، حيث تمتلك الشّعور والإرادة.

أمّا: مفهوم الحياة في النبات فهو مستلزم للنّقص والاحتياج بذاته وفي واقعه، ذلك؛ لأنّ طبيعة النّموّ تفرض أن يكون الشّيء النّامي في بداياته فاقداً للكمال، ولكن نتيجة لبعض العوامل والمؤثّرات الخارجيّة تحصل فيه تغيّرات تصل به إلى كمال جديد بالتّدريج- وتسمّى نموّاً-، ولا يمكن نسبة مثل هذه الأمور إلى الله تعالى، كما مرّ توضيحه في موضوع الصّفات السّلبيّة.

أمّا المفهوم الثّاني: فإنّه مفهوم كمالي في حقيقته وإن اقترن في بعض مصاديقه الإمكانيّة ببعض النقائص والتحديدات، ولكن يمكن أن نتصوّر له مرتبة لا متناهية ليس فيها أيّ نقص أو تحديد أو احتياج، كما هو الأمر في مفهوم الوجود ومفهوم الكمال.

والحياة بمعناها الملازم للعلم والفاعليّة الإراديّة من مستلزمات الوجود غير المادّي، وذلك؛ لأنّه وإن نسبت الحياة إلى الكائنات المادّيّة الحيّة، ولكنّ الحياة في واقعها صفة لروحها، لا لبدنها، وإنّما يتّصف بها البدن لتعلّق وارتباط الرّوح به، وبعبارة أخرى: كما أنّ الامتداد من لوازم الوجود الجسماني، فكذلك الحياة من لوازم الوجود المجرّد (غير الجسماني). ومن هنا ينشأ دليل آخر على الحياة الإلهيّة وهو: أنّ الذّات الإلهيّة المقدّسة مجرّدة غير جسمانيّة. كما أثبت في الدّرس السّابق. وكلّ موجود مجرّد واجد بذاته للحياة، إذن فالله تعالى واجد للحياة بذاته.

ب- العلم

مفهوم العلم من أكثر المفاهيم وضوحاً وبداهة، ولكنّ مصاديق هذا المفهوم الّتي نعرفها في المخلوقات، هي مصاديق ناقصة محدودة، ومفهوم العلم بهذه الخصائص الّتي تتّصف بها المخلوقات ككونه زائداً على الذات مثلاً لا يُمكن أنْ يصدق على اللّه تعالى، ولكنّ العقل - وكما ذكر سابقاً - يُمكنه أنْ يتصوّر لهذا المفهوم الكمالي مصداقاً ليس فيه أيّ نقص أو تحديد، وهو عين ذات العالم، وهذا هو العلم الذّاتي للّه تعالى.

ويُمكن إثبات علم اللّه تعالى - بالإضافة للدليل العامّ المتقدِّم - من طرق عديدة نكتفي بواحد منها، وهو: الاستعانة على إثبات ذلك بدليل النّظام[1] حيث سبق القول بأنّ الأثر يدلّ على المؤثّر وعلى جملة من خصوصيّاته؛ فإنّ أيّ ظاهرة أو مخلوق كلّما إزداد دقّة وإحكاماً واتّقاناً في النّظام، ازداد دلالة على علم خالقه، كما هو الملاحظ في الكتاب العلمي، أو القصيدة الرّائعة، حيث تدلّ على مدى ما يملكه مبدعها من ثقافة وذوق وخبرة، ولا يمكن لعاقل أن يتصوّر أنّ الكتاب العلميّ أو الفلسفي قد كتبه شخص جاهل غير مثّقف. إذن فكيف يحتمل أن يخلق هذا الكون العظيم بكل ما فيه من أسرار ونظام مدهش موجود غير عالم!

إشارة: إنّ للاعتقاد والإيمان بالعلم الإلهي وسعته دوراً كبيراً في بناء شخصيّة الإنسان؛ ولذلك كان تأكيد القرآن الكريم وتشديده على هذه الحقيقة، ومن الآيات الشّريفة في ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[2].

(١) وقد تقدم شرحة في أدلّة اثبات وجود اللّه تعالى.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٩.

ج- القدرة

تطلق القدرة على الفاعل الّذي يؤدّي عمله بإرادته واختياره. إذن فالقدرة عبارة: عن كون الفاعل المختار هو المبدأ والمصدر لأفعاله. وكلّما كان الفاعل أكثر تكاملاً من حيث المرتبة الوجوديّة كان أكثر قدرة؛ لأنّ الوجود هو منبع الكمال، وبطبيعة الحال فالموجود الّذي يتوفّر على الكمال اللّامتناهي له قدرة غير محدودة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]، ويعدّ وجود النّظام، والإتقان، والإحكام دليل على قدرة اللّه تعالى.

تنبيهات حول القدرة

بمناسبة الكلام عن القدرة يجب التأكيد على عدد من الملاحظات:

١ ـ إنّ الشيء الّذي تتعلّق به القدرة لا بُدَّ أنْ يكون ممكن التّحقّق؛ لأنّ الشّيء المحال في ذاته، أو المستلزم للمحال، لا تتعلّق به القدرة، وهذا ليس من جهة قصور القدرة في الفاعل، بل من جهة عدم قابليّة المستحيل للتحقّق، وإلّا لما كان مستحيلاً، كوجود إله آخر، أو أن يُخلق الابن قبل أبيه. وبعبارة علميّة «**إنّ العجز في قابليّة القابل في فاعليّة الفاعل**». وقد جاء في الرواية أنّه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربّك أن يُدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغّر الدنيا أو يكبّر البيضة؟ فقال عليه السلام: «**إنّ اللّه تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز، والّذي سألتني لا يكون**»[2].

٢ ـ إنّ القدرة على كلّ شيء لا تُلزم صاحبها أن يحقّقَ كلّ الأعمال الّتي يقدر عليها، وإنّما يُحقّق الأعمال الّتي يريدها، واللّه تعالى حكيمٌ لا يريد إلّا الأفعال الصّالحة والحكيمة، ولا يحقّق إلّا مثل هذه الأعمال، وإن كان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٢) كتاب التوحيد، الشيخ الصدوق، باب القدرة، حديث ٩.

قادراً على الأعمال القبيحة والمنكرة أيضـاً. فإن لم يفعل القبيح والمنكر كالظلـم والتكليف بما لا يُطاق، فليس لأنّه غيـر قادر، بل لأنّ فعل القبيح منافٍ للحكمة والكمال اللامتناهي. وسيأتي الكلام حول الحكمة الإلهيّة.

٣. إنّ القدرة بالمعنى الّذي ذكرناه، متضـمّنة للاختيار أيضـاً، فكما أنّ اللّه تعالـى يملـك أكمـل مراتب القـدرة وأرقاها، كذلـك يملك أكمـل مراتب الاختيار، ولا يمكن لأيّ عامل أو ظرف أن يقهره ويجبره على القيام بعمل، أو أن يسـلب منه الاختيـار، وذلك؛ لأنّ وجود كلّ موجود وقدرته مسـتمدّة منه تعالى، ولا يمكن أن يكون مقهوراً للقُوى والقدرات الّتي أفاضـتها ذاته تعالى لغيره.

خلاصة الدرس

- الصـفات الثبوتيّة هي كلّ صـفة تُثبت كمالاً مطلقاً للذّات الإلهيّة، وهي على قسمين: الصفات الذاتيّة والصفات الفعليّة.

١- **الصفات الذاتيّة:** هي الصـفات المنتزعـة من نفس الذّات الإلهيّة، بغضّ النظر عن العلاقة مع المخلوق، كالعلم والقدرة والحياة.

٢- **الصفات الفعليّة:** هـي الصـفات المنتزعـة مـن نـوع علاقـة بين اللّه ومخلوقاته، كالخالقيّة والرازقيّة.

- لإثبات الصـفات الثبوتيّة للّه تعالى هناك دليل عامّ وهو القاعدة البديهيّة القائلة: (فاقد الشـيء لا يُعطيه). وبما أنّ الحياة والعلم والقدرة موجودة في المخلوقات بدرجة ما، فلا بدّ أن يكون موجدها وخالقها ذا حياة وعلم وقدرة لا متناهية.

- حياة الله هي بمعنى الشعور والإرادة ولكن بمرتبة لامتناهية. والحياة بمعناها الملازم للإرادة من مستلزمات الوجود غير المادّيّ، ونسبة الحياة إلى الكائنات المادّية الحيّة باعتبار روحها لا بدنها، ومن هنا يُستدل على الحياة الإلهيّة: أنّ الذّات الإلهيّة مجرّدة، وكلّ موجود مجرّد واجد بذاته للحياة. فإذاً الذّات الإلهيّة واجدة للحياة بذاتها.
- يمكن إثبات عِلم الله تعالى من خلال مخلوقاته البديعة الّتي تدلّ على الخالق العالِم.
- تُطلق القدرة على الفاعل الذي يؤدّي عمله بإرادته واختياره، ويُعدّ وجود النظام والإتقان والإحكام دليل قدرة الله تعالى.
- لا تتعلّق القدرة بالأمر المحال وذلك؛ لا من جهة قصور الفاعل بل من جهة عدم قابلية المستحيل للتحقيق.



أسئلة

1. عرّف الصّفات الذاتيّة، والفعليّة؟
2. ما هو الدليل العام لإثبات الصّفات الذاتيّة؟
3. ما هو معنى الحياة الّذي يمكن إطلاقه على الله تعالى، وما الدليل عليها؟
4. ما هو المقصود من القدرة؟
5. هل تتعلّق القدرة بالأمر المحال، ولماذا؟





الدرس السابع

الصفات الفعليّة

(الخالقيّة، الربوبيّة، الألوهيّة)



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الصفات الفعلية.

٢. أن يعدِّد بعض الصفات الفعليّة.



تمهيد:

تقدّم في الدّرس السّابق أنّ الصّفات الفعليّة عبارة عن المفاهيم الّتي تنتزع من مقارنة الذّات الإلهيّة بمخلوقاتها من خلال ملاحظة نسبة وإضافة ورابطة معيّنة بينهما، وأنّ الخالق والمخلوق يمثّلان طرفي الإضافة، أمثال مفهوم «**الخالقيّة**»، الّذي ينتزع من ملاحظة ارتباط وجود المخلوقات بالله تعالى، وإذا لم يلاحظ هذا الارتباط بينهما لم يمكن انتزاع هذا المفهوم. وكذلك الرزّاق، والغفّار، والرّب، وغيرها الكثير من الصفات الفعلية[1].

(١) ينبغي التّنبيه إلى أنّه حينما تتصوّر الرّابطة بين الله تعالى والموجودات المادّيّة، وعلى ضوئه تنتزع الصّفة الفعليّة المعيّنة لله تعالى، فإنّ هذه الصّفة سوف تتحدّد ببعض القيود الزّمانيّة والمكانيّة، بلحاظ تعلّقها بالموجودات الممكنة الوجود والمقيّدة والناقصة والّتي تمثّل أحد طرفي الإضافة، وإن كانت هذه الصّفة بلحاظ تعلّقها بالله تعالى الّذي يمثّل الطّرف الآخر للإضافة منزّهة عن مثل هذه القيود والحدود. فإنّ إفاضة الرّزق إلى الشّخص مثلاً، إنّما تتمّ في ظرف زماني ومكاني معيّنين، ولكنّ هذه القيود والحدود في واقعها متعلّقة بذلك الشّخص المرتزق، لا بالرّازق. وتبقى الذّات الإلهيّة مطلقة ومنزّهة عن أيّة نسبة زمانيّة ومكانيّة؛ لأنّ هذه القيود والحدود لا تمسّ الذّات فلا تتغيّر ولا تتقيّد. وهذه الملاحظة تعتبر المفتاح لمعالجة الكثير من الشّبهات الّتي أثيرت في موضوع معرفة الصّفات والأفعال الإلهيّة، وأدّت إلى النّزاعات بين العلماء والمفكّرين.

الخالقيّة

بعد إثبات واجب الوجود، وأنّه العلّة الأولى لوجود الموجودات الممكنة، وبملاحظة أنّها جميعاً محتاجة في وجودها إلى الله، تنتزع من ذلك صفة الخالقيّة لواجب الوجود، والمخلوقيّة للممكّنات. ومفهوم «**الخالق**» الّذي يتوصّل إليه من خلال هذه العلاقة الوجوديّة مساوٍ للعلّة الموجدة وكلّ الموجودات الممكنة المحتاجة، الّتي تمثّل طرف الإضافة متّصفةً بصفة المخلوقيّة. ونفس وجود المخلوقات، دليل خالقيّته تعالى وإن لم يكن محتاجاً إلى الحركة والفعل في إيجاده- كما هو الحال في فعل الإنسان الّذي يحتاج في إيجاد وخلق أيّ شيء إلى توسّط مادّة أو أشياء أخرى- لأنّه تعالى منزّه عن خصائص الموجودات الجسمانيّة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وقد أشارت الرّوايات إلى أنّه لا يتوسّط بين إرادته، ومراده تعالى، أيّ شيء حتّى القول؛ فإنّه تعالى إذا أراد شيئاً كان.

الرّبوبيّة

إنّ المخلوقات كما تحتاج إلى الله تعالى في أصل وجودها كذلك تفتقر إليه في كلّ شؤونها الوجوديّة، وليست لها أيّة استقلاليّة عنه تعالى، وله تعالى التّصرّف فيها بما يشاء، ويدبّر أمورها بما يريد. وحين نلاحظ هذه الرّابطة بصورة عامّة، ننتزع منها مفهوم «**الرّبوبيّة**» الّذي من لوازمه تدبير الأمور، وله مصاديق عديدة، كالحافظ، والمحيي والمميت والرّازق والآمر والناهي وأمثالها؛ لأنّها جميعاً من شؤون الرّبوبيّة والتّدبير.

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

الرّبوبيّة التكوينية والتشريعية



ويمكن تقسيم الأمور المرتبطة بالرّبوبيّة إلى مجموعتين:

١- **الرّبوبيّة التّكوينيّة:** وهي الّتي تشمل تدبير الأمور لكلّ الموجودات. سواء العاقلة منها وغيرها. وتأمين احتياجاتها، وبكلمة واحدة «**تدبير العالم**».

٢- **الرّبوبيّة التشريعيّة:** وتعني تدبير شؤون الموجود بواسطة التّشريعات من الأمر والنهي وغيرهما، وهي مختصّة بالموجودات الّتي تمتلك الشّعور والاختيار، وذلك بواسطة بعث الأنبياء عليهم السلام، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب السّماويّة، وتعيين الوظائف والتّكاليف، ووضع الأحكام والقوانين.

إذن فالرّبوبيّة الإلهيّة المطلقة تعني: أنّ المخلوقات في كلّ شؤونها الوجوديّة مرتبطة باللّه تعالى، وأنّ العلاقات والرّوابط بينها تنتهي بالتّالي إلى ارتباطها بالخالق، وهو تعالى الّذي يدبّر بعض المخلوقات بواسطة البعض الآخر، وهو الّذي يفيض الرّزق من خلال مصادر الرّزق الّتي يوفّرها ويخلقها، وهو الّذي يهدي الموجودات الّتي تملك الشّعور من طريق الوسائل الداخليّة (كالعقل وسائر القوى الإدراكيّة) والوسائل الخارجيّة (كالأنبياء عليهم السلام والكتب السّماويّة) وهو الّذي يضع للمكلفّين الأحكام والقوانين، ويضع الوظائف والتّكاليف. وجميع ما ذكر هو من شؤون ووظائف الرّبوبيّة والتّدبير.

وتوضيحاً لذلك: إنّه تعالى كما أراد وجود الكون والإنسان فوجدا، أراد الصّلاة والطّاعات فأمر بها، فكلاهما مراد للمولى إلّا أنّ الأوّل أراده بالإرادة التّكوينيّة، والثّاني بالإرادة التّشريعيّة، والفرق بينهما أنّ الوجود والتحقّق - في الأولى - خارجاً لا يختلف ولا يتخلّف، ولا يتوقّف على شيء سوى إرادة المولى للإيجاد ولو من خلال إرادته للسّبب التّكويني الاضطراري. وهذا نوع تدبير تكويني.

بينمـا تحقّق الفعل خارجاً - في الثّانيـة - متوقّف على اختيار العبد وإرادته؛ لأنّ إرادته تعالى تعلّقت بالفعل الصّادر عن اختيار وإرادة عبده.

الخالقيّة دليل الربوبيّة

لو تـمَّ التأمّل بدقّة في مفهوم الخالقيّة والرّبوبيّة، سيتّضـح أنّ هناك تلازماً بين هاتين الصّـفتين، ويسـتحيل أن يكون ربُّ الكون غيرَ الخالق له، بل إنّ الّذي خلـق المخلوقات بتلـك الخصـائص المعيّنة والعلاقـات فيما بينهـا، هو الّذي يحافظ عليها ويدبّرها، وفي الواقع إنّ مفهوم الرّبوبيّة والتّدبير منتزع من كيفيّة خلـق المخلوقات ومراعاة انسـجامها وتكاملها مع بعضـها «**فالخلـق والرّبوبيّة متلازمـان لا ينفـكّ أحدهما عن الآخـر؛ لأنّ الخلق تدبير بلحـاظ، والتّدبير خلق بلحاظ آخر**». ولذلك يمكن بوضـوح جعل الخالقيّة دليلاً على الربوبيّة بكلّ شؤونها وأنواعها.

الألوهيّة

إنّ «**الإله**» بمعنى «**المعبود**» أو «**الّذي يستحقّ العبادة والطّاعة**» وعلى ضـوء هـذا المعنى، فإنّ الألوهيّة صـفة تنتزع من خلال تصـوّر إضـافة عبادة العباد وطاعتهـم لله تعالـى، فـإنّ الضّـالين وإن اتّخذوا آلهـة باطلة لهـم، ولكنّ الّذي يستحقّ العبادة والطّاعة هو الله؛ لأنّ استحقاق العبادة يعدّ نتيجة طبيعيّة ولازمة لكونـه خالقاً وربّاً مدبّراً. وهذه الدرجة من الاعتقاد هي الحدّ الأدنى الّذي يلزم توفّره في كلّ إنسـان بالنّسبة للاعتقاد بالله تعالى، أي: بالإضافة إلى إيمانه بأنّ الله واجب الوجود، وأنّه الخالق والمدبّر، ومن يخضـع العالم لإرادته، يلزم عليه أيضـاً أن يؤمن بأنّه الّذي يسـتحقّ العبادة والطّاعة. ومن هنا أخذ هذا المفهوم في شعار الإسلام (**لا إله إلّا الله**).



خلاصة الدرس

. **صفة الخالقيّة لله تعالى:** تُنْتَزَع من كونه واجب الوجود والعلّة الأولى لوجود الموجودات الممكنة، وبملاحظة أنّها جميعاً محتاجة في وجودها إلى اللّه تعالى.

صفة الربوبيّة: تعني أنّ المخلوقات كما تحتاج إلى اللّه تعالى في أصل وجودها كذلك تفتقر إليه في كلّ شؤونها، فله تعالى التصرّف فيها بما شاء، ويدبّر أمورها بما يُريد.

. **تنقسم الأمور المرتبطة بالربوبيّة إلى مجموعتين:**

الأولى: الربوبيّة التكوينيّة: وتعني تدبير أمور الموجودات جميعاً وتأمين احتياجاتها. ولو من خلال بعض الموجودات الأخرى كالملائكة وغيرها.

الثانية: الربوبيّة التشريعيّة: وتعني تدبير شؤون الموجودات بواسطة التشريعات المختصّة بالموجودات الّتي تمتلك الشعور والاختيار.

- لا تفكيك بين الخالقيّة والربوبيّة بل هما متلازمان لأنّ الربوبيّة والتدبير منتزعان من كيفيّة خلق المخلوقات.

أسئلة



1. **كيف ننتزع صفة الخالقيّة لله تعالى؟**
2. **ما هو معنى الربوبيّة، وما الفرق بين الرّبوبيّة التكوينيّة والربوبيّة التّشريعيّة؟**
3. **هل يمكن التفكيك بين الرّبوبيّة والخالقيّة؟**



الدرس الثامن

الصفات الفعليّة

(الحكمة، الكلام)



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الحكمة الإلهية.

٢. أن يتعرّف إلى معنى الكلام والصدق الإلهي.





الحكمة

ويتّصـف بها الفاعل بلحاظ كـون أفعاله ذات غاية وهدف فـي مقابل العبث واللّغو.

وبمـا أنّ الإرادة الإلهيّة لا تتعلّق بإيجاد الشّـيء عبثاً وجزافاً وبدون حكمة، بل ما تتعلّق به الإرادة الإلهيّة أصـالة هو جهة الكمال والخير في الأشياء، وبما أنّ تزاحم المادّيّات فيما بينها، يؤدّي إلى عروض النّقص والضّرر على بعضها بفعـل البعض الآخر منها؛ ولذلك فإنّ المحبّة الإلهيّة للكمال تقتضـي أن يوجد المجموع بشـكل يترتّب عليه الخير والكمال الأكثر والأغلب، ومن ملاحظة هذه العلاقات والرّوابط يتوصّـل إلى انتزاع مفهوم «**المصلحة**»، وإلّا فإنّ المصلحة ليس لها وجود مسـتقلّ عن وجود المخلوقات، له تأثيره في وجودها، حتّى يكون لـه تأثيـره في الإرادة الإلهيّة، أي: ليس هناك وجود خارجي مسـتقلّ يسـمّى بـ «**المصلحـة**» يؤثّـر في وجود المخلوقات فضـلاً عن القـول بتأثيره في الإرادة الإلهيّـة.

والحاصل: إنّ الأفعال الإلهيّة إنّما تنشـأ من صـفاته الذّاتيّة كالعلم والقدرة

وحبّه للكمال والخير؛ لذلك فإنّ هذه الأفعال لا يمكن أن تكون فاقدة للمصلحة وإنّما تتحقّق دائماً متوفّرة على المصلحة، أي: يترتّب عليها الخير والكمال الغالب، ويعبّر عن مثل هذه الإرادة بـ «**الإرادة الحكيمة**»، ومن هنا تنتزع صفة للّه تعالى من الصّفات الفعليّة تسمّى بصفة «**الحكيم**».

تنبيه حول الغاية الأصلية والغاية الثانوية

يجب التأكيد على أنّ القيام بفعل لأجل المصلحة، لا يعني أنّ المصلحة هي العلّة الغائيّة للّه تعالى، بل إنّ المصلحة تعتبر هدفاً ثانويّاً وتبعيّاً، وأمّا الغاية الأصليّة لأفعال اللّه فهي حبّه للكمال اللّامتناهي الذّاتي، الّذي يتعلّق بالتّبع بآثاره، أي بكمال الموجودات، ومن هنا قالوا بأنّ العلّة الغائيّة للأفعال الإلهيّة هي العلّة الفاعليّة نفسها[1]، وليس للّه غاية مستقلّة وزائدة على ذاته، ولكنّ هذه الفكرة لا تتنافى واعتبار الكمال والخير والمصلحة في الموجودات غايةً فرعيّة وتبعيّة؛ ولذلك علّلت الأفعال الإلهيّة في القرآن الكريم ببعض الأمور والغايات الّتي تنتهي إلى كمال المخلوقات وخيرها وتعود فائدتها للمخلوق نفسه. فقد ذكرت الآيات القرآنيّة أنّ الامتحان والابتلاء واختيار أفضل الأعمال، وعبادة اللّه، والوصول إلى الرّحمة الخاصّة الأبديّة الإلهيّة[2]، هي الأهداف والغايات

---

(١) تقسّم العلّة باعتبار مساهمتها في إيجاد المعلول المادّي إلى:

١-العلّة المادّيّة: أو العنصر الّذي يشكّل الأرضيّة لظهور المعلول، وهو باقٍ في ضمنه مثل العناصر المكوّنة للنباتات.

٢-العلّة الصّوريّة: وهي عبارة عن الصورة والفعليّة الّتي توجد في المادّة وتصبح منشأ لظهور آثار جديدة فيها، مثل الصورة النباتية.

٣-العلّة الفاعليّة: أي الّتي يوجد منها المعلول مثل الذي يوجد الصورة في المادّة.

٤-العلّة الغائيّة: أي ذلك الدافع في الفاعل لإنجاز الفعل، مثل الهدف الّذي يأخذه الإنسان بعين الاعتبار لأفعاله الاختياريّة وهو يقوم بأفعاله لأجل الوصول إليها. (راجع المنهج الجديد، العلامة مصباح اليزدي، ج٢، ص١٤).

(٢) لاحظ الآيات التالية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة هود، الآية: ٧)، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (سورة الملك، الآية: ٢)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف، الآية: ٧).

لخلق الإنسـان. وكلّ واحدة من هذه الغايات ممهّدة للغاية الأخرى، على التّرتيب المذكور.

الكلام الإلهيّ

ومن المفاهيم الّتي نسبت إلى الله تعالى مفهوم التكلّم - وقد بحث منذ زمن بعيـد حول الكلام الإلهيّ بين المتكلّمين، حتّى قيل: إنّ السّـبب في تسـمية هذا العلـم بـ (علم الـكلام) هو خوض أصـحاب هذا العلم في البحـث حول الكلام الإلهيّ - حيث اعتبرته الأشـاعرة من الصّـفات الذّاتيّة، بينما اعتبرته المعتزلة مـن الصّـفات الفعليّة. وقد وقع نزاع شـديد بين هذين المذهبيـن حول: هل أنّ القـرآن وهـو كلام الله مخلوق أم غير مخلوق؟ وقد وصـل الأمـر بينهما إلى حدّ التّكفير، بسبب اختلاف الآراء في هذا الموضوع.

ومع ملاحظة التّعريف الّذي ذُكر للصّـفات الذّاتيّة والصّـفات الفعليّة يظهر بوضـوح: أنّ التكلّمّ من صـفات الفعل، حيث يتوقّف انتزاعه على تصوّر مخاطب يتلقّى مقصود المتكلّم ومراده بواسطة سماع صوت، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1]، أو رؤيـة كتابـة، أو خُطور مفهوم في ذهنه، أو بأيّة صـورة وطريقة أخـرى، وفـي الواقع إنّ مفهـوم المتكلّم ينتزع من الرّابطة بيـن الله تعالى الّذي يريد أن يكشـف عـن حقيقة معيّنة لموجود آخر، ومخاطـب يدرك تلك الحقيقة ويتلقّاهـا. وأمّـا القـرآن الكريم، بمعنـى هذه الكلمـات المكتوبـة أو الألفاظ أو المفاهيـم الموجـودة في الأذهان. وما ذكـر من التأويلات حـول الكلام الإلهي والقرآن الكريم بعيدة عن الفهم العرفي للمحاورات، ويلزم تجنّبها.

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

الصّدق

والكلام الإلهيّ إذا تضمن الأمر والنهي والإنشاء، فإنّه يحدّد بتلك العبارات الأحكام والوظائف العمليّة للعباد، ولا يُمكن اتّصافه بالصّدق والكذب؛ لأنّ الإنشاء لا يتّصف بالصّدق والكذب أساساً، ولكن لو تضمّن الإخبار عن الحقائقِ الموجودة، أو الأحداث الماضيّة والمستقبَلة فيتّصف بالصّدق كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾[1]. وبإثبات هذه الصّفة يؤسّس لنوع آخر من الاستدلال، هو «**الاستدلال النّقلي والتّعبّدي**» لإثبات المسائل الفرعيّة للنّظرة الكونيّة (المسائل العقائدية الفرعية)، وإثبات الكثير من مسائل الإيديولوجية (فروع الدّين).

الدّليل

ومن الأدلّة العقليّة الّتي يمكن إقامتها لإثبات هذه الصّفة: أنّ كلام اللّه إنّما هو من شؤون الرّبوبيّة الإلهيّة وتدبير الكون والإنسان، ويعتمد على أساس العلم والحكمة، ولتوجيه المخلوقات وهدايتها، وتوفير الوسيلة لنقل المعلومات والمعارف الصّحيحة للمخاطبين، فإذا احتمل فيه الكذب والمخالفة للواقع فسيؤدّي إلى عدم الوثوق بكلّ هذه المسائل وبالتّالي عدم الاعتماد عليها، ولازمه نقض الغرض، وهو مخالف للحكمة الإلهيّة.

بالإضافة إلى أنّ الكذب نقصٌ، وقد تقدّم إثبات تنزّهه تعالى عن كلّ نقص.

تنبيه: ينبغي الإشارة إلى أنّ الصّفات الفعليّة قد تلحظ من حيث مبادئ نشوئها، فتؤوّل وترجع إلى الصّفات الذّاتيّة، كما في الخالقيّة إذا فسّرت بالقادر على الخلق فيرجع إلى القدرة، والسّميع والبصير لو فسّرناهما بالعالم

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.

بالمسموعات والمبصرات فتؤوّل إلى العليم. وهناك بعض الصّفات الذّاتيّة قد يتصوّر لها معنى إضافي وفعلي فتؤوّل إلى الصّفات الفعليّة مثل: مفهوم العلم حيث استعمل في القرآن الكريم بمعنى الصّفة الفعليّة(١).

خلاصة الدرس

- حكمة اللّه تعالى تعني أنّ أفعاله سبحانه ذات غاية وهدف ومصلحة وليست عبثاً ولغواً.
- إنّ القيام بفعل لأجل المصلحة، لا يعني أنّ المصلحة هي العلّة الغائيّة للّه تعالى، بل إنّ المصلحة تُعتبر هدفاً ثانويّاً وتبعيّاً، وليس لها وجود مستقلّ يؤثّر على إرادة اللّه سبحانه، وأمّا الغاية الأصليّة لفعل اللّه تعالى فهي حبّه للكمال اللامتناهي الذاتي، الّذي يتعلّق بالتبع بآثاره، أي بكمال الموجودات.
- إنّ التكلّم من صفات الفعل، حيث يتوقّف انتزاعه على تصوّر مخاطب يتلقّى مقصود المتكلّم ومراده بواسطة سماع صوت أو رؤية كتابة أو خطور مفهوم في ذهنه، أو بأيّة صورة أخرى.
- من الأدلّة العقليّة لإثبات صدق اللّه تعالى: أنّ كلامه سبحانه إنّما هو من شؤون الربوبيّة وتدبير الكون، ويعتمد على أساس الحكمة والعلم، ولتوجيه المخلوقات وهدايتها، وتوفير الوسيلة لنقل المعارف للمخاطبين، فإذا احتمل فيه الكذب فسيؤدّي إلى عدم الوثوق، ولازمه نقض الغرض.

(١) قال تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ (سورة الأنفال، الآية: ٦٦). وغيرها الكثير من الآيات القرآنية.



أسئلة

١. ما هو معنى الحكمة، وما المقصود من وصفه تعالى بالحكيم؟

٢. حدّد الغاية الأصليّة لله تعالى من ايجاده المخلوقات؟

٣. وضّح حقيقة الكلام الإلهي؟

٤. ما هو الدليل على صدق كلامه تعالى؟



الدرس التاسع

التّوحيد ونفي الشرك



أهداف الدرس:

١. أن يعدّد الطالب بعض عوامل الشرك.

٢. أن يتعرّف إلى معنى الولاية التكوينيّة.

٣. أن يعدّد احتمالات الشرك.



عوامل الشّرك وأنواعه

إنّ المعتقدات المشركة وجدت بين النّاس نتيجة عوامل مختلفة:

منها: مشاهدة تنوّع الظّواهر الكونيّة فاعتقد البعض أنّ كلّ نوع خاضع لتدبير إله معيّن، واعتقد بعضهم بأنّ الخيرات مستندة لإله الخير، والشرور مستندة لإله الشرّ، ومن هنا قالوا بوجود مبدأين وإلهين للعالم وهم الثنويّة.

ومنها: ارتباط البشر القويّ بالمحسوسات ورغبتهم في معبود محسوس دفعهم لصناعة تماثيل وأصنام تمثل الإله المفترض، ثمّ اكتسبت هذه الأصنام أصالة وأصبحت آلهة بنظرهم.

ومنها: استغلال الجبابرة والطّغاة لهذه الأفكار المنحرفة ليضفوا على أنفسهم لوناً من الأُلوهيّة والرّبوبيّة، فليتحكّموا في رقاب النّاس دون أيّ رادع.

إنّ الشرك يرتكز في الغالب على الاعتقاد بربوبيّة مستقلّة لموجود آخر غير اللّه تعالى، مع اعتقاد الكثير من المشركين بالتّوحيد في الخالقيّة، ومن هنا قالوا بوجود آلهة عديدة مهمّتها فقط تدبير الكون والتصرّف فيه بصورة

مستقلّة، وأمّا الخالق فهو واحد وسمّوه «**ربّ الأرباب**» قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1].

الدليل على التوحيد ونفي الشرك

إنّ افتراض تعدّد الآلهة، لا يخلو من الاحتمالات الثّلاثة التّالية:

١- افتراض اشتراك جميع الآلهة المفترضة في خلق جميع الظّواهر والكائنات الكونيّة.

٢- افتراض أنّ كلّ إله مختصّ بخلق مجموعة من الظّواهر لا يشاركه في خلقها غيره.

٣- افتراض أنّ الإله الخالق لجميع الظّواهر الكونيّة واحد، وأمّا غيره من الآلهة فمهمّتها فقط التّدبير والرّبوبيّة المستقلّة للكون.

الردّ على الاحتمالات المنافية للتوحيد

أمّا الاحتمال الأوّل: فهو محال وباطل، وذلك؛ لأنّ القول بوجود أكثر من إله خالق مستقلّ يخلق الموجود الواحد (بمعنى أنّه العلّة الموجدة) يعني أنّ كلّ واحد منها يفيض وجوداً، ونتيجته تعدّد الموجود الواحد بعدد الآلهة المفترضة، مع أنّه - وبالوجدان - ليس لكلّ موجود إلّا وجود واحد. فإنّ قيل باشتراكها في إيجاد الواحد لزم منه عدم استقلاليّتها وبالتّالي عدم كونها آلهة لحاجتها لبعضها البعض.

وأمّا الاحتمال الثّاني: وهو اختصاص كلّ إله بخلق موجود أو مجموعة واحدة، فمن المعلوم أنّ مقتضى الاستقلاليّة في الإيجاد هي حاجة المخلوق إلى خالقه فقط حاجة مطلقة، وأنّه يرتبط بخالقه في أصل وجوده وفي بقائه

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

واسـتمراره، ولا يمكن أن يكون محتاجاً إلى أيّ موجود آخر مسـتقلّاً عن خالقه. فالمخلوقـات تحتاج إلى خالقها، ومخلوقـات خالقها فقط. ومثل هذا الافتراض للآلهة المتعدّدة لازمه وجود أنظمة متعدّدة في الكون بعدد الآلهة المفترضة، وكلّ واحد من الأنظمة المفترضـة مسـتقلّ ومنفصل عن الآخر، مع أنّ الكون محكوم بنظـام واحد، فهناك ارتباط وتفاعل بين جميع الظّواهـر الكونيّة الموجودة في زمان واحد.

وكذلـك يوجد ارتباط وحاجة بين الموجودات السّـابقة واللّاحقة، والظّواهر السـابقة تهيّئ وتمهّد للظّواهـر اللّاحقة، فكلّ أجزاء الكـون مترابطة ويحكمها نظـام واحد والنّظام الواحد لا يكون معلـولاً لأكثر من علّة موجدة واحدة. وبهذا البيان يثبت بطلان الاحتمال الثّاني.

وأمّا الاحتمال الثّالث: أي أنّ الخالق واحد ولكنّ الأرباب متعدّدون، فهو أيضاً باطل، وذلك؛ لما ذكر من أنّ المعلول قائم بكلّ شؤون وجوده بعلّته الموجدة له، وليس له أيّة استقلاليّة بنفسه، وليس لأيّ موجود آخر سبيل للتّصرّف والتّأثير فيه بشكل مستقلّ. وأمّا تصرّف وتأثير أيّ مخلوق في أيّ موجود آخر فهو تأثير خاضع لإرادة اللّه، وبأمر منه تعالى وهذا التّأثير ليس على نحو الرّبوبيّة الحقيقيّة، إذ إنّ حقيقة الرّبوبيّة تعني الاستقلال في التّأثير، هذا بالإضافة إلى ما أشير إليه سابقاً من عدم إمكانيّة الفصل بين الخالقيّة والرّبوبيّة للتّلازم الوثيق بينهما، ولازم التّفكيك بينهما حصول التناقض وهو لازم باطل.

الولاية التّكوينيّة

بما أنّه تمّ التّعرّض للتّأثير غير المستقلّ - أي: تأثير بعض المخلوقات بمخلوقات أخـرى بإذنه تعالى. كان المناسـب التّعرّض للولاية التّكوينيّـة والّتي يراد منها أنّ

اللّه تعالى يمنح بعض عباده كالأنبياء والأولياء والمعصومين عليهم السلام قدرة خاصّة -غير مألوفة- على التّأثير في الأمور التّكوينية، وهذا الأمر فضلاً عن إمكانه وعدم استحالته، فإنّه قد ثبت وقوعه -من خلال القرآن الكريم والرّوايات المعتبرة- لعدد من الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

منها: ما ذكره تعالى عن النّبيّ عيسى عليه السلام حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وغير ذلك من تصرّفات النّبيّ عيسى عليه السلام غير المألوفة ولا المقدورة للبشر العاديّين.

ومنها: قصّة عرش بلقيس ونقله على حاله كلمح البصر، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2]،

ومنها: قضيّة النّبيّ إبراهيم عليه السلام مع الطّير قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]،وغيرها الكثير.

فالاعتقاد بامتلاك بعض البشر لهكذا قدرة لا يعني الاعتقاد بربوبيّتهم -والعياذ بالله- بل هو حقيقة توحيديّة؛ لأنّه اعتقاد مشفوع باعتقاد آخر وهو عدم استقلاليّتهم في التّأثير، فهم محتاجون في وجودهم وقدرتهم إلى إذن اللّه ومشيئته وقدرته، وليس هذا على اللّه بعزيز. والولاية التكوينيّة حالها حال الولاية التّشريعيّة الثابتة للنّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة عليهم السلام وهي لا تنافي الرّبوبيّة

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

التّشــريعيّة للّه تعالى؛ لأنّها ولاية وجدت بإذن اللّه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1] وقال تعالــى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وكذلك الحــال في تدبير بعض المخلوقات لغيرهــا ولكن بإذن اللّه حيث يقرّها تعالــى بقولــه: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[3].

خلاصة الدرس

. للشرك عوامل عدّة منها:

١ـ تنوّع الظواهر الكونيّة.

٢ـ الارتباط القويّ للبشر بالمحسوسات.

٣ـ استغلال الجبابرة والطغاة.

. للشرك احتمالات ثلاثة:

١ـ افتراض اشتراك جميع الآلهة المفترضة في خلق جميع ظواهر الكون.

٢ـ افتراض أنّ كلّ إله مختص بخلق مجموعة من ظواهر الكون.

٣ـ افتراض أنّ الإله الخالق للكون واحد، وأمّا الربوبيّة والتدبير فهي لغيره.

. الرد على الاحتمالات

على الأوّل: إذا كان كلّ واحد مستقلّ في الخلق، يلزم تعدّد الوجود للموجود الواحــد، وهو خــلاف الوجــدان، وإذا اشــتركوا في الخلــق يلزم عدم استقلاليّتها وبالتالي عدم ألوهيّتها.

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٥.

علـى الثاني: يلزم منه تعدُّد الأنظمـة في الكون، مع أن للكون نظاماً واحداً، كما يدركه كلّ عاقل بالوجدان.

علـى الثالث: إنّ العلّة الموجدة يحتاجها معلولها وجوداً وبقاءً واسـتمراراً. وتأثير أيّ مخلوق في موجود آخر هو تأثير خاضع لإرادة اللّه تعالى.

.**الولايـة التكوينيّـة:** تعني أنّ اللّه تعالى يمنح بعض عباده كالأنبياء والأئمة عليهم السلام والأوليـاء قدرة خاصّـة علـى التأثير في المسـائل التكوينيّـة. وهذا غير مستحيل وقد ثبت وقوعه من خلال القرآن الكريم والروايات المعتبرة.



أسـئـلـة

١. عدّد عوامل الشرك وأنواعه.

٢. ما هي احتمالات الشرك، والردّ عليها؟

٣. وضّح المراد من الولاية التكوينية.



الدرس العاشر

أنواع ومراتب التّوحيد



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على التوحيد في الصفات.
٢. أن يتعرّف إلى معنى التوحيد الأفعالي.
٣. أن يعدّد نتائج التوحيد الأفعالي.



مراتب التّوحيد

إنّ لفظ التّوحيد يعني لغةً «**عدّ الشّيء وجعله واحداً**» وأمّا في مصطلح المتكلّمين فيظهر معناه من خلال أقسامه ومراتبه:

١. **الوحدانيّة أو نفي التعدّد:** وهو الاعتقاد بوحدانيّة اللّه، ونفي التعدّد والكثرة الخارجيّة عن الذات، وهذا المعنى يقابل الشِّرك الصَّريح والاعتقاد بإلهين أو آلهة متعدّدة، بحيث يكون لكلّ واحد منها وجود مستقلّ ومتميّز عن الآخر.

٢. **الأحديّة أو نفي التّركيب:** ويعني الإيمان بالأحديّة والبساطة الداخليّة للذات، وعدم تركّب الذات الإلهيّة من أجزاء بالفعل أو بالقوّة.

٣. **التّوحيد الصّفاتي أو نفي الصّفات الزائدة على الذّات:** ويعني الإيمان باتّحاد الصّفات الذّاتيّة مع عين الذّات الإلهيّة، ونفي الصّفات الزائدة على الذّات، ويذكر في الرّوايات بتعبير «**نفي الصّفات**» في مقابل بعض -كالأشاعرة- الّذين اعتقدوا بأنّ الصّفات الإلهيّة أمور زائدة على الذات، ممّا يستلزم تعدّد القدماء بتعدّد صفات الذات، وبما أنّ الصفات الذاتية عندهم سبعة فيصبح عدد القدماء مع الذات ثمانية.

الدّليل على التّوحيد الصّفاتي

لو كان لكلّ واحدة من الصّـفات الإلهيّة مصـداق ووجود مستقلّ، فلا يخرج ـ هذا المصداق ـ عن إحدى الحالات التّالية:

١- أن تُفرض مصاديقها في داخل الذّات الإلهيّة، ويلزم من هذا الافتراض، أن تكـون الـذّات الإلهيّـة مركّبة مـن أجزاء، وقـد تقدّم إثبات اسـتحالة التّركيب.

٢- أن تُفرض بأنّ مصاديقها خارج الذّات الإلهيّة، ولهذا الفرض صورتان:

الأولـى: أن نتصـوّرها واجبـة الوجود غير محتاجة إلـى خالق، وهذا يعني تعدّد الذّات الواجبة، وهو الشّرك الصريح، ولا يوجد مسلمٌ يلتزم به .

الثّانيـة: أن نتصـوّرها ممكنة الوجود ومخلوقـة للّه، ويلزم من ذلك، القول بأنّ الذّات الإلهيّة مع افتراض فقدانها لهذه الصّـفات، هي الّتي تخلق هذه الصّـفات وتوجدها، ثُمَّ بعد ذلك تتّصف بها، فمثلاً، تكون الذّات فاقدة للحياة ذاتاً، ثمّ تخلق موجوداً يسمّى «**الحياة**» وبعد ذلك تتّصف بصـفة الحياة، مع أنّه من المحال أن تكـون العلّة الموجدة فاقدة ذاتاً لأيّ كمال سيّما لكمالات مخلوقاتها، إضافة إلى أنّ فاقد الشّيء لا يمكن أن يعطيَه. وهو واضح البطلان.

وبهذا يتّضـح أنّ الصّـفات الإلهيّة ليست لها مصـاديق ووجودات مستقلّة كلّ واحـدة عن الأخـرى، ولا عن الذّات الإلهيّـة، بل إنّ هذه الصّـفات كلّها مفاهيم متغايرة مفهوماً، واحدة وجوداً، والعقل ينتزعها من مصـداق واحد بسـيط غير مركّب وهو الذّات الإلهيّة المقدّسة.

والتّغاير المفهومي كافٍ لانتزاع المفاهيم المتعدّدة والصـفات المتكثّرة كما ذكرنا سابقاً.

خلاصة الدّليل

إذا كان للصّفات وجود مستقلّ عن الذات مغاير لها، فإمّا أن يكون داخل الذّات فيلزم التّركيب وهو باطل، وإمّا خارج الذّات وهذا لا يخلو من أحد أمرين:

فإمّا أن يكون هذا الوجود المستقلّ واجب الوجود (وهذا شرك صريح)، وإمّا أن يكون ممكن الوجود (ويلزم منه كون فاقد الشيء معطيه وهو باطل بالضّرورة)، فصفاته تعالى عين بعضها البعض وهي عين الذات الإلهيّة.

التّوحيد الأفعالي

يعني إنّ اللّه تعالى - وهو واجب الوجود - غير محتاج في أفعاله لأيّ شيء، بل كلّ شيء معلول ومخلوق له ومحتاج إليه في كلّ شؤون وجوده، فالمخلوقات كما أنّها محتاجة إليه في أصل وجودها، كذلك هي في أفعالها محتاجة ومفتقرة إليه تعالى؛ لأنّها قائمة به، وليس للمخلوقات أيّة استقلاليّة في نفسها وأفعالها، وهي خاضعة لقدرة اللّه وسلطانه وملكيّته الحقيقيّة والتّكوينيّة، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بإذن اللّه، وبالقدرة الّتي يفيضها اللّه عليه، وأمّا فاعليّة المخلوقات وتأثيرها في غيرها، ففي طول فاعليّته تعالى وتأثيره، سواء منها الفاعل بالاضطرار كالنّار في إحراقها والشّمس في إشراقها - وهكذا كل الفواعل الطبيعية-، أم الفاعل بالاختيار كالأفعال الصادرة من الإنسان.

وبهذا البيان يتّضح لماذا أسند اللّه تعالى إلى نفسه في القرآن الكريم الآثار والأفعال الصّادرة من الأسباب الطّبيعيّة وغيرها تارة، وإلى فاعلها المباشر تارة أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ

(١) سورة الرّوم، الآية: ٤٨.

﴿يَعۡدِلُونَ﴾[1] ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2]، والإسناد إليه تعالى؛ لأنّه علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب والعلل، وإسنادها لغيره تعالى؛ لأنّه الفاعل المباشر، وإن كان بإذنه تعالى.

نتائج التّوحيد الأفعالي

إنّ من أبرز النّتائج المترتّبة على هذا الاعتقاد:

١- انحصار استحقاق العبادة والطّاعة بالله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[3].

٢- إنّ الإنسان الّذي يحمل الشّعور بهذا التّوحيد، فسوف يعتمد في كلّ أحواله على الله تعالى ويتوكّل عليه، ويستعين به فقط، فلا يطلب العون إلّا منه، ولا يخاف إلّا ربّه، ولا يرجو إلّا إيّاه، ولو انقطعت كلّ الأسباب المادّيّة عنه فإنّه لا يصاب باليأس، لعلمه القطعي بأنّه تعالى إذا أراد شيئاً كان، ولو من الأسباب غير العاديّة، وليعيش اطمئناناً خاصّاً في ظلّ الولاية الإلهيّة ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[4].

التّوسّل لا ينافي التوحيد الأفعالي

قد يتوهّم بعض أنّ التّوحيد الأفعالي يتنافى مع الاستعانة والتّوسّل بأولياء الله تعالى.

والجواب واضح من خلال ما تقدّم؛ لأنّ التّوسّل بهم ليس بمعنى استجابة الأولياء للمتوسّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عنه تعالى - والعياذ بالله - بل المراد

(١) سورة النّمل، الآية: ٦٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٤) سورة يونس، الآية: ٦٢.

أنّه تعالى بإذنه وإرادته جعل الوليّ وسيلة للتّوصّل إلى رحمته، مضافاً إلى أنّه تعالى هو الّذي أمر باتّخاذهم وسيلة، حيث قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1]، وأمّا الحكمة من جعلهم وسائل، والأمر بالتّوسّل بهم، فله أسباب، منها:

١- أن يعرّف النّاس بالمراتب العالية والدّرجات الرّفيعة الّتي وصلوا إليها.

٢- أن يوجد دوافع نحو الطّاعة، وليحاول الإنسان الوصول إلى أعلى المراتب الكمالية الممكنة من خلال جعلهم عليهم السلام المثل الأعلى.

٣- إنّ معرفة الأولياء ومعرفة مكانتهم عند الله تخلق إحساساً بالنّقص والتّقصير عند الإنسان، وهذا الإحساس يحول دون وقوع الإنسان العادي في الغرور والتكبّر نتيجة الطّاعات الّتي يفعلها.

خلاصة الدرس

. **للتوحيد أقسام:** الوحدانيّة، الأحديّة، التوحيد الصفاتي، التوحيد الأفعالي.

. **الواحدانيّة:** تعني نفي التعدُّد والكثرة الخارجيّة عن الذات، والأحديّة تعني نفي التركيب الداخلي في الذّات الإلهيّة.

. **التوحيد الصفاتي:** يعني نفي الصفات الزائدة على الذّات، والدليل على التوحيد الصفاتي: إذا كان للصفات وجود مستقلّ فإمّا أن يكون داخل الذّات فيلزم التركيب وهو باطل، وإمّا خارج الذّات وهذا لا يخلو من أحد أمرين: فإمّا أن يكون هذا الوجود المستقلّ واجب الوجود وهذا شرك صريح، وإمّا أن يكون ممكن الوجود فيلزم منه أن يكون فاقد الشيء معطٍ له وهو باطل بالضرورة.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

- **التوحيد الأفعالي:** يعني أنّ اللّه تعالى - وهو واجب الوجود- علّة العلل، وإليه تنتهي الأسباب، وإنّ أيّ تأثير لمخلوق في آخر إنّما يتمّ بقدرة اللّه وإرادته وتسبيبه.

- **للتوحيد الأفعالي نتائج، منها:**

١. انحصار استحقاق العبادة والطاعة باللّه تعالى.

٢. الاعتماد والاتّكال على اللّه سبحانه مسبّب الأسباب.

- التوسُّل بأولياء اللّه سبحانه لا يعني استجابة الأولياء للمتوسِّل بأنفسهم وبصورة مستقلّة عن اللّه تعالى، بل يعني أنّه بإذنه تعالى جعل الوليّ وسيلة للتوصّل إلى رحمته. وعليه لا يتنافى التوسُّل مع التوحيد الأفعالي.



أسئلة

١. **ما هو الفرق بين الوحدانيّة والأحديّة؟**

٢. **بيّن المقصود من التّوحيد الصّفاتي؟**

٣. **ما هو الدليل على التّوحيد الصّفاتي؟**

٤. **ما هو المقصود من التّوحيد الأفعالي؟**

٥. **ما هي حقيقة التوسّل والّتي لا تتنافى مع التّوحيد الأفعالي؟**



الدرس الحادي عشر

الجبر والاختيار



أهداف الدرس:

١. أن يعدِّد الطالب الأقوال في الجبر والاختيار.

٢. أن يتبيّن رأي الشيعة في الجبر والاختيار.







مذاهب واتجاهات

من المسـائل الاعتقاديّة الّتي وقع البحث فيها، وحصـل الخلاف حولها، هي مسألة أفعال الإنسان وكيفيّة صدورها منه، وقد تعدّدت فيها المذاهب:

١- **الجبر:** ويعني أنّ الإنسـان مجرّد آلة، ودمية يحرّكها اللّه تعالى، من دون أيّ اختيـار لـه في حصـول الفعل، وقد انطلـق هذا القائـل ـ أهل الحديث والأشـاعرة - مـن منطلق الحفاظ علـى التّوحيد الأفعالي؛ لأنّـه توهّم أنّ القـول بالاختيـار، وتأثير الإنسـان فـي أفعالـه - وكذلك تأثير الأسـباب الطّبيعيّـة ـ يتنافى مـع هذا التّوحيد فـي الخالقيّة، غافلاً عمّـا يلزم هذا القول، من عبثيّة بعث الأنبياء والرّسـل عليهم السلام وإنزال الكتب والتّشريعات، ولغويّـة الثّواب والعقاب، وبالتالي يلزم نسـبة الظلم إلى اللّه تعالى؛ لأنّه - حسـب قولهم - هو الفاعـل لأفعال المخلوقين حقيقـة، ومع ذلك يعذّبهم عليها، إن كانوا من أهل الكفر والمعاصي.

٢- **التفويض:** ذهب آخرون -وهم مفوِّضة المعتزلة- إلى أنّ اللّه تعالى أفاض القدرة على الإنسان وغيره ـ كالأسباب الطّبيعيّة ـ من بداية إيجادها، وفوّض

إليها أفعالها، بحيث لم يعد له تعالى أيّ سلطان على هذه المخلوقات في أفعالها، فالفعل الصادر من الإنسان ينسب حقيقة إليه فقط، ولا علاقة للّه به، لا من قريب ولا من بعيد.

وانطلق هؤلاء من الحفاظ على العدل الإلهيّ؛ باعتبار أنّ القول بالجبر يلزم منه ظلم اللّه لعبيده حيث أجبرهم على فعل المعصية ثمّ عاقبهم عليها، ولكنّهم غفلوا عن أنّهم سلبوا من اللّه قدرته وسلطانه، ونسبوا إليه العجز، فخالفوا التّوحيد الأفعالي ووقعوا في الشرك.

٣- أمر بين الأمرين: ذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام، تبعاً لما ورد عن أئمّتهم عليهم السلام إلى قول آخر دقيق وجليل، يحافظون من خلاله على العدل الإلهي، وفي نفس الوقت لا يلزم منه نسبة العجز إليه تعالى، فلا يقعون في الشّرك الأفعالي، وهو الطّريق الوسط المعبّر عنه في الأحاديث، كما عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام: «**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين**»[(١)].

وخلاصة هذا القول: إنّ أفعالنا تنسب إلينا حقيقة، ونحن أسبابها، وهي واقعة تحت قدرتنا واختيارنا، وفي نفس الوقت هي مقدورة للّه تعالى، غير خارجة عن سلطانه؛ فإنّه تعالى هو المفيض للوجود في كلّ لحظة، ومعطي القدرة والقوّة في كلّ آن، كما قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾[(٢)]، ولذلك أسندت إليه تعالى الأفعال حقيقة، فلم يجبرنا على أفعالنا ليكون قد ظلمنا بالعقاب على المعاصي؛ لأنّنا نملك القدرة والاختيار فيما نفعل - وهذا ندركه بالوجدان - ولم يفوّض إلينا إيجاد أعمالنا، إذ إنّنا نحتاج إلى ما يمدّنا به من قوّة وقدرة في كلّ آن - وهذا مقتضى فقرنا الذّاتي وحاجتنا المطلقة

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، باب الاستطاعة، ح ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

ـ ولو انتفى فيضه آناً ما لانتفى وجودنا فضلاً عن أفعالنا، فله الخلق والحكم، ولا حول ولا قوّة إلّا به تعالى.

ومن خلال هذه النّظريّة نفهم الآيات الّتي نسبت الأفعال إلى الفاعل المباشر - كالإنسان -تارة، ونسبتها إلى اللّه تعالى تارة أخرى، وكذلك الآيات الّتي ربطت وأناطت كلّ ما يحصل في الكون بإذن اللّه ومشيئته، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

شبهات وردود

تقدّمت الإشارة إلى أنّ قدرة الإنسان، على اتّخاذ القرار والاختيار أمر وجداني يدركه كلّ إنسان بالبداهة؛ إذ كلّ عاقل يدرك وبأدنى تأمّل أنّه قادر على التكلّم بكلام، وعدم التكلّم به، وقادر على تناول الطّعام وعدمه... وهكذا وهذا أمر بديهي لا يختلف عليه اثنان.

والإنسان عندما يصمّم على القيام بعمل ما، فإمّا أن يكون هادفاً لإشباع الدّوافع الغريزيّة كالأكل عند الجوع، والنّوم عند النّعاس وغيرهما من الدّوافع الغريزيّة، وإمّا أن يكون إشباعاً للدّوافع العقليّة كتناول المريض الدّواء المرّ لأجل الشفاء، وتحمّل طالب العلم المتاعب والمصاعب لأجل تحصيل العلم والمعرفة، وصبر المجاهد على المشاقّ وتجاوز العقبات وتحمّل الآلام للدّفاع عن الدّين والأرض وكلّ المبادئ والقيم السّامية.

ولا تظهر قيمة الإنسان إلّا عندما تتعارض وتتزاحم الرّغبات والدّوافع المختلفة الغرائزيّة والعقليّة، فإذا أحسن الإنسان الاختيار اعتماداً على الوعي والمعرفة المرتكزين على العقل والأنبياء عليهم السلام، ارتفع وارتقى في طريق الكمال

(١) سورة التكوير، الآية: ٢٩.

الروحي، وإن أساء الاختيار انحطّ وتسافل، ولكن - ومع وضوح هذه المسألة - وقعت بعض الشّبهات الّتي ينبغي الإجابة عليها.

١-شبهة منافاة الرغبات والوراثة للاختيار

إنّ إرادة الإنسان إنّما تتكوّن بفعل دفع الميول والرّغبات نحو الفعل، وكذلك العوامل الوراثيّة والبيئيّة لها أثرها في تكوّن الإرادة، وهذه العوامل - كلّها أو جلّها- لا تحصل للإنسان باختياره وعليه فالإرادة غير اختياريّة.

الجواب: إنّ الميول والرّغبات والعوامل الوراثية والبيئيّة ليست علّة تامّة تترتّب عليها الإرادة بشكل قهري؛ بحيث تسلب من الإنسان القدرة على مخالفتها؛ ولذلك مهما تعاظمت الميول والعوامل الوراثيّة، يتردد كثير من النّاس باتخاذ قرار بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه، وهذا التردّد كافٍ للحكم بأنّ الإرادة لا تحصل كنتيجة حتميّة للميول، فالميول معدّة للإرادة وجزء علّة لها وليست علّة حتميّة لها، ومع ذلك فإنّ مواجهة هذه العوامل ليس أمراً سهلاً، ولكنّ مقاومتها تجعل الإنسان أسرع تكاملاً، وأكثر أجراً وثواباً.

٢- منافاة العلم الإلهي الأزلي للاختيار

إنّ مقتضى العلم الإلهيّ الأزلي علمه بأفعال الإنسان قبل وقوعها، وعليه فلا بُدَّ أن يحصل الفعل كما هو معلوم للّه تعالى، وإلّا لخالف فعل العبد علم اللّه تعالى، ولزم نسبة الجهل للّه تعالى، حينئذٍ وعليه لا مجال للقول بالاختيار.

الجواب: إنّ العلم الإلهيّ تعلّق بكلّ ظاهرة وفعل كما هو عليه في الواقع، فالفعل الإنسانيّ - بما هو فعل اختياري- كان متعلّقاً للعلم الإلهيّ بوصف اختياريّته، فلو كان الإنسان مجبراً - حينئذٍ، يلزم نسبة الجهل للّه تعالى، دون ما لو حصل كما هو معلوم له تعالى أي بالاختيار.

الجبر والتفويض في كلام المعصوم عليه السلام

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يُطعْ بإكراه، ولم يُعصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه وهو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحُل وفعلوه، فليس هو الّذي أدخلهم فيه»[1].

وروي عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين**».

قال، فقلت: وما أمر بين أمرين؟ قال عليه السلام: «**مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينتهِ، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته، أنت الّذي أمرته بالمعصية**»[2].

خلاصة الدرس

. القائل بالجبر: - أهل الحديث والأشاعرة - يعني أنّ الإنسان لا اختيار له في حصول الفعل، وذلك حفاظاً على التوحيد الأفعالي.

ولكن يردّ: أنّ الجبر يلزم منه عبثيّة بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام وإنزال الكتب، ولغويّة الحساب والثواب والعقاب، و نسبة الظلم إلى اللّه تعالى.

. القائل بالتفويض: - مفوِّضة المعتزلة - يعني أنّ اللّه تعالى أفاض القدرة على الإنسان وفوّض إليه فعله، بحيث لم يعد له تعالى أيّ سلطان، وذلك حفاظاً على عدل اللّه سبحانه.

---

(١) كتاب التوحيد، الشيخ الصدوق، الباب ٥٩، الحديث ٧ و٩.

(٢) م.ن.

ولكن يرد: أنّهم بقولهم هذا يسلبون من اللّه قدرته ويقعون في الشرك الأفعالي.

. القائل بالأمر بين الأمرين: الشيعة - يعني أنّ أفعال الإنسان تقع باختياره، ولكن في نفس الوقت هي مقدورة للّه تعالى.

وبذلك لا نقع في الشرك الأفعالي ولا ننسب الظلم إلى اللّه سبحانه.

. شبهة: إنّ الإنسان بفعل العوامل الوراثيّة والبيئيّة يُسلب اختياره.

جواب: إنّ هذه العوامل ليست علّة تامّة للفعل فيستطيع الإنسان مجابهتها والتغلُّب عليها بإرادته.

. شبهة: إنّ اللّه عالمٌ بأفعال الإنسان قبل وقوعها، وعلمه بها يلزم عنه حصول الفعل جبراً؛ وإلّا لزم جهل اللّه تعالى عن ذلك.

جواب: علمُ اللّه تعلّق بالفعل الإنساني بما هو اختياريّ، فلو كان الإنسان مجبراً للزم جهل اللّه تعالى عن ذلك.



أسئلة

١. بيّن معنى الجبر والتفويض، ووجه بطلانهما.

٢. تحدّث بوضوح عن الأمر بين الأمرين.

٣. بما أنّ الإرادة تتكوّن نتيجة مجموعة عوامل، ورغبات غير اختياريّة، فهذا يعني أنّ الإنسان مجبر وليس مخيّراً. كيف تجيب على هذه الشبهة؟

٤. هل يتنافى العلم الإلهيّ الأزليّ مع الاختيار، ولماذا؟



الدرس الثاني عشر

القضاء والقدر والبَداء



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى القضاء والقدر.

٢. أن يميّز بين النسخ والبَداء.





تمهيد:

إنّ الكلام حول الجبر والاختيار يفتح المجال للكلام حول القضاء والقدر، ليتمكّن المسلم من فهمهما بوجه صحيح لا يتنافى مع الاختيار كما توهّمه بعض. والقضاء والقدر يجب الاعتقاد بهما، ففي الخبر عن الإمام عليّ عليه السلام: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة: حتّى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله بعثني بالحقّ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتّى يؤمن بالقدر**»[1].

١- معنى القضاء والقدر

إنّ القدر من المقدار، والتّقدير للأشياء بحسب الزّمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشّرائط، والقضاء هو فصل الأمر قولاً أو فعلاً.

فالله تعالى مثلاً: قدّر للشّجرة لكي تصبح شجرة أن يكون البذر صالحاً وقابلاً للنّموّ، وأن يوضع في التّراب المناسب، ويتهيّأ له الماء والهواء والحرارة الملائمة له، فإذا تحقّقت كلّ الشّروط، وتمّ التّقدير، قضى المولى عزّ وجلَّ بأن

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص٨٧.

يفترع البذر التّراب، وينمو ليصبح شجرة، فإذا تغيّرت مراحل التّقدير كلّها أو بعضها، دخلت في تقدير آخر، وبالتّالي أصبح لها قضاء آخر وهو اليباس.

وكذلك الحال بالنّسبة لأفعال الإنسان، فإنّ اللّه أعطى الإنسان الإرادة والاختيار، فإذا أفاض اللّه عليه القدرة، وحصل الدّاعي للفعل، واختار الفعل، ولم يمنع مانع من تحقّقه، قضى المولى - عزّ وجلّ - حينئذ بحصول الفعل، فإذا اختلّت بعض التّقديرات، انقلب التّقدير إلى تقدير آخر وبالتّالي إلى قضاء آخر.

وهذا المعنى مستفاد من الآيات والرّوايات، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1]، وفي الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**بعد سؤاله عن القدر: هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء**» ثمّ قال عليه السلام: «**إنّ اللّه إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدّره، وإذا قدّره قضاه وإذا قضاه أمضاه**»[2].

وبناءً على ما ذُكر يظهر عدّة أمور:

١- إنّ القضاء متأخّر عن القدر تأخّر المسبَّب عن سببه.

٢- إنّ القدر هو تحديد الأسباب والشّروط الّتي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء وتحتّم إلّا إذا منع منه مانع.

٣- إنّ حصول القدر تدريجي، وأمّا القضاء فيحصل دفعة واحدة، ولذلك لا يتعدّد ولا يتغيّر، والقدر قابل للتغيّر إذا تغيّرت بعض الأسباب والشّروط دون القضاء.

وعليه فكلّ ما يحصل في هذا الكون محكوم بالقدر والقضاء، فالقضاء بالمرض على الإنسان إذا تحقّق سببه وتقديره، والقضاء بالشّفاء عند تحقّق سببه وتقديره أيضاً، وكلٌّ من المرض والشّفاء خاضع لتقدير اللّه وقضائه وقد

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص١٢٢.

ورد في الحديث: «**قيل لرسول الله ﷺ: رقى[1] يستشفى بها، هل تردّ من قدر الله؟ فقال ﷺ: إنّها من قدر الله**»[2].

والحاصل: إنّ كلّ شيء يحصل في هذا الوجود فإنّما يحصل بإرادة اللّه وقدره وقضائه، غاية الأمر أنّ الشّيء المقدَّر لا يخلو إمّا أن يكون من أفعال العباد وإمّا من بقيّة الكائنات، فإن كان من أفعال العباد فاللّه أراده وقدّره بشرط اختيار العبد له، واللّه قضاه وأمضاه تبعاً لما يختاره العبد من الفعل والتّرك، وبهذا البيان يظهر عدم منافاة القضاء والقدر لاختيار الإنسان بل يؤكّده.

وأمّا عدم منافاة القدر للاختيار فلأن الاختيار من مقدّمات القدر، وأمّا عدم منافاة القضاء للاختيار فلأنّ اختيار العبد للقدر اختيار للقضاء، إذ أنّ اختيار السّبب التامّ اختيار للمسبّب وإن لم يتوسّط الاختيار بين السّبب والمسبب. وإن كان من الكائنات الفاعلة بالجبر فاللّه قدّر وقضى تحقّقه بالاضطرار[3].

٢- البَداء

من المفاهيم الّتي اتّفقت عليها كلمات الإماميّة من الشيعة هو مفهوم البداء، وقد شكّل الفهم الخاطئ لهذا المفهوم من قبل غير الشيعة سبباً للطعن عليهم، ومنشأ الخطأ عندهم هو الخلط بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي المقصود، في المقام وسيتضح ذلك من خلال الخطوات التالية:

١- **البَداء لغة:** هو الظهور بعد خفاء، قال في المصباح المنير: «**بدا يبدو بدواً: ظهر، فهو بادٍ،... وبدا له في الأمر ظهر له ما لم يظهر أوّلاً، والاسم: البداء مثل السّلام**». وهذا المعنى جامع للاستعمالات

(١) رقى: جمع رقية.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥، ص٨٧.

(٣) مقتبس من شرح عقائد الإمامية العلّامة السيّد الخرّازي، والإحكام في علم الكلام، العلّامة السيّد محمّد حسن ترحيني.

المتعدّدة للبداء لغة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[1]، والبداء بهذا المعنى يستحيل نسبته إلى الله تعالى؛ لما يتضمّنه من نسبة الجهل إليه تعالى، وهو العالم المطلق الّذي لا يشوب علمه ذرّة من جهل فكيف يقال في حقّه إنّه بدا له ما كان خافياً عليه؟!. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه**»[2].

٢- **البداء اصطلاحاً:** وهو «**الإظهار والإبداء لما خفي من القدر والقضاء المشروط بشرائط غير محقّقة بعد**» ومن آثاره قدرة الإنسان على تغيير مصيره بواسطة الأعمال الحسنة أو القبيحة. وبالبداء يكون للصّدقة وصلة الرّحم والدّعاء وغيرها أثرٌ ومعنى.

٣- **ينقسم القضاء إلى قسمين:**

أ. **قضاء مبرم محتوم:** وهذا لا يقع فيه البداء، بل يستحيل وقوع البداء فيه؛ لأنّه يلزم منه التغيّر في علمه تعالى.

ب. **قضاء مشروط وموقوف على أمرين:**

١ - تحقّق شروطه.

٢ - عدم تعلّق المشيئة الإلهيّة بخلافه.

وقد ورد عن الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدّم منها ما يشاء ويمحو ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء**»[3].

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، البداء والنسخ، ج ٢، ص١٣٦.
(٣) م.ن. ج٤، ص١١٩.

وهـذا القسـم هو الّذي يقع فيه البداء، والّذي صـرّح المولـى عزَّ وجلَّ به في الآية، حيث ذكرت بأنّه تعالى يقدّم ما يشاء ويمحو ما يشاء، وقد روى أهل السّنّة عـن ابن عبّاس أنّه قال: «**الكتاب اثنان: كتاب يمحو الله ما يشاء فيه، وكتاب لا يغير وهو علم الله والقضاء المبرم**»[1].

وروى التّرمذي: قال رسول الله ﷺ «**لا يردّ القضاء إلّا الدّعاء، ولا يزيد في العمر إلّا البرّ**»[2]، وغيره الكثير من الرّوايات.

ومن أمثلة البَداء المصطلح قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفًا﴾[3] فهل كان تعالى لا يعلم بأنّ في المسلمين ضعفاً يمنعهم من أن يقابل العشرون منهم المائتين من الكافرين، والمائة الألف، ثمّ علم فخفّف عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ﴾[4]؟.

والجـواب: هـو أنّـه تعالى كان عالماً بضـعفهم. ولا يمكن نسـبة الجهل إليه تعالى، ولذلك لا يتأتّى تفسير هذه الآية بشكل صحيح إلّا في ضوء البداء، بمعنى أنّ الله (تعالى) أبدى وأظهر ما كان يكنّه من علمه الخاصّ، فاسـتبدل بالواقعة واقعـة، وهكـذا يمكن تفسـير قصّـة النبيّ إبراهيـم عليه السلام مع ذبح ولـده النبيّ إسماعيل عليه السلام وغيرها أيضاً.

وبهذا البيان الصـحيح بمعنى البداء يمكن توجيه ما ورد من الآثار المترتبة على مثل الصـدقة والدعاء وصـلة الأرحام؛ من أنّ «**الصّدقـة تدفع البلاء**»[5]،

(١) خلاصة علم الكلام، د. عبد الهادي الفضلي، ص ١١٢، نقلاً عن كتاب حاشية الجمل، ج ٢، ص ٥٧٤.
(٢) سنن الترمزي، الترمزي، ج ٣، ص ٣٠٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٦.
(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٤، ص ٥.

«**والدّعاء يردّ القضاء**»[١]، و «**صلة الأرحام تطيل الأعمار**»... الخ[٢].

ومن خلال ما تقدّم يعلم أنّ البّداء نسخ تكوينيّ، وأنّ النّسخ بَداء تشريعي فكما أقرّ جميع المسلمين بإمكانيّة نسخ الأحكام وعدم استحالته لعدم مخالفته للعلم الإلهي، فكذلك النّسخ التكوينيّ المعبّر عنه بالبداء.

بين النسخ والبداء

لقد اتّفقت كلمة المسلمين على إمكان النّسخ في الأحكام الشرعيّة، ومعنى النّسخ هو رفع حكم شرعي ظاهره الثّبات والدّوام بحكم شرعيّ آخر مخالف للحكم الأوّل.

بمعنى أنّ الحكم الأوّل مؤقّت بمدّة معيّنة في علم اللّه، ولكنّه تعالى لم يُظهر هذا التّوقيت، بل أظهر الاستمرار والدّوام، وأخفى التوقيت عن النّاس؛ إذ لولا الدّليل الناسخ لبقي الحكم الأوّل واستمرّ كما هو، وعليه لا يتنافى النّسخ بهذا المعنى مع العلم الإلهيّ الأزليّ.

ومن أمثلة النّسخ، الحكم بتوجّه المسلمين إلى بيت المقدس في صلاتهم وهي القبلة الأولى، من دون أن يحدّد مدّة ووقت لهذا الحكم، ثمّ رُفع هذا الحكم بحكم آخر بوجوب التّوجّه إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[٣].

وأمّا لماذا يخفي تعالى التّوقيت؟ فالجواب هو أنّ لإخفاء التّوقيت مصالح متعدّدة منها الامتحان والاختبار وغير ذلك.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص ٤٦٩.
(٢) م.ن، ج ٢، ص ١٥٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

وهكذا البداء كما مرّ آنفاً، فإنّ اللّه يعلم بتغيّر التقدير والقضاء المشروط، ولكن لا يظهره لهم لمصلحة معيّنة، وعندما يتحقّق شرط التّغيير يتغيّر التّقدير، والقضاء يتغير تبعاً له.

وبهذا البيان يتّضح أنّ النّسخ والبداء من وادٍ واحد، والفارق بينهما أنّ النّسخ يقع في عالم التّشريع والأحكام، والبداء في عالم التكوين، فالبداء نسخ تكوينيّ، والنّسخ بداء تشريعيّ.

خلاصة الدرس

- القدر من المقدار، والتقدير للأشياء بحسب الزمان والمكان والمقدار والكيفيّات والأسباب والشرائط. والقضاء هو فصل الأمر والحكم عليه.

ويفترق القدر عن القضاء:

١- أنّ القضاء متأخِّر عن القدر تأخّر المسبَّب عن سببه.

٢- إنّ القدر هو تحديد الأسباب والشروط الّتي إذا تحقّقت وحصلت تعيّن القضاء.

- لا تنافي بين اختيار الإنسان والقضاء والقدر، وذلك لأنّ اللّه تعالى قدّر أفعال الإنسان بشرط اختيار العبد لها، ثمّ إنّ اللّه تعالى قضاه تبعاً لاختيار العبد.

- **البداء لغة:** هو الظهور بعد خفاء، وهو بهذا المعنى يستحيل نسبته إلى اللّه تعالى.

أمّا اصطلاحاً: هو الإظهار والإبداء لما خفي - على الإنسان - من القدر والقضاء المشروط.

- **القضاء قضاءان مبرم ومشروط:**

الأوّل: لا يقع فيه البداء.

الثاني: هو الّذي يقع فيه البداء.

- النسخ بداء تشريعي، والبداء نسخ تكوينيّ.



١. عرّف القضاء والقدر من خلال آية ورواية، واذكر الفرق بينهما.

٢. هل يتنافى القضاء والقدر مع اختيار الإنسان، ولماذا؟

٣. عرّف البداء لغة واصطلاحاً؟

٤. أذكر آية لا يمكن فهمها إلّا من خلال البداء بالمعنى الصحيح، مع توضيح.

٥. ما هو الفرق بين النسخ والبداء؟



الدرس الثالث عشر

العدل



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الحسن والقبح.

٢. أن يعدِّد أقسام العدل.

٣. أن يستذكر الدليل على العدل الإلهي.





تمهيد:

لقد تعرّض القرآن الكريم في الكثير من آياته للعدل الإلهي فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وقد اتفقت كلمة المسلمين قاطبة على أنّ الله عادل، وأنّ العدل من صفاته الكماليّة، إلّا أنّه وقع الخلاف بين العدليّة (الشيعة والمعتزلة) من جهة، والأشاعرة من جهة أخرى حول: **قدرة العقل على معرفة الحسن من القبيح من دون الاعتماد على الشّرع**. ومرجع الخلاف إلى مسألة أن التّحسين والتّقبيح هل هما شرعيّان أو عقليّان؟ فهل العقل قادر على إدراك الحسن والقبح في بعض الأفعال أو لا؟

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٨.

التّحسين والتّقبيح

قالت الأشاعرة: لا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها بل الحسَن ما حسّنَه الشــارع من خلال فعله في التكوينيات وأمره في التشــريعيات. والقبيح ما قبّحه الشــارع، ولا يتّصف الفعل بالحســن والقبح قبل ورود بيان من الشّارع المقدّس، وأنّــه تعالى لو خلّد المطيع في جهنّم، والعاصــي في الجنّــة، لم يكن قبيحاً؛ لأنّه يتصرّف في ملكه حيث إنّه سبحانه﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1].

ولذلك عُرِفَ قولهم بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، و قد يؤدّي هذا القول إلى إنكار العدل بصورة غير مباشرة.

وقالـت العدليّة: إنّ الأفعال تملك قيماً ذاتيّة، يدركها العقل بغض النّظر عن حكم الشرع، فمن الأفعال ما هو حسن في نفسه، ومنها ما هو قبيح كذلك، ومنها ما لا يتّصف بهما، والعقل يدرك أيضاً أنّ اللّه وبمقتضى صفاته الكماليّة المطلقة لا يفعـل ولا يأمر إلّا بما هو حســن، ولا ينهى إلّا عن القبيــح، فالعقل إذاً وظيفته الإدراك؛ وهو يدرك حسن العدل ويمدح فاعله، وقبح الظّلم ويذمّ فاعله.

وهــذا الإدراك لا يعني أنّ العقل يأمر اللّه وينهاه، بل يكتشــف العقل تناســب فعلٍ مّا مع الصّــفات الكماليّة للّه تعالى، (كالعدل) وعدم تناسب فعل آخر معها (كالظّلم)، ويدرك استحالة صدور الفعل القبيح منه تعالى.

وقــد استشــهد العدليّة علــى قولهم هــذا بــأنّ كلّ العقلاء، حتّــى المنكرين للشّــرائع السّــماويّة، لا يتردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حســن، وعلى فعل الظّلــم بأنّــه قبيح، من دون اعتمادهم على شــريعة بل مــع إنكارهم لها؛ ولذلك تجدهم يســعون لوضع أنظمة وقوانين لحفظ الحقوق وتحقيق العدالة، وهذا من البداهة والوضوح بمكان.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

مفهوم العدل

للعدل عدّة تفسيرات أهمّها:

١- **إنّ العدل هو فعل ما حسّنه العقل وترك ما قبّحه،** فيكون مساوياً للحكمة؛ أي **وضع الشّيء في موضعه المناسب**[١]، والإتيان بالفعل في محلّه، لأنّ العقل يحكم بحسن هذا الوضع.

٢- **إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه:** وهذا المعنى أخصّ من المعنى المتقدّم؛ لأنّ إعطاء الحقّ لصاحبه هو وضع للحقّ في موضعه المناسب، إلّا أنّ هذا المفهوم هو الأقرب لمعنى العدل كمفهوم مستقلّ ومغاير لمعنى الحكمة، والحقّ الوارد في التعريف يشمل جميع الحقوق بما فيها الحقّ غير الثابت بالأصالة بل ولو كان ثبوت الحقّ بسبب الوعد، إذ ليس للإنسان حقّ بالأصالة على الله تعالى، ولكّنه ثبت له هذا الحقّ بعد وعده تعالى الإنسان بالثواب نتيجة أفعاله. وبهذا يظهر الفرق بين العدل والمساواة، فإنّ وضع الشّيء في موضعه قد يتنافى مع المساواة في كثير من موارده. فلو أعطى المعلّم علامة واحدة (١٥ مثلاً) لجميع التلامذة فإنّه ظلمٌ لمن يستحقّ الأكثر، وهو وضع لهذه العلامة في غير موضعها لمن لا يستحقّها.

أقسام العدل

بما أنّ وضع الشّيء في موضعه المناسب وإعطاء الحقوق لأصحابها يختلف باختلاف الأشياء والحقوق ومواضعها، إذ لكلّ شيء وضع مناسب له بحسبه؛ فإنّ لكلّ شيء وضعاً خاصّاً به يقتضيه، ويفرضه العقل، أو الشّرع، أو المصالح العامّة والشخصيّة في نظام الكون وبناءً عليه قُسّم العدل إلى ثلاثة أقسام:

(١) إنّ لكلّ شيء وضعاً خاصاً به يقتضيه ويفرضه العقل أو الشرع أو المصالح العامة والشخصية في نظام الكون.

١- **العــدل التكويني:** وهو يعني أنّه تعالى يعطي كلّ موجود في مراحل تكوينه ما يســتحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية الّتي لأجلها خلق، فيكوّنه بما يتناسب مع غايته، فلا يهمل قابليّة، ولا يعطّل استعداداً قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[1]، وبذلك يكون تعالى قد وضــع كلّ شــيء في موضعه المناسب له تكويناً.

٢- **العدل التّشريعي:** وهو أنّه تعالى يشرِّع الأحكام الّتي تتكفّل كمال الإنسان وسعادته في كلّ الجوانب المادّيّة والمعنويّة، الدنيويّة والأخرويّة، ولا يكلِّف نفســاً إلّا وســعها، وبذلك يكون قد وضــع التّشريع في موضــعه المناسب، فيكون عادلاً.

٣- **العدل الجزائي:** أي إنّه تعالى يحاســب ويجازي ثواباً وعقاباً كلّ نفس بما كســبت، ولا يعاقــب العبد على تكليــف إلّا بعد البيان وإلقــاء الحجّة عليه، وبهذا يكون قد وضع العقاب والثّواب في موضعهما المناسب.

دليل العدل الإلهي

الدّليل على وجوب اتّصافه تعالى بالعدل هو:

لو لم يكن اللّه عادلاً لاســتلزم ذلك نسبة النقص إليه تعالى، والنّقص منتفٍ عنه تعالى بالضّرورة، فوجب كونه عادلاً.



توضيح الدليل

إنّه تعالى لو كان يفعل الظّلم والقبح - تعالى عن ذلك - فإنّ فعل الظلم لا يخلو من أربع صور - أي: إنّ الظّلم مسبَّب لواحد من الأسباب الأربعة:

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٢-٣.

أ. أن يكون صدور الظّلم بسبب الجهل بكون الفعل قبيحاً.

ب. أن يكون عالمـاً بقبح الفعل ولكنّه فعله لأنّه مجبر على فعله عاجز عن تركه.

ج. أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر عليه، ولكنّه محتاج إلى فعله.

د. أن يكون عالماً بقبح الفعل، وغير مجبر وغير محتاج، ولكنّه فعله عبثاً ولغواً.

هذه هي الصّور والأسباب الأربعة المتصوّرة لصدور الظّلم، فإذا انتفت هذه الأسباب انتفى الظّلم لانتفاء أسبابه وبالتالي ثبت العدل.

وكلّ هذه الصّـور والأسباب مسـتحيلة على اللّه تعالى؛ لأنّها تستلزم النّقص فيه.

فالصّـورة الأولى تسـتلزم نسـبة الجّهل إليه تعالى وقد ثبت أنّـه تعالى عالم مطلق لا يشوب علمه ذرّة من جهل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾[1].

والثّانيّـة تنسـب إليـه العجز مع العلم بأنّـه تعالى هو القـادر المطلق الّذي لا يتوهّم فيه عجز ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا﴾[2].

والثّالثة تسـند إليـه الحاجة والافتقار مـع أنّه تعالى هو الغنـيّ المطلق الّذي يحتاجه كلّ شيء ولا يحتاج إلى شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[3].

والرابعـة تخالـف الحكمة وهـو تعالى الحكيم الّـذي لا يفعل عبثـاً ولا لغواً ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[4] وهـو تعالـى كمال محض،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٥.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١.

منزّه عن فعل أيّ قبيح[1]، ومن خلال السبب الرابع يمكن الإشارة إلى دليل آخر مستقلّ معروف بدليل الحكمة وهو:

دليل الحكمة

تقدّم أنّ الله تعالى يمتلك أسـمى مراتب القدرة والاختيار، وأنّه قادر على أن يفعـل أيّ فعل ممكن الوجود أو لا يفعله، دون أن يخضــع لتأثيرات أيّة قوّة تجبره وتقهره، إلّا أنّ الله لا يفعل كلّ ما يقدر عليه من أفعال، وإنّما يفعل ما يريده هو.

وتقدّم أيضــاً أنّ إرادته تعالى ليست عبثيّة ولا خرافيّة، وإنّما يريد ما يتناسب مـع صـفاته الكمالية المطلقة، فإذا لم تقتضِ صـفاته الكماليّة فعـلاً ما فإنّه لا يصدر منه ذلك الفعل إطلاقاً.

وبما أنّ الله سبحانه كمالٌ محض، فإرادته إنّما تتعلّق بالأصالة بجهة كمال المخلوقات وغيرها، وإذا لزم من وجود مخلوق بعض الشرّ والنقص، فإنّ ذلك يكون مقصوداً بالتبع لا بالأصالة، بمعنى أنّ هذا الشرّ لازم لا ينفكّ عن الخير الغالب، لذلك تتعلّق الإرادة بالخير الغالب ويتبعه الشرّ الّذي لا ينفكّ عنه. وبذلك تثبت صفة الحكمة للّه سبحانه. وبالتالي تثبت عدالته تعالى.

شبهات وحلول

١. كيـف يتـلاءم وجـود المصائب من أمراض وكـوارث طبيعيّة (كالسيول والـزّلازل) والمتاعـب الاجتماعيـة (كالحــروب وألـوان الظّـلم المختلفة) مع العدل الإلهيّ؟

الجـواب: أوّلاً: إنّ الحوادث الطبيعيّة المؤلمــة ملازمة لأفعال العوامل المادّيّة وانفعالاتها وتصادمها والتّزاحم بينها، وبما أنّ خيرات هذه العوامل أكثر من

(١) مقتبس من عقائد الإمامية.

شـرورها، لذلك لا تكون مخالفة للحكمة وبالتالي مع العدل الإلهي. وكذلك ظهور المتاعب والمفاسد الاجتماعيّة ممّا تقتضيها اختياريّة الإنسان، هذه الاختياريّة الّتي تقتضيها الحكمة الإلهيّة. ولكنّ الملاحظ أنّ فوائد الحياة الاجتماعيّة وإيجابيّاتها أكثر من مفاسدها، ولو كانت المفاسد هي الأكثر لما بقي إنسان على وجه الأرض.

ثانياً: إنّ وجود هذه المتاعب والكوارث والمصائب، تدفع الإنسان. من جهة. إلى البحث عن معرفة أسرار الطّبيعة والكشف عنها، وبذلك تظهر الثّقافات والكشوفات والصّناعات المختلفة، ومن جهة أخرى، فإنّ خوض هذه المتاعب ومواجهتها وعلاجها، له دور كبير في تنمية الطاقات والاستعدادات ورشدها وتفجيرها، وفي تكامل الإنسان ورقيّه وتقدّمه.

وأخيراً: إنّ تحمّل أيّة مصيبة أو ألم، والصّبر عليه، سوف يكون له الثّواب الجزيل في العالم الأبدي، وسوف لا يذهب هدراً، بل يتمّ جبرانه بصورة أفضل، وسيكون الإنسان أسرع تكاملاً ووصولاً لمرتبة القرب من اللّه تعالى.

٢. كيف يتلاءم العذاب الأبدي للذنوب المحدودة والمؤقّتة، الّتي يرتكبها المذنبون في هذا العالم، مع العدل الإلهي؟

الجواب: هناك علاقة علّية وسببية بين الأعمال الحسنة والقبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين، قد كشف عنها الوحي الإلهيّ، ونبّه الناس عليها، وكما أنّنا نلاحظ في عالم الدّنيا، أنّ هناك بعض الجرائم، تعقبها آثار سيّئة تمتدّ إلى مدّة طويلة، رغم قصر مدّة الجريمة، فمثلاً لو فقأ الإنسان عينه هو، أو عيون الآخرين فأعماها، فإنّ هذا الفعل يتمّ في مدّة قصيرة جدّاً، ولكن نتيجته. وهي العمى. تمتدّ إلى نهاية العمر، كذلك الذّنوب الكبيرة لها آثارها الأخرويّة

الأبديّـة، وإذا لم يوفّر الإنسـان في هذه الدنيا مسـتلزمات جبرانهـا، (كالتّوبة مثلاً) فإنّه سوف يعيش آثارها السيّئة وإلى الأبد.

فكمـا أنّ بقاء عمى الإنسـان إلى نهاية العمر بجريمة لم تسـتغرق إلّا لحظة واحـدة لا ينافـي العدل الإلهيّ، كذلـك الابتلاء بالعذاب الأبـدي نتيجة لارتكاب الذّنـوب الكبيرة لا ينافي العدل الإلهيّ؛ وذلـك لأنّه ناتج عن الذّنب الذي ارتكبه المذنب عن سابق وعي وإصرار.

خلاصة الدرس

- الأشاعرة يقولون بالتحسين والتقبيح الشرعيّين، فلا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها بل الحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه.

العدليّة: المعتزلة والشـيعة - يقولون بالتحسـين والتقبيح العقليّين، فالأفعال تملك قيماً ذاتيّة يُدركها العقل، بغضِّ النظر عن حكم الشـرع، والدليل الوجدان حيث إنّ العقلاء - حتّى المنكرين للشـرائع - لا يتـردّدون بالحكم على فعل العدل بأنّه حسن، وعلى فعل الظلم بأنّه قبيح.

- العدل هو فعل ما حسّـنه العقل وترك ما قبّحه، أو وضع الشيء في موضعه المناسب، أو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

- **قُسِّم العدل إلى أقسام:**

١. **العـدل التكوينـي:** وهو يعني أنّه تعالى يُعطي كلّ موجود في مرحلة تكوينه ما يستحقّه ويحتاجه في مسيرته نحو الغاية الّتي لأجلها خلق.

٢. **العدل التشريعي:** وهو يعني أنّه تعالى يُشـرِّع الأحكام الّتي تتكفّل بوصول الإنسان إلى السعادة والكمال.

٣. **العـدل الجزائـي:** وهو يعني أنّه تعالى يُحاسـب ويُجازي ثوابـاً وعقاباً كلّ

نفس بما كسبت، ولا يُعاقب إلّا بعد البيان وإلقاء الحجّة.

. يستدل على العدل الإلهي: بأنّه لو لم يكن الله عادلاً لكان ناقصاً. لأنّ الظلم معلول للجهل أو العجز أو الحاجة أو العبث. وكلّ هذا مستحيل على واجب الوجود.

- بما أنّ الله سبحانه كمال محض فإرادته تتعلّق بكمال المخلوقات، وأمّا الشر الحاصل فهو مراد لا بالأصالة وبذلك تثبت صفة للحكمة للّه سبحانه.
- إنّ المصائب والأمراض لا تتنافى مع العدل الإلهي؛ وذلك لأنّ خيرها أكثر من شرّها.
- إنّ العقاب الأخروي الأبدي على الذنوب المحدودة والمؤقتة لا يتنافى مع العدل الإلهي؛ حيث إنّ هناك علاقة عليّة بين الأعمال الحسنة أو القبيحة وبين الثواب والعقاب الأخرويّين. ونحن نلاحظ في الدنيا جريمة مؤقّتة ـ كفقأ العين ـ تؤدّي إلى العمى الدائم.

أسئلة

١. وضّح رأي الأشاعرة والعدليّة في مسألة التحسين والتقبيح؟ واذكر دليلاً؟

٢. تكلّم حول معنى العدل، وأقسامه؟

٣. أذكر الدليل على العدل الإلهيّ؟

٤. كيف يتناسب العدل الإلهيّ مع وجود الأمراض والمصائب والابتلاءات؟





الدرس الرابع عشر

النبوّة العامّة



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام.

٢. أن يدرك حدود المعرفة البشرية.





ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام

إنّ إثبات ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام هي من المسائل المهمّة في مبحث النّبوّة، لأنّ البحث في المسائل المرتبطة بالنبوّة، كوجوب النظر في المعجزة، والبحث في دعوى مدّعي النبوّة، ووجوب طاعته وضرورة عصمته وغيرها من الأبحاث، متفرّع على إثبات ضرورة البعثة وعدم استغناء البشر - مهما تكاملت عقولهم وعلومهم- عن الوحي والنبوّة، ليصلوا إلى الهدف الّذي خلقوا من أجله. ويمكن إثباتها ببرهان مؤلّف من مقدّمات:

١. **الاختيار الواعي لطريق الكمال:** إنّ الهدف من خلق الإنسان هو السّير في طريق تكامله، من خلال ممارسة الأفعال الاختياريّة لأجل التوصّل إلى كماله النّهائي، هذا الكمال الّذي لا يُتوصّل إليه إلّا باختيار الإنسان وإرادته.

وبتعبير آخر، إنّما خلق الإنسان ليكون ـ بعبادته وإطاعته لله تعالى ـ مستحقّاً وأهلاً للحصول على الرّحمة الّتي يختصّ بها الأفراد المتكاملون.

وقد اتّضحت هذه المقدّمة عند البحث في الحكمة والعدل الإلهيّ.

٢. **الاختيار الواعي يحتاج إلى معرفة صحيحة:** إنّ الاختيار الواعي إضافة إلى احتياجه للقدرة على ممارسة العمل، وتوفّر الظروف والأجواء الخارجيّة لممارسة الأعمال المختلفة، ووجود الميل والدّافع الدّاخلي لها - يحتاج أيضاً إلى المعرفة الصّحيحة بالأعمال الحسنة والأعمال القبيحة، والطّرق الصّالحة وغير الصّالحة، وإنّما يتمكّن الإنسان من اختيار طريق تكامله - بكلّ حريّة ووعي - فيما لو كان يعرف الهدف، وطريق الوصول إليه، وكان عارفاً بكلّ العقبات والعراقيل والانحرافات والمزالق، الّتي قد تواجهه أثناء سيره التّكاملي.

إذاً، فمقتضى الحكمة الإلهيّة أنْ تتوفّر للبشر الوسائل والمستلزمات الضّروريّة للحصول على مثل هذه المعارف والمدركات، وإلّا فسيكون حاله كحال الشّخص الّذي يدعو ضيفاً إلى داره، ثمّ لا يدلّه على مكانه، ولا على الطّريق المؤدّي إليه! ومن البديهيّ أنّ مثل هذا العمل مخالف للحكمة، وموجب لنقض الغرض. وهذه المقدّمة أيضاً واضحة.

٣. **قصور المعرفة البشرية:** إنّ المعارف والعلوم الّتي أفاضها اللّه على البشر، والّتي تحصل نتيجة التّعاون بين الحسّ والعقل، لها دورٌ فاعلٌ في توفير ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، ولكنّها لا تكفي للتّعرّف على طريق الكمال والسّعادة الحقيقيّة، وفي جميع المجالات الفرديّة والاجتماعيّة، والمادّيّة والمعنويّة، والدنيويّة والأخرويّة، وإذا لم يوجد طريق آخر لسدّ النّقائص وملئ الفجوات فلن يتحقّق الهدف الإلهي من خلق الإنسان.

ولتوضيح هذه المقدّمة أكثر سيّما مع تشكيك البعض بها لا بدّ من القول: إنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي وضع طريق آخر للبشر - غير الحسّ والعقل - من أجل التعرّف على طريق الكمال في كلّ المجالات، حتّى يستطيع البشر الاستفادة منه.

وهـذا الطّريق هو الوحي والّذي من خلاله يتمكّن الإنسـان من الوصـول إلى السّعادة والكمال النّهائي، وبذلك يتحقّق الغرض من الخلق.

لا يشكّ عاقل في أنّ حاجات البشر متنوّعة ومتعدّدة؛ فمنها حاجات تختصّ بالأشخاص، ومنها حاجات ترتبط بالجماعات، وبعضها حاجة للبدن وبعض آخر حاجات ترجع إلى الرّوح، وبعضها يتعلّق بالدّنيا ومنها يتعدّى الدّنيا إلى الآخرة، وهذه الحاجات قد تتداخل مع بعضها وتتعارض، فكم من مصلحة شخصيّة تزاحم مصلحة عامّة، وكم من حاجة للبدن تتنافى مع بعدٍ من أبعاد الرّوح، وكذلك الحال بين المصالح الدّنيويّة والأخرويّة، إضافة إلى وجود فوارق معرفيّة وبدنيّة ونفسيّة متفاوتة بين البشر، وكلٌّ منهم يعيش ظروفاً طبيعيّة واجتماعيّة مختلفة، ومراعاة هذه المصالح والحاجات، والموازنة بينها، وتحديد الأصلح عند التّزاحم والتعارض بينها هو أمر خارج عن قدرة البشر، سواء كانوا جماعات أم أفراداً، بدليل أنّ التغيير الدّائم في القوانين والتّشريعات البشريّة عبر العصور يؤكّد على أنّ البشر لم يستطيعوا حتّى الآن الوصول إلى قانون كامل وشامل يحفظ المصالح ويحدّد الأولويّات، مع أنّ هؤلاء المشرّعين قد استفادوا كثيراً من التّشريعات والقوانين الإلهيّة، هذا إضافة إلى أنّهم حصروا جهدهم في تحصيل المصالح الدّنيويّة دون غيرها.



. لإثبات ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام هناك مقدّمات:

الأولى: إنّ الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى الكمال باختياره.

الثانية: اختيار طريق الكمال يحتاج إلى معرفة صحيحة بكيفيّة الوصول إلى الكمال.

الثالثة: المعرفة البشريّة قاصرة عن معرفة كيفيّة الوصول إلى الكمال.

النتيجة: لا بدّ من الأنبياء عليهم السلام الموحى إليهم من اللّه تعالى ليُعرِّفوا البشر على طريق الكمال.

وذلك لأنّ مقتضى الحكمة أن يزوّد كلّ موجود بما يمكّنه من الوصول إلى هدفه وإلا لزم العبث.



١. تحدّث باختصار عن مقدّمات دليل (ضرورة بعثة الأنبياء عليه السلام).

٢. تحدّث بوضوح وتفصيل عن قصور المعرفة البشريّة.



الدرس الخامس عشر

بعثة الأنبياء عليهم السلام



أهداف الدرس:

١. أن يعدِّد الطالب بعض أسباب تعدّد الأنبياء عليهم السلام.

٢. أن يميّز بين النبيّ والرسول.

٣. أن يستذكر بعض فوائد بعثة الأنبياء.



تعدّد الأنبياء عليهم السلام

بما أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت وجود طريق الوحي؛ لأجل تحقّق الغرض من خلق الإنسان وهو الكمال على مستوى الفرد والمجتمع، وبما أنّ هذا الهدف لا يتحقّق من خلال نبيّ واحد، فكان لا بدّ من تعدّد الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١].

أسباب التعدّد

هناك عدد من الأسباب لتعدّد الأنبياء عليهم السلام نذكر منها:

١- محدوديّة وقصر عمر الإنسان بما في ذلك الأنبياء عليهم السلام، وعدم وجود ما يقتضي بقاء النّبيّ الأوّل حتّى نهاية العالم.

٢- إنّ عدم قدرة الأنبياء عليهم السلام في عصرهم وزمانهم على نشر دعوتهم وتبليغها لكلّ الأمم والشّعوب، فرض ضرورة تعدّد الأنبياء حتّى في عصر واحد كما في نبوّة إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام.

٣- تطوّر المجتمعات، وتغيّر الظّروف، وتوسّع وتعقّد العلاقات الاجتماعيّة،

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

حيث يصل إلى حدّ يُحتاج فيه إلى تطوير الأحكام والقوانين الاجتماعيّة والفرديّة كمّاً ونوعاً، إضافة إلى تشريعات جديدة لم تكن تحتاجها المجتمعات السّابقة أساساً، وهذا يفرض وصول هذه التّشريعات على يد أنبياء جدد.

٤- وقوع التّحريف العمديّ أو التّفسير والفهم الخاطئ، والّذي يصل إلى حدّ الانحراف عن المسار الّذي يريده تعالى، كما حصل في التوراة والإنجيل.

لهذه الأسباب وغيرها لزم تعدّد الأنبياء، وكلّ نبيّ أدّى دوره المطلوب منه على أحسن وجه، وكانت رسالته مهمّة وصائبة، إلّا أنّ دورها انتهى فبدأت رسالة أخرى من حيث انتهت الأولى، وهكذا يستمرّ تكامل المجتمعات تبعاً لتكامل الرّسالات، ولذلك؛ يجب الإيمان والاعتقاد بكلّ الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[(١)].

النّبيّ والرّسول وأولو العزم

النّبيّ: هو حامل النبأ من الله تعالى، سواء أُمر بالتبليغ أم لا.

الرّسول: هو خصوص النّبيّ المأمور بتبليغ الرّسالة الموحاة إليه.

فللنبيّ شرف العلم بالله وبما عنده، وللرسول شرف الطاعة بين الله سبحانه وبين خلقه.

أولو العزم: هم خصوص من امتاز من الرسل بالصّبر والاستقامة الشديدين. وامتازوا أيضاً بأنّ لكلّ واحد منهم كتاباً وشريعة مستقلّة، يتبعها

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

الأنبياء المعاصرون لهم والمتأخّرون عنهم إلى أن يبعث الله نبيّاً آخر من أولي العزم برسالة وشريعة جديدة، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1]. وهذه المعاني المذكورة موافقة للمعنى اللغويّ، وقد ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**النبيّ الّذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يرى الملك، والرسول الّذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك...**»[2].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾[3].

وفي الخبر عن أبي ذر: «**قلت: يا رسول الله كم النّبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جماً غفيراً**»[4].

وفي الخبر عن أبي جعفر عليه السلام: «**أولو العزم من الرّسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليهم أجمعين**»[5].

فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام

إنّ الهدف والغاية الأولى من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشريّة إلى الطّريق الصّحيح للتكامل الحقيقيّ، وتلقّي الوحي وإبلاغه للنّاس، إلّا أنّ لها فوائد أخرى مهمّة في تكامل البشر، وأهمّها ما يلي:

١ - إنّ هناك الكثير من المعلومات، الّتي يمكن للعقل الإنساني إدراكها،

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٧٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج١١، ص٣٢.
(٥) م.ن، ج١١، ص٣٣.

ولكنّه ربّما غفل عنها معظم النّاس، فيحتاجون إلى من يذكّرهم بها وهم الأنبياء، ومن هنا يعرف السّبب في أطلاق صفتي «**المذكِّر والنذير**» على الأنبياء عليهم السلام، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيَّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ**»[1].

٢ـ إنّ أهمّ العوامل الّتي لها تأثيرها الفاعل في التّربية، وفي رشد الإنسان وتكامله، وجود القدوة والأسوة. والأنبياء الإلهيّون الّذين يجسدون الإنسان الكامل، هم أعظم مثال للاقتداء والتأسّي وفي مقدّمتهم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، فالأنبياء هم القدوة والمثل الأعلى الّذي يحتاجه كلّ سالك في طريق الكمال، حيث يقومون بمهمّة تربية النّاس وتزكيتهم، والقرآن الكريم ربط بين التّعليم والتّزكية، حتّى أنّه في بعض الآيات قدَّم التّزكية على التّعليم. قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3].

٣ـ ومن معطيات وفوائد وجود الأنبياء عليهم السلام بين النّاس، تولّي القيادة في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة والقضائيّة، حينما تتوفّر الظّروف اللّازمة لذلك، وبديهيّ أنّ القائد المعصوم من أعظم النّعم الإلهيّة للمجتمع، حيث تعالج بواسطته الكثير من المعضلات والمشكلات الاجتماعية، ويتمّ إنقاذ الأمّة من الاختلاف والتنازع والفوضى والانحراف، ليقودها باتّجاه كمالها المنشود.

إثبات الأنبياء عليهم السلام في كلام المعصوم عليه السلام

سأل رجل الإمام الصّادق عليه السلام: من أين أثبتَّ الأنبياء والرّسل عليهم السلام؟

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٣، خ١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية:٢١.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.

فقال عليه السلام: «إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا، وعن جميع الخلق، ولما كان الصّانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه، يلامسوه، فيباشرهم ويباشرونه، ويحاجّهم ويحاجّونه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام، وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للنّاس. على مشاركتهم لهم في الخلق والتّركيب. في شيء من أحوالهم، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر، وزمان ممّا أتت به الرّسل والأنبياء عليهم السلام من الدّلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته»[1].

خلاصة الدرس

. من أسباب تعدُّد الأنبياء عليهم السلام:

١ـ محدوديّة وقصر عمر النبيّ.

٢ـ عدم قدرة النبيّ في عصره على نشر دعوته لكلّ الأمم.

٣ـ تطوّر المجتمعات، وتبدُّل الظروف.

٤ـ وقوع التحريف العمديّ أو التفسير والفهم الخاطئ لرسالات الأنبياء عليهم السلام.

النبيّ: حامل النبأ من الله تعالى، سواء أمر بالتبليغ أم لا.

الرسول: خصوص النبيّ المأمور بالتبليغ.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص١٦٨.

أولو العزم: خصــوص من كان له كتاب وشــريعة، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام.

. من فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام:

١ـ الهداية والتذكير والنذير وإثارة الفطرة.

٢ـ كون الأنبياء عليهم السلام قدوة، والقدوة لها تأثير فاعل في التربية.

٣ـ تولّي قيادة المجتمع إذا توفّرت الظروف.



أسئلة

١. ما هي الأسباب الّتي أدّت إلى تعدّد الأنبياء عليهم السلام؟

٢. ما هو معنى (النبيّ) و (الرسول) و (أولو العزم)؟

٣. ما هي فوائد بعثة الأنبياء عليهم السلام؟



الدرس السادس عشر

صيانة الوحي و عصمة الأنبياء عليهم السلام



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب ضرورة صيانة الوحي.

٢. أن يتعرّف إلى معنى العصمة.

٣. أن يتعرّف إلى السرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام .



تمهيد:

إنّ لمبحث عصمة الأنبياء عليهم السلام أهميّة كبرى، تظهر بجلاء عند الاطّلاع على آثارها، والّتي تعادل في أهميّتها النبوّة - كما ستأتي الإشارة إليه - وقد تنوّعت المباحث حول العصمة، وسيتّضح هذا التنوّع، وتظهر تلك الأهمّية من خلال الاطلاع على العناوين والمباحث الآتية.

العصمة في تلقّي الوحي وتبليغه

لقد تمّ إثبات ضرورة وجود أنبياء يتلقّون الوحي من الله تعالى، ليبلّغوه للنّاس، فيتحقّق بذلك الهدف من إرسال الأنبياء عليهم السلام ومن خلق الإنسان، إلّا أنّ هذا الهدف يتوقّف تحقّقه أيضاً على كون الوحي مصاناً من أيّ نوع من أنواع التّحريف، بل حتّى احتمال التّحريف عمداً أو سهواً، وذلك؛ لأنّ الاستفادة من الوحي، وكون الوحي حجّة على النّاس تعتمد على مدى ثقة النّاس بصحّة هذا الوحي، وأيّ احتمال للتّحريف يزعزع ثقة النّاس بالوحي، وبالتّالي يفقد حجيّته فينتقض الغرض منه، فضلاً عن وقوع التّحريف فعلاً المؤدّي إلى انحراف المسار التكامليّ للإنسان، وفقدان المصالح المترتّبة عليه، وبالتّالي انتقاض الغرض من إنزال الوحي وإرسال الأنبياء عليهم السلام، وهذا كما ذكر مخالف للحكمة، ولا يفعله الحكيم، خاصّة وأنّ عامّة

النّاس لا يقدرون على الاتّصال المباشر بالله تعالى للتأكّد من صحّة الوحي، وبهذا ينحصر تحقّق الغرض من الوحي بعصمة ملائكة الوحي والأنبياء عليهم السلام في مجالي تحمّل الوحي وتبليغه، ليصل إلى النّاس كما أوحاه الله تعالى، ويشير إلى ما ذكر قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[1]. فأشار تعالى في الآية إلى وجود حفظة تصون الوحي من التّحريف، والأنبياء عليهم السلام من الخطأ فيه حتّى يبلغ النّاس كما هو من دون تغيير.

العصمة عن المعصية

الأقوال في المسألة:

لقد وقع خلاف بين الفرق الإسلاميّة حول مدى تنزيه الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم من ارتكاب المعاصي والذّنوب، فالشّيعة الإماميّة يعتقدون بأنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها منذ الولادة حتّى الوفاة فلا تصدر المعصية منهم ولو سهواً ونسياناً.

وذهبت بعض الفرق إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر دون الصّغائر.

وثالثة قالت بعصمتهم، من سنّ البلوغ دون ما قبله.

ورابعة قالت بعصمتهم بعد النّبوّة.

وأخيراً هناك من نفى وأنكر عصمة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، وهم الحشويّة وبعض أهل الحديث، وقالوا بإمكان صدور المعصية منهم حتّى عمداً.

تعريف العصمة

العصمة: هي ملكة نفسانيّة راسخة وقويّة تدفع صاحبها نحو الطّاعة وتمنعه من ارتكاب المعاصي باختياره - أي: مع قدرته عليها -. فالشّجاعة مثلاً هي ملكة

(١) سورة الجن، الآيات: ٢٦-٢٨.

نفسانيّة تدفع صاحبها لخوض الحرب وتمنعه من الفرار باختياره مع قدرته على الفرار، والإنسان العاقل بما هو عاقل يستحيل أن يقدم على قتل ولده باختياره، مع أنّه قادر تكويناً على ذلك، وعليه فالملكات النفسانيّة لا تسلب صاحبها الاختيار ـ كما هو واضح ـ مهما اشتدّت الظروف.

تنبيهان:

١- بما أنّ ملكة العصمة ـ محلّ الكلام ـ لا تحصل إلّا بعناية إلهيّة خاصّة، لذلك تنسب وتسند فاعليّتها وتأثيرها للّه تعالى، فيقال مثلاً: عصمه اللّه أو العصمة الإلهيّة، وتلك النّسبة للّه تعالى لا تعني الجبر على ترك المعاصي.

٢- إنّ المراد من المعصية المنزّه عنها المعصوم هي ما يصطلح عليه في الفقه بفعل (الحرام) أو ترك (الواجب)، وأمّا كلمة (معصية وذنب) مثلاً؛ فإنّها تستعمل بمعنى أوسع من الحرام يشمل (ترك الأولى) وهذا لا يتنافى مع العصمة.

السّرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية

تعتمد ملكة العصمة في تكوّنها وحصولها على ركنين أساسيّين هما:

١- علم ووعي تامّ ودائم بحقيقة المعصية وعواقبها.

٢- إرادة قويّة على ضبط الميول النفسيّة.

تقدّمت الإشارة إلى ضرورة عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجالين، الأوّل في تلقّي الوحي والثّاني في تبليغ الوحي والالتزام العملي بمقتضاه.

أمّا سرّ عصمتهم في المجال الأوّل فهو: أنّ إدراك الوحي بالنّسبة للأنبياء عليهم السلام من قبيل الإدراكات الّتي لا تحتمل الخطأ؛ لأنّ إدراك النّبيّ

للحقائق العلميّة الموحاة إليه إدراك حضـوريّ لا يقبل الشّكّ والتّردّد، وقد أكّد القـرآن ذلـك بقولـه تعالـى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1].

وبهذا يظهر أنّ ما ذكر من قصـص وحكايات عن شـكّ نبيّ بنبوّته، أو جهله بأنّ ما سمعه وحي من الله وغير ذلك، إنّما هي حكايات موضوعة ومكذوبة.

وأمّـا سـرّ عصمتهم في المجال الثّاني: فيحتاج إلى **مقدّمـة** وهي: أنّ الأفعال البشريّة إنّما تحصل نتيجة إرادة الإنسان للفعل، وهذه الإرادة تتوقّف على حصول مَيْل في داخل الإنسان لتحقيق أمر يرغب فيه، وهذه الرّغبة تتحرّك نتيجة عوامل ومؤثّرات نفسـيّة وخارجيّة مختلفة فيحدّد الإنسان - حينئذ - طريق الوصول لهدفه المنشـود، فإن تمّت الإرادة، أقدم حينئذ علـى العمل المطلوب، وعلى فرض تعدّد الميول والرّغبات وتعارضـها وتزاحمها، فإنّه يسـعى قدر جهده لتحديد أفضـلها وأكثرها قيمة وأهميّة، فيختاره عمليّاً. ولكنّه أحياناً - ونتيجة لنقص في علمه وقصور في معرفته - يخطئ في تقييم الأفضل وتحديده، أو أنّه لغفلته عن الأصلح، أو نتيجة لتعوّده على الأمر الأسـوأ يسـيء الاختيار، ولا يبقى لديه مجال للتّفكير الصـحيح واختيار الأصلح. إذاً فكلّما كان الإنسان أكثر معرفة بالحقائق، وكان بالنّسبة إليها أكثر وعياً وتوجهاً، وثباتاً، وأقوى إرادة على ضبط الميول والانفعالات الداخليّة فإنّه سيكون أفضل في حسن اختياره، وسيكون أكثر مناعة من الانحرافات والعثرات.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المؤهّلين ومن ذوي الاسـتعدادات العالية، الّذين توفّروا على الثّقافة اللّازمة والوعي الضّروري ونعموا بالتّربية الصحيحة، سوف يتوصّـلون إلى مراحل مختلفة من الكمال والفضـيلة، وربمـا يقتربون من حدود العصـمة، بـل ولا يخطر في أذهانهـم مجرّد التّفكيـر باقتـراف الذّنب والعمل السيّئ، كما لا يفكّر أيّ عاقل بشرب السمّ أو تناول الأشياء القذرة والعفنة.

(١) سورة النجم، الآية: ١١.

النتيجة

لو فرضنا أنّ إنساناً بلغ الغاية في استعداده لإدراك الحقائق. كالأنبياء عليهم السلام وارتفع صفاء روحه وقلبه إلى أسمى المستويات والدرجات، وكما يعبّر القرآن ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[1]، وبسبب هذا الاستعداد القويّ والصفاء الذاتيّ، تتولّاه التّربية الإلهيّة، ويؤيَّد بروح القدس فإنّ هذا الإنسان سوف يطوي مدارج الكمال بسرعة لا توصف، وربما تفوّق على الآخرين حتّى في مرحلة طفولته، بل حتّى وهو جنين، وتظهر لمثل هذا الإنسان قبح المعاصي والذّنوب، تماماً كظهور ضرر السمّ ووضوحه، وقبح الأشياء العفنة والقذرة، بل الاشمئزاز منها للآخرين، بل أشدّ وأوضح، إضافة إلى الإرادة القويّة، فيمتنع عن ارتكاب المحرّمات والقبائح، بل لا يفكّر فيها، ويمتنع عنها باختياره، كما هو الحال فيمن أدرك أنّ هذا السّائل سمٌ قاتل، فإنّه لا يفكّر بالإقدام على شربه وإن اشتدّ به العطش.

خلاصة الدرس

- بعدما ثبت ضرورة بعثة الأنبياء عليهم السلام لتبليغ الناسِ وحيَ اللّه تعالى للوصول إلـى الكمال، كان لا بدّ من عصـمة الأنبياء عليهم السلام في تلقّي الوحي وتبليغه عمداً أو سـهواً، وإلّا انتقض الغرض من بعثة الأنبياء، وهو مخالف لحكمة اللّه سبحانه.

- الأقوال في عصمة الأنبياء عليهم السلام من المعصية:

١ـ الشـيعة تقول بعصـمة الأنبياء عليهم السلام من جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سهواً وعمداً منذ الولادة حتّى الوفاة.

(١) سورة النّور، الآية: ٣٥.

أمّا غير الشيعة فعلى أقوال:

١. عصمتهم من الكبائر دون الصغائر.

٢. عصمتهم من سنّ البلوغ دون ما قبله.

٣. عصمتهم بعد النبوّة.

٤. من أنكر عصمتهم. وهم الحشويّة وبعض أهل الحديث. وقالوا بإمكان صدور المعصية ولو عمداً!

- العصمة هي ملكة نفسانيّة راسخة تدفع صاحبها نحو الطاعة وتمنعه عن المعاصي باختياره.

- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تلقّي الوحي وتبليغه هو كون الأنبياء عليهم السلام علمهم بالوحي حضوري لا يقبل الشكّ والتردُّد.

- سرّ عصمة الأنبياء عليهم السلام عن المعصية كونهم بلغوا الغاية في إدراك الحقائق وصفاء روحهم وقوّة إرادتهم، وبسبب هذا الاستعداد تتولّاه العناية الإلهيّة الخاصّة.

أسئلة

١. عدّد الأقوال والآراء حول عصمة الأنبياء عليهم السلام .

٢. عرّف العصمة، وما المقصود من العصمة المنزّه عنها المعصوم.

٣. تحدّث باختصار حول السّر في عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تلقّي الوحي.

٤. تحدّث باختصار حول السّر في عصمة الأنبياء عليهم السلام في مجال تبليغ الوحي.



الدرس السابع عشر

الأدلّة على عصمة الأنبياء عليهم السلام



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب دليلاً عقلياً على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢. أن يستذكر دليلاً نقلياً على عصمة الأنبياء عليهم السلام.





الأدلّة العقليّة على العصمة

إنّ مخالفــة أفعال الأنبيــاء عليهم السلام لأقوالهم ومباينة ســلوكهم لكلامهم يترك أثره في مجالين أساسين هما:

١ ـ الهداية والتّعليم

٢ ـ التّزكية والتّربية



١- دليل الهداية والتّعليم

بما أنّ الهدف الأساس من بعثة الأنبياء عليهم السلام هو هداية البشر للحقائق وتعليمهم الوظائف والأحكام الإلهيّة، ومن الواضح والمعلوم أنّ التعليم والبيان يحصل من خلال الكلام تارة، ومن خلال الفعل تارة أخرى، والبيان من خلال الفعل قد يكون أقوى تأثيراً منه بالكلام، فلو فرض مخالفة النّبيّ لأقواله من خلال الفعل المناقض لها، فإنّ النّاس سيفقدون الثّقة بأقوال الأنبياء عليهم السلام، وبالتّالي سينتقض الغرض والهدف من بعثتهم، ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة، فوجبت عصمة الأنبياء عليهم السلام لانحصار تحقّق الغرض من خلالها.

٢- دليل التّربية والتّزكية

إنّ من جملة وظائف وأدوار الأنبياء عليهم السلام دفع النّاس لتربية نفوسهم وتزكيتها، ووجود القدوة الحسنة والمثل الأعلى في عمليّة التزكيّة أمر لا بُدّ منه ولا غنى عنه، ولا يصحّ أن يكون القدوة إلّا من بلغ أسمى درجات الكمال الإنساني المتجليّة بالعصمة، إضافة إلى أنّ التزام المربّي وسلوكه الموافق لأقواله له الأثر الكبير في دفع الآخرين لتربية نفوسهم وتزكيتها، وعليه فإنّ تحقّق الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام بصورة كاملة باللّحاظ التّربوي لن يتحقّق دون العصمة في الأقوال والأفعال.

الأدلّة النّقليّة على العصمة

لقد أولت الآيات القرآنيّة والرّوايات أهميّة كبرى لعصمة الأنبياء عليهم السلام فورد العديد منها ممّا يمكن الاستدلال به على العصمة، ولكن المقام يقتضي الاختصار والاقتصار على بعض الآيات.

الآية الأولى:

لقد استعمل القرآن الكريم كلمة (مخلَص) بفتح اللّام وهي- اسم مفعول- وتعني أنّ اللّه جعله خالصاً، وهي مغايرة لكلمة (مخلِص) بكسر اللّام- اسم فاعل- وتعني الإخلاص للّه، ومحلّ الكلام هو المعنى الأوّل، ومن خصائص المخلَص- بالفتح- أنّه لا يقدر أحد على إغوائه حتّى إبليس قال تعالى:- حكاية عن إبليس- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، وعدم تعرّض إبليس لإغواء المخلَصين نابع من علمه بالعجز عن إغوائهم، وما ذلك إلّا لما تمتّعوا به من تنزيه من الضّلال وعصمة من الآثام والذّنوب، وعليه يكون

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢ - ٨٣.

اصطلاح مخلَص ، بالفتح ـ مساوٍ لمصطلح (معصوم) ، ولا شكّ بأنّ الأنبياء عليهم السلام من أبرز المخلَصين، ويؤكّد ما ذكر أنّ القرآن نسب (المخلَص) لعدد من الأنبياء عليهم السلام ، وفي عدّة آيات:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[(٢)].

ووصف تعالى النّبيّ يوسف عليه السلام بالمخلَص في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[(٣)]، وبهذه الآيات تثبت عصمة عدد من الأنبياء عليهم السلام .

الآية الثّانية:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[(٤)].

لقد أوجب الله تعالى على النّاس إطاعة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً، ولم يرضَ بمخالفتهم، والطّاعة المطلقة لا تتناسب مع احتمال وقوع الأنبياء عليهم السلام بالخطأ والانحراف بل تنافيها، إذ لو فرض وقوع الانحراف والخطأ فلا يبقى أيّ معنى للطّاعة؛ لأنّ الطّاعة حينئذٍ تعني أنّه تعالى يرضى بالانحراف وهو قبيح لا يفعله المولى عزَّ وجلَّ، فالطاعة المطلقة ملازمة للعصمة، لا تنفكّ عنها.

الآية الثّالثة:

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي

(١) سورة ص، الآيتان: ٤٥- ٤٦.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦٤.

﴿جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

فلقد طلب النّبيّ إبراهيم عليه السلام منصب الإمامة لذريّته، أو سأل عمّن ينالها من ذريّته، فجاءه الجواب بأنّ المناصب الإلهيّة كالنّبوّة والإمامة لا ينالها من تلوّث بـ (الظلم)، ومن الواضح أنّ كلّ معصية هي ظلم للنّفس على كلّ حال؛ لأنّ المعصية إن لم تتعلّق بالغير كانت ظلماً للنّفس فقط، وإن تعلّقت بالغير كانت ظلماً للنّفس وللغير، وعليه فكلّ عاص ومذنب ظالم في المصطلح القرآني قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، فالآية تدلّ على أنّ الأنبياء عليهم السلام منزّهون عن كلّ ظلم ومعصية وهو معنى العصمة وبهذا المقدار يظهر جليّاً، أنّ عصمة الأنبياء عليهم السلام أمرٌ ضروري عقلاً وقد أكّدته الآيات الّتي تمّ عرضها آنفاً.

تنبيه مهم

تقدّم أنّ العصمة ملكة نفسانيّة تمنع صاحبها من ارتكاب المعاصي مع قدرته عليها، فالعصمة حركة فرديّة، وكمال شخصيّ، يختصّ بصاحبه، بينما الرسالة والإمامة تفرضها حاجة المجتمع إلى التّشريع والقيادة اللّذان يتحقّقان بالرسالة والإمامة. فقد يتحلّى الإنسان بالعصمة من دون أن يكون نبيّاً أو إماماً وذلك لعدم حاجة المجتمع إليهما، وعليه؛ فكلّ نبيّ أو إمام معصوم، وليس كلّ معصوم يجب أن يكون نبيّاً أو إماماً، ومن هنا قال الشّيعة بعصمة الزهراء عليها السلام، وعصمة السّيّدة مريم عليها السلام، وذلك لقيام الدّليل على عصمتهما، وقد يوجد من هو معصوم غيرهما إلّا أنّ التّمييز بين المعصوم وغيره يتوقّف على البيان الإلهي؛ لأنّه تعالى هو المطّلع على هذه الصّفة دون غيره.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.



. من الأدلّة العقليّة على العصمة:

١. **الهداية والتعليم:** حيث إنّ من أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام الهداية والتعليم، فلو فرض معصية الأنبياء عليهم السلام لفقد الناس الثقة بهم، وبالتالي انتقض الغرض من بعثتهم ونقض الغرض قبيح ومخالف للحكمة.

٢. **التربية والتزكية:** حيث إنّ من أهداف بعثة الأنبياء عليهم السلام التربية والتزكية، فلو فرض معصيتهم، لفقد الناس القدوة، والّتي لها دور كبير في عمليّة التربية والتزكية.

. من الأدلة النقليّة على العصمة:

١. قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[١] والأنبياء عليهم السلام هم من المخلَصين فلا يقعون تحت غواية الشيطان.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٢] والأمر بإطاعة الأنبياء عليهم السلام مطلقاً لا يتناسب مع معصيتهم.

٣. قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[٣] فالمناصب الإلهيّة كالنبوّة والإمامة لا ينالها الظالم، والظالم بالمصطلح القرآنيّ هو كلّ عاصٍ ومذنب.

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ٨٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



أسئلة

١. أذكر أحد الدليلين العقليّين على عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٢. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، كيف تستدلّ بهذه الآية على العصمة؟

٣. بيّن كيفيّة الاستدلال بآية الابتلاء على العصمة؟

٤. هل يلزم أن يكون كلّ معصوم نبيّاً أو إماماً، ولماذا؟



الدرس الثامن عشر

شـبهـات حول العـصـمة (١)



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى قواعد فهم مراد المتكلّم.

٢. أن يفرّق بين نوعي الأوامر الإلهيّة.





تمهيد:

هناك عدد من الآيات القرآنيّة نسبت صدور أفعال من الأنبياء عليهم السلام، قد يظهر منها ما ينافي عصمتهم، إضافة إلى ما ورد عنهم عليهم السلام وعن الأئمّة عليهم السلام في أدعيتهم ومناجاتهم من الاستغفار والتّوبة، الّذي يوهم ارتكابهم المعاصي واقترافهم للذّنوب. فكيف نتعامل مع هكذا نصوص؟

الجواب: يقع في مقامين:

المقام الأوّل: إنّ فهم مراد المتكلّم من كلامه يعتمد على القرائن المحيطة بكلامه سواء كانت القرائن لفظيّة أم حاليّة أم عقليّة، لما لها من أثر مهمّ في معرفة مقصود ومراد المتكلّم، وكذلك لها أثر في تحديد وجهة الفعل الصّادر من فاعله، فإذا قام الدّليل العقلي القطعي على أمر ما، وجاء دليل لفظي من الشارع الحكيم ظاهره مخالف لحكم العقل القطعي، فالدّليل العقليّ يشكّل قرينة متّصلة بالكلام تغيّر ظاهر الدّليل اللّفظي، وتفرض فهمه بكيفيّة تتوافق مع هذا الدّليل العقليّ كما هو الحال - مثلاً - مع الآيات والرّوايات الّتي قد يظهر منها ابتداءً وبلا تأمل التّشبيه والتّجسيم للّه تعالى، فإنّه لا بُدّ من التّعامل معها على أساس الظّهور المعتمد على القرينة العقليّة القطعيّة، والّتي تعيّن المعنى المراد

والموافـق للتّنزيه ـ وذلك بعدمـا قام الدّليل العقليّ على وجـوب التّنزيه وامتناع التّجسـيم. وبهذه الطريقة تمّ التّعاطي مع قولـه تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[1]، وغيرها من الآيات الّتي توهم التّجسـيم والتّشـبيه، حيث فسِّـرت اليد بالقدرة، بـل هو المعنى الصّـحيح الظّاهر من لفظ اليد، بالاعتماد علـى القرينة العقليّة الّتي قامت على اسـتحالة التّجسيم. وهذا ليس تأويلاً وحملاً للكلام على خلاف ظاهره، بل هذا ما يُفهم من ظاهر الكلام مع التوجّه للقرينة العقليّة حال استماع هكذا كلام.

وكذلك الحال بالنّسبة لعصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام فإنّ الدّليل العقليّ ـ الّذي تقدّم ذكره ـ والّذي أثبت عصمتهم عليهم السلام يشكّل قرينة لا يمكن إغفالها، لما لها من دور في تحديد المعنى المقصود من أيّ كلام أو فعل يصدر عنهم عليهم السلام قد يتوهّم منه ما يخالف عصمتهم؛ فيتعيّن حينئذٍ حمل الكلام على معناه الظّاهر المعتمد على تلك القرينة العقليّة، وهذه هي الطريقة العقلائيّة في الفهم والتّفهيم المتّفق عليها بين العقلاء، وكذلك الحال في القرائن اللّفظيّة إذ لا بُدّ من تتبّع وجمع الآيات والرّوايات المرتبطة بموضوع معيّن حتّى تتشكّل من خلالها الصّورة الصّحيحة والكاملة للمفهوم المراد، لأنّ الاجتزاء والاكتفاء ببعضها، يؤدّي إلى انحراف الباحث عن الحقيقة الّتي يطلبها ـ حسب الفرض ـ وبعد هذا البيان أصبح بالإمكان الدّخول إلى المقام الثّاني من الجواب.

المقام الثّاني: ويستعرض فيه جملة مفاهيم ومصطلحات ترجع إليها مجمل الشّـبهات المطروحة، بحيث يرتفع الشّـك والشّـبهة بمجرّد توضـيحها وفهمها بشكل صحيح.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.

أ ـ إنّ الأوامر والنواهي الإلهية تنقسم إلى قسمين:

١ ـ أوامر ونواهٍ مولويّة وهي تكاليف شرعيّة إلزامية يترتّب على مخالفتها الذّم والعقاب، ومخالفة هذه التّكاليف هو الّذي يتنافى مع العصمة.

٢ ـ أوامر ونواهٍ إرشادية، وإنّما هي مجرّد إرشاد وتوجيه للمصلحة والمفسدة في المأمور به والمنهي عنه ولذلك، لا يترتّب على مخالفتها العقاب، بل يتحمّل المخالف لها الآثار الوضعيّة والتكوينيّة المترتّبة عليها، وحالها حال نهي الطّبيب مريضه عن تناول طعام معيّن، فلو خالف المريض نهي الطبيب فإنّه لا يترتّب عليه عقاب ولكنّه يتحمّل الآلام المترتّبة على تناول الطّعام المنهي عنه.

وعليه فارتكاب هذا القسم من المخالفة لا ينافي العصمة، فإنّه قد لا يترتّب عليه لوم وعتاب فضلاً عن الذّمّ والعقاب.

ب- ترك الأولى:

يجب إعادة التأكيد على أنّ الفعل الّذي يتنافى مع العصمة، هو خصوص الفعل المحرّم شرعاً، أو ترك الواجب كذلك، أمّا ما يصطلح عليه بـ «**ترك الأولى**» فإنّه لا ينافي العصمة، فالإنسان المؤمن إذا ارتقى في درجات الإيمان، فلم يترك صلاة اللّيل مثلاً لسنوات، فإذا نام عنها ولو لمرّة واحدة، ستجده واقفاً بين يدي ربّه مستغفراً تائباً. وكأنّه ارتكب فعلاً محرّماً بل قد يشعر شعور المذنب حقيقة، فإذا كان هذا حال الإنسان العادي فكيف بالأنبياء عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام وغيرهم من المعصومين عليهم السلام، فإنّهم يشعرون بالذّنب لمجرّد الالتفات عن الخالق ولو كان التفاته لسبب ضروري، لأنّ له من المعرفة والارتباط بالله تعالى والشّوق للمثول بين يديه، ما لا يدركه غيرهم من البشر مهما بلغوا في مراتب عبوديّتهم.

ج- الذنب والمعصية لغة:

إنّ هناك ألفاظاً حمّلت معانٍ أخصّ من معناها الحقيقيّ الأصليّ، فأصبحت بذلك مرادفة للفظ الحرام - أي مخالفة الأمر الإلهيّ الإلزاميّ - وهذا ما أوقع البعض في الاشتباه مثل كلمة (ذنب) و(معصية)، فإنّها لا تختصّ بمخالفة أوامر الله تعالى فقط، فالمعصية تعمّ كلّ مخالفة للطّلب ولو لم يكن صادراً من الله تعالى فيقال: (عصى التلميذ أستاذه)، والذّنب: هو كلّ فعل يستحقّ فاعله عليه العقاب بنظر من صدر بحقّه هذا الفعل؛ لأنّه يُعْتبَر جرماً بنظره، ومثاله قوله تعالى حكاية عن النّبيّ موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾[1] فهو ذنب بنظر فرعون وقومه يستحقّ عليه النّبيّ موسى عليه السلام العقاب بنظر فرعون، وهذا لا يعني أنّه ذنب وجرم عند الله تعالى، وعليه ينبغي التأمّل عندما نقرأ أو نسمع بمعصوم استعمل هكذا ألفاظ، إذ يجب حملها على معناها الحقيقي الأعمّ من الحرام ولا يساويه.

إيّاك أعني واسمعي يا جارة

إنّه ممّا لا شكّ ولا ريب فيه أنّ من أهمّ وظائف الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو دور تربية النّاس ودفعهم لتزكية أنفسهم، وتعليمهم كيفيّة التّعامل مع أنفسهم ومع ربّهم ومع المجتمع، ومن المعروف أنّ من جملة الأساليب التربويّة - في بعض الحالات - هو توجيه الخطاب لشخص ويراد به غيره، وذلك لأكثر من سبب. منها فتح قلوب الناس وعقولهم لإدراك المبادئ والقيم بشكل موضوعي، إذ إنّ توجيه الخطاب بشكل مباشر يدفع النّفوس المريضة لعدم التأمّل في المفاهيم والقيم بشكل صحيح، بل تستنفر طاقاتها للدّفاع عن ذاتها، لا لمحاكمتها، فتنصرف النّفس حينئذ عن إدراك الغاية وفهم المعنى، ولذلك استخدم القرآن الكريم

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

هـذا الأسـلوب الّذي عبّر عنه الإمام الصّـادق عليه السلام بقولـه: «**إنّ الله بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جارة فالمخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس**»[1].

بعد هـذا البيان يبقى الكلام حول بعض النّماذج من الآيات أو الرّوايات الّتي قد يُساء فهمها، وتحلّ المشكلة فيها على أساس هذه الأمور الّتي تمّ استعراضها وتوضيحها كمقدّمات لحلّ الشبهات الواردة على الآيات والروايات.

خلاصة الدرس

- ورد بعض الآيات والروايات الّتي توهم نسـبة صدور أفعال من الأنبياء عليهم السلام تنافي عصـمتهم، بالإضـافة إلى ورود أدعية ومناجـاة عنهم وعن الأئمّة عليهم السلام توهم اقترافهم للذنوب، الجواب:

أ- إنّ فهـم مـراد المتكلّم يعتمد علـى القرائن المحيطة بكلامه سـواء كانت قرائـن لفظيّة أم حاليّة أم عقليّة، ولا يُقتصـر فـي فهم المراد على ظاهر الكلام بما هو بغضّ النظر عن القرائن. فالقرائن تُحدِّد المعنى الحقيقي من الكلام.

ب- الأوامر والنواهي المنافي مخالفتها للعصمة هي الأوامر والنواهي المولويّة الإلزاميّة لا الإرشاديّة الّتي لا يترتّب عليها الذمّ والعقاب.

ج- ترك الأولى لا ينافي العصمة لأنّه لا إلزام فيه.

د- الذنب والمعصية تُطلق لغة على الأعمّ من الحرام.

هـ- هناك خطابات موجّهة للمعصوم بظاهرها فيها شدّة ومؤاخذة، وما هذا إلّا مـن باب: «**إيّـاك أعني واسمعي يا جارة**». فليسـ المراد توجيه الكلام

(١) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، ج٤، ص٢٣٤.

إلى المعصوم إنّما إلى الناس بشكل عام، وذلك لما لهذا الإسلوب من فائدة تربويّة، حيث إنّ التوجيه المباشر للشخص قد يُسبِّب نفوراً لديه عن سماع الموعظة.

أسئلة

١. ما هي المسائل الّتي ينبغي مراعاتها لفهم مراد المتكلّم؟

٢. ما هو الفعل الّذي يتنافى مع العصمة؟

٣. بيّن أقسام الأوامر والنواهي الإلهيّة، وما هي الآثار المترتّبة عليها.

٤. لماذا اعتبر البعض أنّ استعمال كلمة (ذنب) و(معصية) بحقّ المعصومين يتنافى مع عصمتهم؟

٥. لماذا استخدم تعالى أسلوب (إيّاك أعني واسمعي يا جارة)؟



الدرس التاسع عشر

شبهات حول العصمة (٢)



أهداف الدرس:

١. أن يعالج الطالب شبهة معصية النبيّ آدم عليه السلام.

٢. أن يعالج شبهة معصية النبيّ موسى عليه السلام.

٣. أن يعالج شبهة ذنب النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.







تمهيد:

بعد ما تقدّم من البيان، يستحسن ذكر نماذج من العبارات والمواقف الّتي أوهمت وقوع ما يخلّ بعصمة المعصومين، تدريباً لطالب الحقيقة على إرجاع الموارد الموهمة إلى مبادئها وأصولها، والّتي من خلالها تفهم بشكل صحيح.

آيات قصّة آدم عليه السلام

الآيات الّتي تحدّثت في قصّة النّبيّ آدم عليه السلام حول وسوسة الشيطان له، وإخراجه من الجنّة بسبب الأكل من الشّجرة، وقد نسب اللّه تعالى فيها لآدم عليه السلام ارتكاب المعصية والغواية، ثمّ توبة اللّه عليه كما في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[1].

والجواب: بعد التّأمّل في مجمل الآيات الواردة في المقام يتّضح الجواب من خلال الإشارة إلى عدّة نقاط:

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢١-١٢٢.

١- إنّ المعصية الّتي نسبت لآدم عليه السلام هي مخالفته لنهي إرشاديّ لا يتنافى مع العصمة، وليست مخالفته لنهي شرعيّ تحريميّ (مولويّ)؛ بدليل أنّ الجنّة الّتي كان فيها آدم عليه السلام لم تكن دار تكليف أصلاً، ولم تنزل شريعة بعدُ، فلا وجود لأمر ونهي مولويّ حتّى يخالفه.

٢- أنّ المولى لم يرتّب عليها عقاباً، بل المترتّب على هذه المخالفة هو الخروج من الجنّة[١]، والهبوط إلى الأرض، وهذه هي الغاية من خلق آدم عليه السلام وبقيّة البشر إذ يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾[٢]، وترتّب على هذه المخالفة أيضاً انتقال آدم عليه السلام وحواء من مرحلة تحصيلهما ما يريدان بدون تعب إلى مرحلة شقاء المكابدة والمجاهدة لتحصيل الطّعام والشّراب واللّباس، فإنّه وبمجرّد أكلهما من الشّجرة بدت سؤاتهما وأدركا لزوم التّستّر، وهذه نتائج طبيعيّة للأكل من الشّجرة وليس عقاباً. قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٣].

(١) اتفقت كلمة العلماء على أنّ الجنّة المذكورة ليست جنّة الخلد وذلك لأنّ جنّة الخلد هي نتيجة العمل في الدنيا، إضافة إلى أنّ الداخل إليها لا يخرج منها وأما التوبة على آدم عليه السلام، فإنّ التوبة عن كل شيء بحسبه، وبما أنّ المعصية كانت لأمر إرشادي مخالف للأولى كانت التوبة كذلك.

(٢) سورة البقرة، الآية:٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠-٢٢.

وأمّا لفظ (غوى) بمعنى ضلّ فهو يعني هنا -أيضاً- وقوع آدم عليه السلام في مخالفة النهي الإرشادي بالابتعاد عن الشجرة -كما مرّ آنفاً-، وليس المراد الغواية المحرّمة المسبّبة عن معصية الأمر المولوي من الله سبحانه، بدليل:

أوّلاً: إنّه تعالى لم يرتّب عليها عقاباً، بل أنهى تعالى كلامه برفع درجة آدم عليه السلام واجتبائه له ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾[1] وهذا لا يتلائم مع ارتكابه لفعل محرّم.

ثانياً: أنّه تعالى قد تعهّد عند مخاطبته إبليس بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾[2] بصيانة عباده من غواية إبليس. الغواية المحرّمة. والأنبياء عليهم السلام على رأسهم وآدم عليه السلام منهم، فينكشف أنّ الغواية هي المسبّبة لمخالفة النهي الإرشادي فقط دون غيرها.

آيات قصّة موسى عليه السلام

لقد تحدّث القرآن الكريم عن النّبيّ موسى عليه السلام في جملة آيات:

منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الحجر، الآية:٤٢.

(٣) سورة القصص، الآيات: ١٤-١٦.

والشّبهة تدور حول قول النّبيّ موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

والجواب: لا بُدّ فيه:

أوّلاً: من ملاحظة مجموع الآيات، خاصّة وأنّ المولى عزَّ وجلَّ صدّرها بمدح النّبيّ موسى عليه السلام، وإظهار علوّ شأنه وارتفاع مرتبته، وأنّه من المحسنين، فكان جزاؤه من اللّه تعالى أن آتاه العلم والحكمة الإلهيّين. وتصديرُ الآيات بالمدح للنّبيّ موسى عليه السلام وبيان أهليّته لتحمّل العهد الإلهيّ لا يتناسب مع نسبة المعصية المحرّمة إليه، فإنّ المعصية تقتضي الذّم لا المدح، وهذا واضح.

ثانياً: إنّ المولى عزَّ وجلَّ قد استعمل لفظ (وَكَزَ) وهو ظاهر في كون الفعل الصادر من النّبيّ موسى عليه السلام لم يكن بقصد القتل، في ضربة لا تؤدّي إلى الموت عادة، فلا يعدّ النّبيّ موسى عليه السلام مرتكباً لجرم وذنب يستحقّ عليه العقاب بالنّسبة للّه تعالى، إلّا أنّ هذا لا يمنع من أن تتفاعل آثار موت القبطي من ناحية اجتماعيّة، بحيث يعتبر النّبيّ موسى عليه السلام ظالماً ومذنباً ويستحقّ العقاب على فعله بنظر فرعون ومجتمع القتيل، وهذا المعنى صرّح به تعالى حكاية عن النّبيّ موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[1].

فالنّبيّ موسى عليه السلام كان مذنباً بنظرهم، ولذلك كان يستحقّ العقاب بقتله قصاصاً أيضاً بنظرهم، ولذا قال: (ولهم) ولم يقل «ولك عليّ ذنب».

ولأنّ موت هذا الرجل بهذه الضّربة - المعبّر عنها بـ (وَكَزَ) - لم يكن أمراً طبيعيّاً، بحيث لا يتوقع من مثله أذيّة كبرى فضلاً عن الموت، نسبه النّبيّ موسى

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

عليه السلام للشيطان، بقوله ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1] وأمّا طلب النبيّ موسى عليه السلام من المولى عزَّ وجلَّ أن يغفر له، فهو بمعنى محو أو تخفيف الآثار والنتائج الاجتماعيّة المترتّبة على هذا الفعل، الّذي لم يكن محرّماً.

آيات في قصّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

لقد نسب القرآن الكريم للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ارتكاب ذنوب، وقد غفرها له كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2].

وهذه الآية من جملة الآيات الّتي أشكل فهمها على بعض، إذ توهم أنّ الله تعالى قد نسب إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ذنباً، وهو منافٍ للعصمة المفروضة.

والجواب: إنّ التأمّل في الآيات المذكورة يدلّ على أنّ المراد من الذّنب هنا هو ما ارتكبه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بحقّ قريش والمشركين من إهانة آلهتها، وقتل أبطالها، وكسر هيبتها، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مذنب بنظر قريش وقد استحقّ عندهم بذلك العقاب والانتقام منه صلى الله عليه وآله وسلم على ما فعله بهم وبآلهتهم، وبهذا يصبح للرّبط بين الفتح والمغفرة معنى، فإنّ الفتح - بغضّ النظر عن كونه صلح الحديبية وعليه الأكثر أو فتح مكّة - الّذي تحقّق على يد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قضى على آخر أمل لقريش في معاقبة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على ما ارتكبه بحقّها وفي نظرها.

وبالتأمّل فيما ذكر يتّضح المقصود من الذّنب والمغفرة في المقام، وأنّه ليس بمعنى مخالفة أمر شرعيّ الزامي فلا يكون مخالفاً ومنافياً لعصمته صلى الله عليه وآله وسلم. كما تقدّم في الدرس السابق.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ١-٢.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾[١] فإنّها وغيرها من الآيات من باب «**إيّاك أعني واسمعي يا جارة**»، الّذي قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «**فالمخاطبة للنّبيّ والمعنى للنّاس**»[٢]. إضافة إلى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدر منه التقوّل والكذب على الله ـ والعياذ بالله ـ وبالتّالي لم تصدر منه المعصية لله تعالى.

وبعد كلّ ما ذكر يمكن ـ بعد التأمّل ـ فهم ما لم يذكر من الآيات الموهمة وذلك بإرجاعها إلى الأسس والقواعد الّتي ذكرت في الدّرس السابق. كما ينبغي أيضاً الرجوع إلى الروايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والّتي بيّنوا فيها المعنى المقصود من هذه الآيات، وحذّروا فيها من نسبة المعصية لأنبياء الله عليهم السلام. ومن هذه الروايات، ما ورد عن الامام الرضا عليه السلام في جوابه لـ عليّ بن الجهم والّتي يقول فيها عليه السلام: «**ويحك يا عليّ، اتّق الله، ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأوّل كتاب الله برأيك، فإنّ الله عزَّ وجلَّ قد قال:** ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾[٣]»[٤].



خلاصة الدرس

يُجاب عن ما ورد في خصوص ما يوهم معصية النبيّ آدم عليه السلام:

١ـ إنّ مخالفته عليه السلام كانت للنهي الإرشادي لا المولوي؛ حيث لم تكن الجنّة الّتي كان فيها آدم عليه السلام دار تكليف أصلاً فلا وجود لأمر ونهي مولويّ حتّى يُخالفه.

(١) سورة الحاقة، الآيتان: ٤٤- ٤٥.
(٢) مستدرك سفينة البحار، النمازي الشهرودي، ج٨، ص٤٨٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية:٧.
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٩٥.

٢ـ لـو كانت مخالفتـه لنهي مولوي لعاقبه اللّه، وخروجه مـن الجنّة ـ الّتي هي ليست جنّة الخلد ـ ليست عقاباً؛ حيث إنّ غاية خلق آدم عليه السلام هبوطه إلى الأرض ليتحقّق الاستخلاف فيها.

٣ـ الغواية والتوبة كانتا باعتبار المخالفة لأمر إرشادي ومخالفة للأولى.

ـ يُجاب عن ما ورد في خصوص ما يوهم معصية النبيّ موسى عليه السلام :

١ـ تقديم المدح للنبيّ موسـى عليه السلام وإظهار علوّ شـأنه لا يتناسـب مع نسـبة المعصية المحرّمة إليه.

٢ـ كلمـة «**وكـز**» تدلّ على عدم قصـد القتـل، والذنب الّذي على النبيّ موسـى عليه السلام ليس بنظر اللّه سبحانه بل بنظر الناس، وطلب النبيّ موسى الغفران بمعنـى محو أو تخفيف الآثار والنتائـج الاجتماعية المترتّبة على فعله غير المقصود.

ـ يُجاب عن ما ورد في خصوص ما يوهم معصية النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم :

١ـ المراد بالذنب ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] هو الذنب بنظر قريش وليس معصية اللّه.

٢ـ وما ورد بحقّه صلى الله عليه وآله وسلم من مثـل: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ فهـي مـن باب: «**إيّـاك أعني واسمعي يـا جارة**».
إضافة إلى أنّها لا تدّل على الوقوع ولا تتنافى مع عدم الإمكان.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.



أسئلة

١. بماذا تجيب من ينسب إلى النّبيّ آدم عليه السلام، ارتكاب ما يخالف العصمة؟

٢. أجب على مسألة قتل النّبيّ موسى عليه السلام للقبطيّ.

٣. قال تعالى مخاطباً النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. والسؤال هو:

كيف يمكن فهم هذه الآية بما لا يتنافى مع العصمة؟



الدرس العشرون

المعجزة



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى المعجزة.

٢. أن يعدِّد عناصر المعجزة.

٣. أن يتبيّن الترابط بين المعجزة والنبوّة.





مقدّمة:

يعتبـر مقام النّبـوّة من المقامات السّـامية ويتوقّف على إثبات النّبوّة مصـير الإنسـان وسـعادته دنيا وآخرة؛ ولها أهميّة كبرى كونها من المقامات والمناصب الإلهية الّتي لا يدانيها أيّ منصب ومقام آخر، ولأنّها منصب خطير شكّلت مطمعاً لأصحاب الأهواء من أهل الدنيا، فادّعَوْها كذباً وزوراً، ولأنَّ النّبوّة ارتباط بالغيب الّذي لا يستطيع النّاس الاطّلاع عليه بشكل مباشر، لأجل كلّ ما ذكر وجب أن يزوّد النّبيّ بأمر يعجز النّاس عن الإتيان بمثله، ليستطيع النّبيّ من خلاله إثبات صدقه في دعواه النّبوّة وكذب كلّ من يدعيها زوراً وطمعاً وهذا الدّليل يسمّى (المعجزة).

تعريف المعجزة:

المعجـزة: (هـي أمر خارق للعـادة، يعجز النّاس عن الإتيـان بمثله، مطابق للدّعوى (المطلوب) مصحوب بدعوى النّبوّة، (مقرون بالتّحدّي ـ غالباً).

يشتمل تعريف المعجزة على مجموعة عناصر:

١- «**أمـر خـارق للعـادة**» يعنـي أنّ المعجـزة خارجـة عـن الأسـباب المادّيّة والطبيعيّـة المعروفـة والواقعـة تحت قدرة البشـر، فلا تدركهـا الحواس

ولا تنالها التجربة، فهي محال عادة، ولكنّها ليست خارجة عن الأسباب والقوانين العقليّة، إذ إنّ المعجزة لا تعني وجود الأمر الخارق بدون علّة، لأنّ لها علّة لكنّها غير معروفة ولا مقدورة للبشر، بل لها علّة غيبيّة إلهيّة.

فتحصّل أنّ المعجزة خاضعة لقانون العلّية العامّ وليست مناقضة له، لأنّ أقصى ما يقتضيه هذا القانون هو (أنّه لا بُدّ لكلّ معلول من علّة توجده)، أمّا خصائص هذه العلّة فهي أمر آخر خارج هذا القانون، وبالتّالي فالمعجزة ليست مستحيلة عقلاً.

٢- أنّها «**يعجز النّاس عن الإتيان بمثله**» وبهذا يفرّق بين المعجزة، وبين أعمال المرتاضين والسّحرة وأصحاب الإبداع العلمي، فهي قد تكون خارقة للعادة، ولكنّها تعتمد على علل وأسباب معروفة عند أهل هذا العلم وأصحاب الفنّ، وإن كانت مجهولة عند غير أهل الاختصاص فهو غير معجز لإمكان الإتيان بمثله ممّن تعلّم قواعده وعرف خفاياه.

٣- أن يكون «**مطابق للدّعوى**» والمقصود من هذا أن تكون نتيجة الفعل موافقة لما قصده النبيّ أو طُلِب منه، فيكون دليلاً على صدق مدّعي النّبوّة في دعواه؛ لأنّ المعجزة إنّما يأتي بها النّبيّ أو تطلب منه لأجل أن يثبت صحّة وصدق ارتباطه بالغيب، وإلّا لو كان الفعل مخالفاً لكان دليلاً على كذبه وإن كان خارقاً للعادة، فمسيلمة الكذّاب عندما طلبوا منه أن يتفل في بئر ليفيض ويكثر ماؤه، غاض وغار ماؤه فدلّ ذلك على كذبه.

٤- أن تكون «**مصحوبة بدعوى النّبوّة**» يعني أنّ الإتيان بالأمر الخارق للعادة المشتمل على الشّروط المتقدّمة لا يسمّى معجزة في المصطلح الخاصّ، إلّا إذا كان مصحوباً بدعوى النّبوّة، وأمّا لو لم يكن مصحوباً بها فيسمّى كرامة كما هو الحال فيما يأتي به الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

٥- أن تكون «**مقرونة بالتّحدّي**» وهذا الشـرط لا يدخل في حقيقة المعجزة بقدر ما يشكّل وسيلة لحصول الإقرار والإذعان، بحيث تكون الحجة للنّبيّ على النّاس واضحة بيّنة، فإنّ النّبيّ عندما يتّحدّى المنكرين لنبوّته الإتيان بمثله إنّما يتحدّاهم لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله، وصحّة ارتباطه بالغيب وتصديق الله تعالى له وأنّه مرسل من قبله.

طريقان آخران غير المعجزة

يوجد طريقان آخران يمكن إثبات النّبوّة من خلالهما في بعض الحالات وهما:

أوّلاً: **الحياة الشخصيّة المستقيمة للإنسان قبل نبوّته من المزايا والفضائل**، وسيرته الحسنة مثل الصّدق والأمانة، والعدالة والتّواضع وغيرها، وكذلك مضمون دعوته كالدّعوة للحقّ والعدل والتّوحيد والأخلاق الحسنة وغيرها، فإنّها قد تصل بالبعض إلى حدّ الاطمئنان والتّصديق بنبوّته. إلّا أن هذا الطريق يبقى ناقصاً في الغالب لأنّه لا يفيد القطع والجزم التامّ.

ثانياً: **تبشير النّبيّ السّابق** وتصديقه ودلالته على النّبيّ الّذي يأتي من بعده؛ فإنّه طريق تثبت من خلاله نبوّة اللّاحق. وإلا لزم تكذيب النبيّ السابق أو خطؤه وقد تقدّم استحالة هذا على النبيّ مطلقاً.

التّرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة

يوجد بين المعجزة والنبوّة رابط حقيقي، وذلك؛ لأنّ ادّعاء النّبوّة يلازمه ادعاء الارتباط بالغيب من خلال الوحي الإلهي، وهذا لا يمكن أن تدركه الحواس، أو يطّلع عليه النّاس، وعليه فادّعاء النّبوّة ادّعاء لأمر خارق للعادة، فلو كان النّبيّ صادقاً في دعواه النّبوّة والوحي كان لازمه أنّه مؤيّد بقوّة إلهيّة، والمؤيّد بهذه القوّة الإلهيّة حقّاً، يمكنه الإتيان بخارق آخر للعادة وهو المعجزة.

وبسبب هذا الترابط المنطقي كان النّاس يطلبون المعجزة ليثبتوا صحّة دعوى النّبوّة من مدّعيها.

فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق

يوجد مجموعة فوارق بين الخارق للعادة الإلهيّ بقسميه المعجزة والكرامة من جهة وبين غيرهما من الخوارق.

١- أنّ المعجزة والكرامة وليدتا العناية الإلهيّة الخاصّة ولذلك لا تكونان خاضعتين للدّراسة والتّعلّم، وأمّا السحر وغيره فهو نتاج التّعليم والتّعلّم، وله قواعد ومنهج علميّ ويحتاج إلى ممارسة وتدريب قال تعالى:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[١].

٢- أنّ السّحر متشابه في نوعه يدور في فلك واحد، ولا يأتي السّحرة إلّا بما تدرّبوا عليه، وأمّا المعجزة فهي شديدة التّنوّع بحيث لا تكاد تجد بينها قدراً مشتركاً، فأيّ قدر مشترك مثلاً في معاجز النّبيّ عيسى عليه السلام الّتي وردت في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]، فما هو القدر المشترك بين إحياء الأموات، وشفاء المرضى وعلمه بما يأكل النّاس وما يحتفظون به في بيوتهم؟

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

٣- الاختلاف بينهما مـن حيث الأهداف والغايات، فإنّ الأنبياء عليهم السلام يأتون بالمعجزة ليصلوا من خلالها إلى أهداف سامية من الدّعوة إلى اللّه تعالى، ونفي الشّرك والدّعوة إلى الفضائل، ونبذ الرّذائل، وللعدل وغيرها.

أمّـا السّـحرة وغيرهم فالمهـمّ عندهم هو الشـهرة والمال وغيـر ذلك من المصـالح الخاصّـة، ولذلك تجد الأنبياء عليهم السلام يتّصـفون بما يدعـون إليه من مكارم الأخلاق بخلاف السّحرة وغيرهم.

خلاصة الدرس

المعجـزة هـي: أمر خارق للعـادة، يعجز النـاس عن الإتيـان بمثله، مطابق للدّعوى، مصحوب بدعوى النبوّة، مقرون بالتحدّي غالباً، ويشتمل هذا التعريف على عناصر:

١- **أمر خارق للعادة:** فهي غير مقدورة للبشر، وهي محال عادة، وإن كانت غير مستحيلة عقلاً، ولا تخرج عن قانون العلّيّة وإن كانت العلّة غير معروفة.

٢- **يعجـز النـاس عـن الإتيان بمثله:** وبهذا تفتـرق المعجزة عن غيرها من الأعمـال الخارقة الّتي تعتمد على علل وأسـباب معروفـة، يُمكن لمن تعلّم أسرارها وقواعدها أن يقوم بها.

٣- **مطابق للدعوى:** فمسـيلمة الكذّاب طُلب منه أن يتفل في بئر ليفيض، إلّا أنّه حصل العكس فغاض الماء وبذلك بان كذبه.

٤- **مصحوبـة بدعـوى النبـوّة:** حيـث إنّ الكرامة خارقة للعـادة ولكنّها غير مصحوبة بدعوى النبوّة، كما كان يحصل مع الأئمّة عليهم السلام والأولياء.

٥- **مقرونـة بالتحـدّي:** فالنبـيّ يتحـدّى المنكرين لنبوّتـه لإثبات عجزهم وتأكيد إعجاز فعله وصدق نبوّته.

. هناك طريقان آخران لإثبات النبوّة غير المعجزة، وهما:

أوّلاً: الحياة الشخصيّة المستقيمة للإنسان قبل نبوّته من المزايا والفضائل وكذلك مضمون دعوته.

ثانياً: تبشير النبيّ السابق بالنبيّ اللاحق.

- هناك رابط منطقي بين النبوّة والمعجزة، حيث إنّ ادعاء النبوّة تعني الارتباط بالغيب والقوّة الإلهيّة، ولازم ذلك إمكان المدّعي الإتيان بخارق العادة (المعجزة).

. هناك فوارق بين المعجزة وغيرها من الخوارق:

١- أنّ المعجزة ناشئة من العناية الإلهيّة، ولذلك لا تكون خاضعة للدراسة والتعلُّم بخلاف غيرها من الخوارق.

٢- المعجزة شديدة التنوّع بخلاف غيرها من الخوارق.

٣-الاختلاف بينهما من حيث الأهداف والغايات، فالمعجزة هدفها سام نبيل بخلاف، غيرها من الخوارق الّتي تكون لأجل المال والشهرة وغيرٍ ذلك من المصالح الضيّقة.

أسئلة

١. عرّف المعجزة، (مع توضيح مختصر).

٢. تحدّث عن الطّريقين الآخرين. غير المعجزة. لإثبات النّبوّة.

٣. تحدّث حول الرابط المنطقيّ بين المعجزة والنّبوّة.

٤. عدّد الفوارق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادة، (مع توضيح مختصر).



الدرس الواحد والعشرون

نبيّ الإسلام ﷺ



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على نبوّة نبيّ الإسلام ﷺ.

٢. أن يعدِّد واحدة من معجزات النبيّ ﷺ.





تمهيد:

إنّ ما نزل من وحي على النّبيّ موسى وعيسى عليهما السلام وهما التوراة والإنجيل قد تعرّضا للتّحريف، ولا يمكنهما أن يقوما بالدّور المنشود في هداية البشر. وأمّا لماذا وكيف تمّ هذا التّحريف فله حكاية طويلة ليس هنا مجال البحث عنها[1].

أجل، في القرن السّادس بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وفي فترة أطبق فيها على العالم كلّه ظلام الجهل والظلم، وخمدت مشاعل الهداية الإلهيّة في كلّ أنحاء العالم، بعث الله خاتم أنبيائه عليه السلام وأفضلهم في أكثر المناطق تخلّفاً وانحطاطاً وظلمة، ليضيء - وإلى الأبد - مشعل الوحي السّاطع لكلّ النّاس، وليحمل للبشر الكتاب الإلهيّ الخالد المصون من التّحريف والنّسخ، وليعلّم النّاس المعارف الحقيقيّة والحكمة السّماويّة، والأحكام والقوانين الإلهيّة، وليقود البشريّة جمعاء باتجاه السّعادة الدّنيويّة والأخرويّة.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ

(١) راجع: إظهار الحقّ، تأليف رحمة الله الهندي، والهدى إلى دين المصطفى، للعلامة البلاغي، و(راه سعادت بالفارسية) للعلامة الشعراني.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه الظّروف والأوضاع الّتي كان يعيشها العالم أيّام بعثة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

«أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظّ من الحروب، والدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منائر الهدى، وظهرت أعلام الرّدى، فهي متجهّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها. ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السّيف»[2].

الدّليل على نبوّة نبيّ الإسلام

يمكن أن نثبت نبوّة الأنبياء عليهم السلام من خلال الطرق الثلاث. الّتي مرّ ذكرها.

١- التّعرف على سيرتهم وسلوكهم، والاعتماد على القرائن والمؤشّرات المؤدّية للاطمئنان. بصحّة نبوّتهم عليهم السلام.

٢- إخبار الأنبياء عليهم السلام السّابقين وبشاراتهم.

٣- المعجزة.

ولقد توفّرت الطّرق الثّلاث لنّبيّ الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

الطريق الأول: عاصر أهل مكّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، واطّلعوا عن كثب على حياته خلال أربعين عاماً، فلم يجدوا نقطة ضعف واحدة في حياته المضيئة الحافلة بالنّور والعطاء، وعرفوه بالصّدق والأمانة، حيث لقّبوه بـ (الصادق الأمين)، وبطبيعة

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧، وفي طبعة صبحي الصالح (منار) بدل (منائر) الخطبة ٨٩، ص ١٢١، ج ١٢٢.

الحال، فلا يحتمل الكذب في مثل هذا الشّخص. وعليه فإذا ادعى النبوّة يُطمأن بصدقه وصحّة دعواه.

الطريق الثاني: فقد وردت بشارات الأنبياء السّابقين وإخبارهم ببعثته[1]. وقد كان ينتظر ظهوره جماعة من أهل الكتاب، وكانوا يعرفون بعض العلامات الواضحة والبيّنة عليه[2]، وكانوا يقولون للمشركين من العرب، بأنّه سيبعث بالرّسالة أحد أبناء النّبيّ إسماعيل (وهم من القبائل العربيّة)، يصدّق الأنبياء السّابقين والأديان التّوحيديّة[3]. وقد آمن به ﷺ بعض علماء اليهود والنّصارى، اعتماداً على مثل هذه البشائر والأخبار[4]، وإن أعرض بعضهم عن اعتناق الإسلام خضوعاً لدوافع دنيوية وشيطانيّة.

وقد أشار القرآن الكريم لهذا الطّريق بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5].

إنّ معرفة علماء بني إسرائيل بنبيّ الإسلام ﷺ استناداً لبشارات الأنبياء السّابقين كما تُعدّ دليلاً واضحاً على صحّة رسالته فهي من المفترض أن تكون مقنعة لأهل الكتاب جميعاً. وأيضاً تعتبر حجّة مقنعة على أنّ الأنبياء المبشِّرين أنفسهم كانوا على حقّ.

---

(١) ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ سورة الصف، الآية: ٦.

(٢) ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الأعراف، الآية:١٥٧، وانظر أيضا: سورة البقرة، الآية: ١٤٦، وسورة الأنعام، الآية: ٢٠.

(٣) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٤) ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾سورة المائدة، الآية: ٣٨، وانظر أيضاً: سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٧.

وممّا يثير العجب والدّهشة ويجدر الالتفات إليه هو أنّه حتّى في هذا الإنجيل، وفي التوراة المحرّفة نفسها، وبالرّغم من كلّ الجهود الّتي بُذلت من أجل إخفاء مثل هذه البشارات والأخبار، توجد بعض النّقاط المضيئة الّتي تقيمّ الحجّة على الباحثين عن الحقيقة، كما اهتدى الكثير من علماء اليهود والمسيحيين - الّذين كانوا طلابا للحقّ والحقيقة - إلى الدّين الإسلامي المقدّس، بتأثير هذه النّقاط المضيئة، والبشائر المتبقّية في كتابَي التوراة والإنجيل[1].

الطريق الثالث: وقد سُجّلت في كتب التّاريخ والحديث الكثير من المعجزات البيّنة الّتي صدرت عن النّبيّ ﷺ، وقد بلغ نقل الكثير منها حدّ التّواتر، كتسبيح الحصى بين يديه ﷺ وانشقاق القمر إلى فلقتين وغيرها[2]، ولكن العناية الإلهيّة اقتضت وجود معجزة أخرى خالدة تدلّ على نبوّة النّبيّ ﷺ ودينه الخالد، وهذه المعجزة الأخرى، هي خالدة بنفسها وبها تتمّ الحجّة على البشر - والى الأبد - وهي القرآن الكريم.

القرآن معجزة

إنّ القرآن الكريم هو الكتاب السّماوي الوحيد الّذي أعلن - وبكلّ صراحة وقوّة - أنّ أحداً لن يتمكّن من الإتيان بمثله، ولو اجتمعت الإنس والجنّ، فلن يتمكّنوا من ذلك[3]، بل إنّهم لا يقدرون على الإتيان بعشر سور مثله[4]، بل حتّى سورة

(١) يمكن أن نعتبر من هؤلاء الميرزا محمد رضا (من علماء اليهود الكبار في طهران) مؤلف كتاب (إقامة الشهود في رد اليهود)، والحاج بابا القزويني اليزدي (من علماء اليهود في يزد) مؤلف كتاب (محضر الشهود في رد اليهود) والبروفسور عبد الأحد داود الأسقف المسيحي السابق، ومؤلف كتاب (محمد في التوراة والإنجيل) الّذي ترجم أخيراً من الإنجيلزية للفارسية.

(٢) يلاحظ: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ١٧، ص ٢٢٥ إلى آخر الجزء ١٨، وسائر كتب الحديث والتاريخ المعتبرة.

(٣) ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٤) ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ سورة هود، الآية ١٣.

واحدة قصيرة ذات سطر واحد[١]. ومن ثمّ تحدّى الجميع ودعاهم لمعارضته ومجاراته، وأكّد ذلك كثيراً في آياته وأنّ عدم قدرتهم على مثل هذا العمل وعدم الاستجابة لهذا التّحدي دليل على صحّة نسبة هذا الكتاب ورسالة النّبيّ ﷺ للّه تعالى[٢].

إذاً فممّا لا يقبل الشّك والتّردّد أنّ هذا الكتاب الشّريف قد حمل معه دعواه بأنّه معجزة، كما أنّ من جاء به عرضه للبشر كمعجزة خالدة، وبرهان قاطع على نبوتّه وإلى الأبد، واليوم. وبعد مرور أربعةَ عشَر قرناً، لا زال صدى هذا الصّوت الإلهيّ يطرق أسماع الجميع، صباح مساء من خلال أجهزة الإعلام الصّديقة والعدّوة، ويُتمّ الحجَّةَ عليهم.

ومن جانب آخر، واجه نبيّ الإسلام من أوّل يوم من دعوته أعداء متشدّدين، وحاقدين، بذلوا كلّ غالٍ ونفيس، لمحاربة هذا الدّين الإلهي، وبعد أن يئسوا من تأثير تهديداتهم وإغراءاتهم تآمروا على قتل النبيﷺ واغتياله. ولكن فشلت هذه المؤامرة بإرادة من اللّه الحكيم وذلك من خلال هجرتهﷺ ليلاً وسرّاً إلى المدينة. وبعد هجرته قضى بقيّة عمره الشّريف في حروب ومعارك عديدة مع المشركين وحلفائهم من اليهود. ومنذ وفاته وإلى اليوم حاول ـ ويحاول ـ منافقو الدّاخل وأعداء الخارج إطفاء هذا النّور الإلهيّ، وقد بذلوا كلّ جهودهم وقواهم في هذا المجال، ولو كان يمكنهم الإتيان بكتاب مثل القرآن الكريم لفعلوا ذلك بدون تردّد. وأراحوا أنفسهم من كل جهد وعناء. وإذ لم يفعلوا مع أنّه السبيل الأقصر والأسهل فيكشف هذا عن أن القرآن معجز فوق قدرة البشر.

(١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سورة يونس، الآية ٣٨.

(٢) ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ سورة البقرة، الآيتان ٢٣ و ٢٤.



خلاصة الدرس

- يمكن إثبات نبوّة النبيّ محمّد ﷺ من خلال الطرق الثلاث - الّتي مرّ ذكرها في الدرس السابق.

الأوّل: المعجزة، حيث كانت لرسول اللّه ﷺ معاجز كثيرة تُحدِّثنا كتب السيرة عنها.

الثاني: سيرة الرسول محمّد ﷺ الناصعة ومضمون رسالته الراقية.

الثالث: إخبار الأنبياء السابقين وبشاراتهم بالنسبة إلى نبيّنا الكريم ﷺ.

- أهمُّ معجزة لرسول اللّه ﷺ معجزة القرآن الكريم، حيث عجز الناس عن الإتيان ولو بسورة من مثله.



أسـئـلـة

١. كيف يصف أمير المؤمنين عليه السلام حال العالم قبل البعثة؟

٢. تحدّث حول سيرة النّبيّ ﷺ، والّتي تدّل على نبوّته.

٣. أذكر بعض بشارات الأنبياء عليهم السلام بالنّبيّ ﷺ.

٤. أذكر دليلاً على نبوّة نبيّ الإسلام ﷺ.



الدرس الثاني والعشرون

إعجاز القرآن الكريم



أهداف الدرس:

١. أن يعدِّد الطالب عناصر الإعجاز في القرآن الكريم.

٢. أن يتعرّف إلى معنى أميّة النبيّ في القرآن.



تمهيد:

لقد تقدّمت الإشـارة في الدرس السـابق إلـى أنّ القرآن الكريـم كلام إلهيّ معجـز، فهو يملك كلّ خصـائص المعجزة (من كونه خارقاً إلهيّـاً للعادة، وأنّه لا يقبـل التّقليـد والمعارضـة، وطرحه دليلاً على صـحة النّبـوّة). ومن هنا فهو أفضل دليل قاطع على صدق دعوى النّبيّ الأعظم ﷺ وعلى أنّ الدّين الإسلامي المقدّس على حقّ، وأنّ من أكبر النّعم الإلهيّة على الأمّة الإسلاميّة أن يكون هذا الكتاب الشّـريف قد نزل بصـورة يبقى معهـا - وإلى الأبد - معجـزة خالدة، وأن يملك في داخله الدّليل على صدقه وصحَّته واعتباره. هذا الدّليل الّذي يمكن لأيّ فرد فهمه واستيعابه وتقبّله دون احتياجه لتعلّم وتخصّص.

عناصر الإعجاز في القرآن الكريم

بعـد المعرفة الإجماليّـة بأنّ القـرآن الكريم كلام إلهيّ معجز، وصـل الدّور لتوضيح بعض عناصر الإعجاز القرآنيّة.

أ. فصاحة القرآن وبلاغته: إنّ أوّل عنصـر من عناصـر الإعجاز في القرآن الكريم هو فصـاحته وبلاغته، أي: أنّه تعالى اسـتخدم لعرض مقاصده وفي كلّ

موضـوع أعذب الألفاظ وأجملها، وأجود التّراكيب سـبكاً واعتدالاً وإتقاناً ووقعاً، ومن خلال ذلك يوصل المعاني المقصودة للمخاطبين بأفضل الأساليب وأقربها للفهـم، لا يتيسّـر اختيار أمثال هـذه الألفـاظ والتّراكيب المتناسـقة الملائمة للمعاني العالية والدّقيقة، إلّا لمن كانت له إحاطة تامّة بكلّ خصوصيّات الألفاظ ودقائق المعاني، والعلاقات المتبادلة فيما بينها، ليُمَكِنُه اختيار أفضـل الألفاظ والعبـارات، مع ملاحظـة كلّ أبعـاد المعاني المقصـودة وجوانبهـا، وملاحظة مقتضـى الحال والمقام. ومثل هذه الإحاطة العلميّة الشّاملة لا يمكن توفّرها في أيّ إنسان بدون الاستعانة بالوحي والإلهام الإلهيّ.

وأمّا التّعرف على أنّه معجزة في الفصـاحة والبلاغة، فلا يتيسّـر إلّا لأولئك الّذين يملكون الخبرة والتّخصّـص في فنون الكلام المختلفة، ومقارنة ما يتميّز بـه القرآن الكريم مع سـائر أنـواع الكلام الفصـيح والبليغ، واختبـار قدراتهم بالقياسـ إليه. ومثل هذه المهمّة لا يقوم بها إلّا الشّـعراء والبلغاء العرب، وذلك لأنّ أعظـم مـا كان يتميّز به العرب من فنّ في عصـر نزول القـرآن هو البلاغة والأدب، إذ بلغ ذروته آنذاك.

إقرار واعتراف

لقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشركين بإعجاز القرآن؛ فهذاالوليد بن المغيرة المخزوميّ يقول: «**والله لقد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ، وإنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يُعلى عليه**»[1] وعتبة بن ربيعة، والطّفيل بن عمرو. بأنّ القرآن بلغ الغاية في فصاحته وبلاغته وبتفوّقه على أرقى النّتاجات

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج ٩-١٠، ص ٣٨٧.

الأدبيّة والبلاغيّة البشريّة[1]، وبعد قرن من نزوله حاول بعض المنافقين والزنادقة – أمثال ابن أبي العوجاء وابن المُقَفَّع وأبي شاكر الدّيصاني وعبد الملك البصريّ – أن يجرّبوا حظّهم في معارضة القرآن ومجاراته، وقد بذلوا كلّ ما في وسعهم خلال عام واحد في هذا المجال، ولكنّهم أخيراً اعترفوا بعجزهم أمام القرآن الكريم، وحين اجتمعوا في المسجد الحرام ليتدارسوا أعمالهم وجهودهم خلال ذلك العام، مرّ عليهم الإمام الصّادق عليه السلام وتلا عليهم هذه الآية الشّريفة: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

ب. أميّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ القرآن الكريم - بالرّغم من صغر حجمه نسبيّاً - كتاب يشتمل على مختلف أنواع المعارف والعلوم والأحكام والتّشريعات الفرديّة والاجتماعية، ويحتاج البحث عن كلّ قِسم منها، ودراستها دراسة كاملة إلى جماعات متخصّصة تبذل كلّ جهودها العلميّة وخلال أعوام طويلة، ليكتشفوا - بالتدريج - بعض كنوزها وأسرارها المخبوءة، وليتوصّلوا - من خلال ذلك - إلى حقائق أكثر، وإن كان اكتشاف كلّ حقائقه وأسراره وكنوزه لا يتيسَّر إلّا لأولئك الّذين يمتلكون العلم والتأييد والمدد الإلهيّ. إنّ هذه المجالات المختلفة الّتي استعرضها القرآن الكريم تشتمل على أكثر المعارف دقّةً وسمُوّاً، وأرفع التّعاليم الأخلاقيّة وأكثرها قيمة، وأكمل القوانين الحقوقيّة والقانونيّة والجزائيّة عدالة وإحكاماً، وأثرى المناسك العباديّة والأحكام الفرديّة والاجتماعيّة حكمة، وأكثر المواعظ والنّصائح تأثيراً ونفعاً، وأفضل الحكايات التّاريخيّة عظة وتربية، وأنجع الأساليب التّربويّة والتّعليميّة.

وبإيجاز فإنّه يشتمل على كلّ الأصول والمبادئ الّتي يحتاجها البشر من أجل

(١) أعلام الورى، ص ٢٧ و ٢٨، وص ٤٩، وسيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٩٣ وص ٤١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨، وانظر تفسير (نور الثقلين) حول هذه الآية.

تحقيق سعادتهم الدّنيويّة والأخرويّة. ولقد امتزج كلّ ذلك بأسلوب رائع بديع لم يسبق له مثيل، بحيث يمكن لفئات المجتمع ـ جميعاً ـ الاستفادة والتّزوّد منها، كلٌّ بحسب استعداده وقابليّته.

بيت القصيد

إنّ جمع كلّ هذه المعارف والحقائق في مثل هذا الكتاب يفوق قدرة البشر العاديّين، ولكن ممّا يزيد الدّهشة والإعجاب أكثر، أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدّرس والتّعلّم خلال حياته أبداً، ولم يمسك ـ يوماً ـ بيده قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثّقافة. والأعجب من ذلك أنّه لم يسمع منه ـ خلال أربعين عاماً قبل بعثته ـ مثل هذا الكلام المعجز، وخلال أيّام رسالته وبعثته أيضاً كان ما يصدر منه من آيات قرآنيّة ووحي إلهي يتميّز بسبكه وأسلوبه الخاصّ، وهو يختلف ـ تماماً ـ عن سائر كلامه وأحاديثه، وهذا الفرق الواضح بين هذا الكتاب وسائر أحاديثه مشهود وملموس للجميع.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الأمور فيقول: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

وفي آية أخرى يقول: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2].

وثمّة احتمال كبير في أن تكون الآية (٢٣) من سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مشيرة لهذا العنصر الإعجازي، أي: أنّ هناك احتمالاً كبيراً في رجوع ضمير (مثله) إلى (عبدنا). والحاصل: إذا افترضنا ـ محالاً ـ قدرة المئات من الجماعات المتخصّصة والمثقّفة ـ وبالتعاون

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٦.

والاشتراك فيما بينها - على الإتيان بمثل هذا الكتاب، ولكن لا يمكن لفرد أميّ واحد القيام بذلك، إلّا إذا كان مؤيّداً بالوحي كما هو الحال مع النبيّ محمّد ﷺ.

ج. التناسق وعدم الاختلاف: إنّ القرآن الكريم كتاب نزل خلال ثلاثة وعشرين عاماً من حياة النبيّ ﷺ وهي فترة شهدت مرحلة مضطربة مليئة بالحوادث الملتهبة، وزخرت بالكثير من التّحدّيات والمحن والحوادث المرّة والسّعيدة، ولكن كلّ هذه المتغيّرات والمؤثّرات لم يكن لها أيّ تأثير في تناسق محتويات القرآن وأسلوبه المعجز. ويشكّل هذا التّناسق وعدم الاختلاف في شكله ومضمونه جهة أخرى من جهات إعجازه. وقد أشير إليها كما أشير للعلامتين السّابقتين في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

وتوضيحه: إنّ كلّ إنسان يواجه - على الأقلّ - نوعين من المتغيّرات.

١- إنّ معلوماته وخبراته تأخذ بالتّزايد والنّمُوّ، وهذا النّمُوّ والزّيادة في ثقافته ومعلوماته وخبراته وقدراته تنعكس وتؤثر في أحاديثه وكلامه، وبطبيعة الحال، سوف يبرز الاختلاف الواضح بين أحاديثه خلال عشرين عاماً.

٢- إنّ حوادث الحياة المختلفة تؤدّي إلى ظهور حالات نفسيّة ومشاعر وأحاسيس مختلفة، أمثال: اليأس والأمل، والفرح والحزن، والقلق والهدوء، ولمثل هذا الاختلاف في الحالات تأثير كبير في تفكير المرء وفي أقواله وأفعاله، وبطبيعة الحال، مع اشتداد هذه التغيّرات واتساعها فإنّ أحاديثه سوف يطرأ عليها اختلاف كبير. وفي الواقع إنّ تغيّرات الكلام خاضعة لتغيّرات الحالات النفسيّة، وهي بدورها خاضعة لتغيّر الظّروف الطّبيعيّة والاجتماعية. فإذا افترضنا أنّ القرآن الكريم من اختراع النّبيّ ﷺ نفسه

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

كإنسان خاضع لكلّ المتغيّرات المذكورة، فمع ملاحظة الظّروف المتغيّرة الحادّة الّتي شهدتها حياته، فلا بدَّ أن تظهر في كلامه اختلافات كبيرة في شكله ومحتواه، مع أنّه لم يشاهد أيّ أثر لمثل هذه الاختلافات.

إذاً، فهذا الانسجام وعدم الاختلاف في مضامين القرآن، وفي مستوى بلاغته المعجز، يعدّ علامة أخرى على صدور هذا الكتاب الشّريف من مصدر العلم الثّابت واللّامتناهي للّه تعالى، الحاكم على الطّبيعة وغير المحكوم لكلّ الظّواهر مهما اختلفت وتغيّرت.

ملاحظة:

لقد اقتضت الحكمة والعناية الإلهيّة أن تكون معجزة كلّ نبيّ متلائمة مع العلم والفن الشائع في ذلك الزمان، حتّى يدرك جيّداً امتيازها وتفوّقها المعجز على كلّ المحاولات والمنجزات البشريّة؛ لأنّ إقرار أصحاب العلم وأرباب الفنّ بعجزهم عن مجاراة المعجزة، كافٍ في إثبات إعجازها بالنّسبة لعامّة النّاس.

الإمام الهادي عليه السلام وابن السكّيت

لقد أجاب الإمام الهادي عليه السلام ابن السكّيت عندما سأله:

لماذا بعث اللّه موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السّحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام بالكلام والخطب؟.

فقال الإمام عليه السلام:

«إنّ اللّه لمّا بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السّحر، فأتاهم من عند اللّه بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإنّ اللّه بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزّمانات، واحتاج النّاس إلى الطبّ، فأتاهم من عند اللّه بما لم يكن عندهم مثله، وبما

أحيـى لهم الموتـى، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وأن الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجّة عليهم»[1].

خلاصة الدرس

هناك عناصر عدّة لإعجاز القرآن الكريم، منها:

أ. فصاحـة القـرآن وبلاغتـه: من حيث ألفاظه وتراكيبه وأسـلوبه وملاحظة مقتضى الحال.

وقد أقرّ بلغاء العرب حتّى المشــركين منهم بإعجاز القرآن المجيد، كالوليد بن المغيرة المخزومي وعتبة بن ربيعة، والطفيل بن عمرو وغيرهم.

ب. أمّيّـة النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ مـا يؤكّـد إعجـاز القـرآن البلاغـي والفصـاحي والمضموني؛ أنّ هذا الكتاب العظيم ظهر على يد إنسان لم يعرف الدرس والتعلّم خلال حياته أبداً، ولم يمســك قلماً وقرطاساً، وقد نشأ في محيط بعيد عن الحضارة والثقافة.

ج. التناسـق وعـدم الاختـلاف: حيـث إنّ القـرآن الكريـم وعلـى مدى ثلاثة وعشرين عاماً - مدّة نزوله - لم يطرأ على تناسقه وروحه أيّ اختلاف رغم الظروف المتباينة والحالات النفسيّة والمشاعر والأحاسيس المختلفة.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٤.



أسئلة

١. تحدّث حول إعجاز القرآن الكريم من جهة الفصاحة والبلاغة (باختصار).

٢. كيف نستفيد من أميّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إعجازَ القرآن الكريم؟

٣. تحدّث حول التناسق وعدم الاختلاف، وكيفيّة دلالته على الإعجاز القرآني.



الدرس الثالث والعشرون

ختم النّبوّة



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على ختم النبوّة بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. أن يستذكر السرّ في ختم النبوّة.





تمهيد:

من الواضح عند المسلمين قاطبة أنّ الدّين الإسلامي غير مختصّ بمنطقة دون أخرى ولا بجماعة وقوم دون غيرهم، وهو دين باقٍ إلى قيام السّاعة، وهذا ما يستفاد من الخطاب القرآني الموجّه لجميع النّاس من خلال آيات كثيرة مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] و﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، فهو خطاب موجّه لكلّ النّاس وفي كلّ زمان ومكان.

وكذلك الرّوايات كما في قول النّبيّ ﷺ: **«حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»**[3].

فالإسلام دين عالميّ وخالد، وهذان الأمران يعدّان من ضروريّات الدّين الإسلاميّ ومن المعلوم أنّ الضّروريّات الدّينية لا تحتاج إلى دليل، وبملاحظة خلود الدين الإسلامي لا يبقى أيّ احتمال لبعثة نبيّ آخر ينسخ الشريعة الإسلاميّة، ولكن يبقى احتمال بعثة نبيّ آخر يقوم بمهمّة تبليغ الإسلام ونشره...

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٦-٢٧-٢٨-٣١-٣٥، سورة يس، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠، سورة يوسف، الآية: ١٠٤، سورة ص، الآية: ٨٧، سورة التكوير، الآية: ٢٧، سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني،ج١، ص٥٨- ج٢، ص١٧.

ومـن هنـا يلزم علينـا البحث عن ختم النبـوّة بنبيّ الإسـلام ﷺ، حتّى لا يبقى مجـال لمثل هذا الاحتمـال. وهذه المسـألة وإن كانت من الضـروريات الدينية أيضـاً الّتـي لا تحتاج إلى اسـتدلال، ولكن مع ذلك يمكن اسـتفادتها من القرآن الكريم والروايات الشريفة.

الدّليل القرآنيّ

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1].

فإن قيل: إنّ الآية دلّت على ختم النّبوّة بالنّبيّ محمّد ﷺ ولم تدّل على ختم (الرّسل) والجواب واضح بعد التّأمل في معنى النّبيّ ومعنى الرّسول؛ فإنّ النّبيّ أعمّ من الرّسـول، فكلّ رسـول نبيّ وليس كلّ نبيّ رسـولاً، فلا وجود لرسول ليس نبيّاً، وعليه فنفي النّبوّة نفي للرّسالة بطريق أولى، إذ إنّ نفي الأعمّ نفي للأخصّ دون العكس. فعندما تقول مثلاً: لا إنسان (الأعمّ) موجود في البيت، فهذا يعني لا وجـود لا لرجل (أخصّ) ولا لامرأة (أخصّ)، وإن قلت: لا امرأة موجودة في البيـت؛ فـإنّ هذا لا يعني نفي وجود إنسـان، إذ قد يوجد في الـدّار رجل. وعليه فنفي النبيّ من بعده ﷺ نفي للرسول أيضاً فلا نبيّ من بعده ولا رسول.

الأدلّة الرّوائيّة على ختم النّبوّة

ورد التّصريح والتّأكيد على ختم النّبوّة بنبيّ الإسلام في المئات من الرّوايات، منهـا حديث المنزلة[2] الّذي نقله الشّـيعة وأهل السّـنة متواتراً عن النّبيّ ﷺ، بحيث لا يبقى معه أيّ شـكّ في صـدور مضـمونه، وذلك حين خـرج النّبيّ ﷺ فـي غزوة تبوك وخلف عليّاً عليه السلام مكانه في المدينة، فبكى عليّ عليه السلام، فقال له

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣، ص ٥٨.

رسـول اللّه ﷺ: «**أمـا ترضـى أن تكون منـي بمنزلة هارون من موسـى، إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ**»[1].

وفي رواية أخرى عن النبيّ ﷺ: «**أيّها النّاس، لا نبيّ بعدي ولا أمّة بعدكم**»[2].

وفـي حديث آخـر عنه ﷺ أنّه قال: «**أيّهـا النّاس إنّه لا نبيّ بعـدي، ولا سنّة بعد سنّتي**»[3].

ونقـل هذا المعنـى في أكثر مـن خطبة من نهـج البلاغة[4]، وفـي الرّوايات والأدعية والزّيارات المأثورة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

السّر في ختم النّبوّة

إنّ الحكمة في تعدّد الأنبياء عليهم السلام وبعثتهم المتدرّجة ـ كما ذكر سابقاً ـ هي: أنّه لا يمكن لفرد واحد تبليغ الرّسالة الإلهيّة ونشرها ـ في الأزمنة السّابقة ـ في أقطار العالم كافّة، وفي كلّ الأمم والشّـعوب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ اتساع العلاقات وتعقيدها، وحدوث الظّواهر الاجتماعيّة الجديدة، يفرض وضـع قوانين جديدة أو تغيير القوانين السّابقة. وكذلك فإنّ وقوع التحريف من قبل المغرضين أو الجاهلين يستدعي كلّ ذلك تصحيحاً وتعديلاً للتّعاليم الإلهيّة من قبل نبيّ آخر.

ولكن لو توفّرت الظروف والشـروط لبقائها واسـتمرارها فلا ملزم لبعث نبيّ آخر، والشروط هي:

١ ـ أن يتمكن النبيّ من تبليغ رسالته الإلهيّة للعالم كلّه ولو بالاستعانة بأنصاره وخلفائه.

(١) صحيح البخاري، ج٤، ص٢٠٩ – ج٥، ص١٢٩.
(٢) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١، ص ١٥.
(٣) م.ن، ج ١٨، ص ٥٥٥.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة الأولى والخطبة ٦٩، و٨٣، و٨٧، و١٢٩، و١٦٨، و١٩٣، و٢٣٠.

٢- أن تلبيّ أحكام شريعته وتعاليمها وتشريعاتها كلّ احتياجات المجتمعات الرّاهنة والمستقبليّة، ومتضمّنة لجميع الاحتياطات الضروريّة للمسائل المستجدّة والمستحدثة.

٣- أن يوجد الضّامن الّذي يكفل بقاءها وصيانة كتابها من التحريف.

فمع توفّر كلّ هذه الظّروف والعوامل فلا ملزم حينئذ لبعثة نبيّ آخر، ولكنّ معارف البشر العاديّة وعلومهم لا يمكنها تحديد مثل هذه الظّروف والعوامل، الّتي تفرض إرسال نبيّ جديد برسالة مختلفة. ومعرفةُ الظّرف والوقت المناسب منحصر بالله تعالى، فإنّه ومن خلال علمه اللّامتناهي المحيط بكلّ شيء يمكنه تحديد الزّمان الّذي تتحقّق فيه هذه الظّروف، وهو الّذي يمكنه الإعلام عن ختم النّبوّة، كما فعل ذلك في آخر كتبه السّماويّة. مع خاتم النّبيّين ﷺ.

تنبيه حول الهداية

إنّ ختم النّبوّة لا يعني قطع علاقة الهداية - تماماً - بين الله والعباد، فإنّ الله تعالى يفيض من العلوم الغيبيّة على بعض عباده الصالحين متى ما رأى المصلحة تقتضي ذلك، وإن لم يكن ذلك عن طريق وحي النّبوّة، ويعتقد الشّيعة بأنّ أمثال هذه العلوم قد أفاضها الله على الأئمّة المعصومين عليهم السلام، الّذين خلفوا النبيّ ﷺ واحداً تلو الآخر.

الجواب عن شبهة

توصّلنا - ممّا سبق - إلى أنّ السّر في ختم النّبوّة:

١- إنّ نبيّ الإسلام - بمعونة أنصاره وخلفائه - يمكنه إيصال رسالته إلى أسماع جميع البشر في العالم.

٢- التكفّل بصيانة الكتاب السّماوي عن أيّ تحريف. وقد قام الدّليل على صيانة القرآن من التّحريف، وذلك؛ لاستحالة الزّيادة في القرآن؛ لأنّ

الزيادة معناها إمكان الاتيان بمثله، وهو باطل بسبب إعجاز القرآن الكريم، وأيضاً قد تعهّد تعالى بحفظ القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، وبعد ثبوت عدم إمكان الزيادة في القرآن الكريم وكون هذه الآية من كلامه تعالى، يثبت بهذه الآية صيانة القرآن الكريم عن أيّ تلاعب أو تغيير أو حذف لأنّه ينافي حفظه تعالى له.

٣- إنّ الشّريعة الإسلاميّة يمكنها الاستجابة لاحتياجات البشر كلّها حتّى نهاية العالم.

شبهة حول خلود الإسلام: كما أنّ تعقيد العلاقات والظواهر الاجتماعية في الأزمنة السّابقة اقتضى وضع أحكام جديدة، أو تغيير الأحكام السّابقة عليها؛ لذلك كان سبباً في بعث نبيّ آخر، والأمر ظلّ كذلك حتّى بعد نبيّ الإسلام، حيث حدثت متغيّرات بارزة أضحت معها العلاقات والظواهر الاجتماعيّة أكثر تعقيداً، **فكيف لا تقتضي هذه المتغيّرات شريعة جديدة؟**

والجواب هو: إنّه - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - ليس في مقدور الإنسان العادي تحديد المتغيّرات والتحوّلات الّتي تقتضي تغيّر التّشريعات الأساس، وذلك لأنّنا لا نحيط بعلل الأحكام والتّشريعات وحِكمِها، بل إنّنا - ومن خلال الأدلّة المبرهنة على خلود الإسلام، وختم النّبوّة بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم - نكتشف عدم الاحتياج لتغيير الأحكام والتّشريعات الإسلاميّة الأساس.

أجل، نحن لا ننكر ظهور بعض التغييرات الاجتماعية، الّتي تقتضي وضع أحكام جديدة، ولكن قد جعلت في الشّريعة الإسلاميّة أصول وقواعد عامّة توضع

(١) سورة الحجر، الآية: ٩. تفصيل الكلام حول صيانة القرآن من التحريف موكول إلى مباحث علوم القرآن.

على أساسـها أمثال هذه الأحكام والتّشريعات الجزئيّة، حيث يمكن لذوي الخبرة والمعرفة الدقيقة بأحكام الشـريعة وضـع الأحكام اللازمة لمعالجتها وتطبيقها على أساسها.

خلاصة الدرس

- إنّ الدِّين الإسـلامي شـامل عامّ خالد، فهو لكلِّ البشـر ولـكلِّ زمان ومكان، فالقرآن لطالما خاطب جميع الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، والرسول ﷺ يقول: «**حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة**».

- من الأدلّة على ختم النبوّة بالنبيّ ﷺ:

قرآنيـاً: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيـمًا ﴾.

روائيّاً: قول رسـول اللّه ﷺ للإمـام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أما ترضـى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه ليس بعدي نبيّ**».

- إنّ السـرّ في ختم النبوّة بالنبيّ محمّد ﷺ هو تحقُّق شـروط وظروف بقاء واستمرار رسالته وهي:

١- تمكُّن النبيّ محمّد ﷺ من تبليغ رسالته للعالم كلّه ولو بالاستعانة بأنصاره وخلفائه.

٢- شريعة النبيّ ﷺ تستجيب لتطوّر الزمن.

٣- صيانة القرآن الكريم - الكتاب المنزل على رسول اللّه ﷺ - من التحريف.

- ختم النبوّة لا تعني قطع علاقة هداية اللّه تعالى لبعض عباده، وإن لم يكن ذلك عن طريق وحي النبوّة، كما يعتقد الشيعة بالأئمّة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أسـئـلـة

١. أذكر بعض الآيات والرّوايات الّتي تدلّ على شموليّة ودوام الدّين الإسلاميّ.

٢. أذكر آية ورواية تدلّان على ختم النّبوّة.

٣. تحدّث (باختصار) عن السرّ في ختم النّبوّة.





الدرس الرابع والعشرون

الإمامة



أهداف الدرس:

١. أن يحدّد الطالب موضع الخلاف الرئيس بين السنّة والشيعة في مسألة الخلافة.
٢. أن يعدِّد النتائج المترتبة على رأي السنّة في مسألة الخلافة.
٣. أن يتعرّف إلى معنى الإمامة.







تمهيد:

إنّ النّبيّ ﷺ بعد هجرته من مكّة إلى المدينة، ودفاع أهل المدينة المستميت عنه، وعن المسلمين الّذين هاجروا من مكّة - والّذين سُمُّوا بـ (**المهاجرين**)، بينما سُمّي أهل المدينة بـ (**الأنصار**) - وضع دعائم وأسس المجتمع الإسلامي وقام بإدارته. وكان مسجد النبيّ ﷺ ملجأ للمهاجرين والمحرومين، ولمعالجة قضاياهم ومشاكلهم الاقتصادية والمعيشيّة، إضافة إلى كونه موضعاً للعبادة، ومنطلقاً لنشر الرّسالة الإلهيّة وتعليم النّاس وتربيتهم، ومعالجة الخصومات والمسائل القضائيّة، ومركزاً لإصدار القرارات العسكريّة، وتزويد جبهات الحرب بالعدّة والعدد، وإسناد الجبهات، ومعالجة سائر القضايا الحكوميّة.

وبإيجاز كانت إدارة شؤون النّاس وقضاياهم الدّينيّة والدّنيويّة تتمّ على يد النّبيّ ﷺ. وكان المسلمون يرون أنفسهم مكلّفين بإطاعة تعاليم النّبيّ ﷺ وأوامره؛ لأنّ الله تعالى - إضافة لفرضه إطاعة الرّسول المطلقة عليهم[1] - كان

---

(١) ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ سورة آل عمران: الآية ٣٢، وانظر أيضاً السور التالية: النساء: ١٢، و١٤، و٦٩ و٨٠، والمائدة: ٩٢، والأنفال: ١، و٢٠ و٤٦، والتوبة: ٧١، والنور: ٥١، ٥٤، و٥٦، والأحزاب: ٦٦، و٧١، والحجرات: ١٤، والفتح: ١٦، و١٧، ومحمّد: ٣٢، والمجادلة: ١٢، والممتحنة: ١٢، والتغابن: ١٢، والجنّ: ٢٣.

قد أصدر أوامر مؤكّدة على وِلاية الرسول ﷺ وقيادته للأمّة[1] في خصوص المسائل والمجالات السّياسيّة والقضائيّة والعسكريّة.

وبعبارة أخرى: إنّ النّبيّ ﷺ إضافة لمنصب النّبوّة والرّسالة، ومنصب تعليم الأحكام وتبيينها، كان يملك منصباً إلهيّاً آخر، هو قيادة الأمّة الإسلاميّة والوِلاية عليها، وتتفرّع منها مناصب أخرى، كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما. وكما أنّ الدّين الإسلاميّ اشتمل على الوظائف والتّعاليم العباديّة والأخلاقيّة، فهو كذلك اشتمل على الأحكام السّياسيّة والاقتصاديّة والحقوقيّة وغيرها. كما كان نبيّ الإسلام مكلّفاً بوظائف التّبليغ ومهامّ التّعليم والتّربية، وكذلك كان مكلّفاً - من قبل الله - بمهمّة تنفيذ الأحكام والتّشريعات الإلهيّة وتطبيقها وكان بيده زمام كلّ المهامّ والمناصب الحكوميّة.

ومن البديهيّ أنّ الدّين الّذي يدّعي قيادة البشريّة كلّها حتّى نهاية العالم، لا يمكنه عدم الاهتمام بهذه المسائل والقضايا، ولا يمكن للمجتمع القائم على أساس هذا الدّين أن يفتقد مثل هذه المهامّ والمناصب السّياسيّة والحكوميّة، هذه المناصب والمسؤوليّات الّتي يشملها جميعاً عنوان (الإمامة). ولكن الحديث هو عمّن يقوم بهذه المهمّة بعد وفاة الرسول؟ ومن الّذي يعيّن مثل هذا الشّخص في هذا المنصب؟

فهل الله تعالى هو الّذي ينصّب الإمام كما ينصّب النّبيّ، أم أنّ النّاس هم الّذين ينتخبون الإمام؟ يعني هل مشروعيّة الإمام في منصبه مستمدّة من الله بالتّعيين أو من النّاس بالانتخاب؟

(١) ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ..﴾ سورة المائدة: ٤٨، وانظر أيضاً السور التالية: آل عمران: ١٥٢، والنساء: ٤٢، و٥٩، و٦٥، و١٠٥، والحج: ٦٧، والأحزاب: ٦، ٣٦، والمجادلة: ٨٩، والحشر: ٧.

الإمامة بين السنّة والشيعة

وهذه هي النّقطة الرّئيسة في الخلاف بين الشّيعة وأهل السّنّة. فالشّيعة تعتقد بأنّ الإمامة منصب إلهيّ، لا بدَّ وأن ينصّب فيه الأفراد الصالحون لذلك من قبل اللّه تعالى، وقد قام اللّه تعالى بهذا التّعيين بواسطة نبيّه ﷺ، حيث عيّن أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خليفة له من بعده مباشرة، وعيّن من بعده أحدَ عشر إماماً من أولاده خلفاء من بعده.

ولكن أهل السّنّة يعتقدون بأنّ الإمامة الإلهيّة ـ كالنّبوّة والرّسالة ـ قد انتهت بوفاة النّبيّ ﷺ وقد أوكل للنّاس مهمّة تعيين الإمام من بعده، بل صرّح بعض كبار علماء أهل السّنّة، أنّه لو سيطر أحد بقوّة السلاح على النّاس وأمسك بزمام أمورهم، فتجب على الآخرين إطاعته[1].

نتائج رأي السنّة

ومن الواضح أنّ مثل هذه الآراء تفتح الأبواب أمام الجبابرة والطّواغيت والمحتالين للتّوصّل إلى مطامعهم ومآربهم، وتوفّر عوامل التّمزّق والانحطاط والتّخلّف بين المسلمين. وفي الواقع إنّ أهل السّنّة باعتقادهم شرعيّة الإمامة بدون التعيين الإلهيّ قد وضعوا الحجر الأساس لفكرة عزل الدّين عن السّياسة. وباعتقاد الشّيعة أنّ هذا الأمر هو المنعطف الخطير للانحراف عن المسير الإسلاميّ الأصيل والصّحيح، وعن عبادة اللّه في جميع الجوانب والأبعاد الحياتيّة، وكذلك كان منطلقاً للكثير من الانحرافات الأخرى الّتي ظهرت بين المسلمين من حين وفاة الرسول ﷺ.

(١) الأحكام السلطانيّة، أبو يعلى، وترجمة (السواد الأعظم) لأبي القاسم السمرقندي، ص ٤٠-٤٢.

وجوب البحث

من هنا، كان من الواجب على كلّ مسلم البحث في هذا الموضوع بكلّ اهتمام، وبعيداً عن كلّ تقليد وعصبيّة[1] وأن يحاول جهده في اكتشاف المذهب الحقّ والدّفاع عنه، وأن يتجنّب أتبَاعُ المذاهب المختلفة التفرقةَ والصّراعَ والتّناحرَ، ممّا يُمهّد الطّريق ويُوفّر الظّروف الملائمة لأعداء الإسلام لتحقيق أطماعهم والوصول لمآربهم.

ويلزم عدم ممارسة الأعمال الّتي توسّع من شقّة الخلاف بين صفوف المسلمين، فيتزعزع بها تلاحمهم وقوّتهم تجاه الكفّار، بحيث لا تعود مفاسده وأضراره الخطيرة إلّا على جميع المسلمين، ولا تؤدّي إلّا إلى ضعف الأمّة الإسلاميّة، ولكن الحفاظ على الوحدة والتّلاحم بين المسلمين ينبغي أن لا يكون عائقاً ومانعاً من البحث الموضوعيّ وبذل الجهود المخلصة، في سبيل التّعرف على المذهب الحقّ، وتوفير الظّروف الملائمة والأجواء الصّالحة لدراسة مسائل الإمامة ومعالجتها دون إثارة العصبيّات، هذه المسائل الّتي يكون لمعالجتها الصّحيحة دورها الفاعل في مصير المسلمين وسعادتهم في الدّنيا والآخرة.

مفهوم الإمامة

الإمامة في اللّغة: هي الرِّئاسة وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يُسمّى (الإمام)، سواء كان في طريق الحقّ أم الباطل، وقد أطلق مصطلح (أئمّة الكفر)[2] في القرآن الكريم على رؤساء الكفّار، وأطلق على من يقتدي به المصلّون (إمام الجماعة).

(١) ومن الجدير بالذكر أن العلماء الكبار كتبوا في هذا المجال الكثير من الكتب والدراسات وبمختلف اللغات، وبأساليب عديدة، ومهدوا طريق الحقّ للباحثين عن الحقيقة، نذكر نماذج منها أمثال: كتاب عبقات الأنوار، والغدير، ودلائل الصدق، وغاية المرام وإثبات الهداة، ونحث من لم تسمح له الظروف بالتحقيق والتوسع على مطالعة كتاب (المراجعات)، وهو مجموعة من الرسائل بين عالمين من علماء الشيعة وأهل السنّة، وكتاب (أصل الشيعة وأصولها).

(٢) ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ سورة التوبة: الآية ١٢.

والإمامة في مصطلح علم الكلام عبارة عن: الرّئاسة العامّة الشّاملة على الأمّة الإسلاميّة وقيادتها في جميع الأبعاد والمجالات الدّينيّة والدّنيويّة.

وإنّما ورد ذكر كلمة (الدّنيويّة) لأجل التّأكيد على سعة ميدان الإمامة ومجالها، وإلّا فإنّ تدبير القضايا الدّنيويّة للأمّة الإسلاميّة وإدارتها يعدُّ جزءً من الدّين الإسلاميّ. وهذه الرّئاسة والقيادة ـ في رأي الشّيعة ـ إنّما تكون شرعيّة فيما لو كانت من قبل الله تعالى، ولا يكتسب أيّ شخص مثل هذا المقام أصالة (لا نيابة) إلّا إذا كان معصوماً عن الخطأ في بيان الأحكام والمعارف الإسلاميّة، ومنزّهاً من الذّنوب والمعاصي. وفي الواقع إنّ الإمام المعصوم يمتلك كلّ مناصب ووظائف النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سوى النّبوّة والرّسالة، وكما أنّ أحاديث النّبيّ حجّة في بيان الحقائق والتّشريعات والأحكام والمعارف الإسلاميّة، وتجب إطاعة أوامره وأحكامه في مختلف القضايا الحكوميّة، كذلك الأمر في الإمام المعصوم عليه السلام.

ومن هنا يتبيّن أنّ اختلاف الشّيعة عن أهل السّنّة في موضوع الإمامة في ثلاث مسائل:

١- إنّه لا بُدّ من نصب الإمام وتعيينه من قبل الله تعالى.

٢- إنّه لا بُدّ وأن يملك الإمام العلم الموهوب له من الله، وأن يكون مصاناً عن الخطأ.

٣- إنّه لا بُدّ وأن يكون معصوماً من المعصية.

رواية عبد العزيز بن مسلم عن الإمام الرّضا عليه السلام[1]

«يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله تبارك وتعالى لم

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢١٦.

يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام.

وجميع ما يحتاج إليه كمّلًا فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2].

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض ﷺ حتّى بيّن لأمّته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد الحقّ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله عزَّ وجلَّ».

خلاصة الدرس

- إنّ النبيّ ﷺ وبالإضافة إلى منصب النبوّة والرسالة وتعليم الأحكام وتبليغها، كان يملك منصباً تنفيذيّاً وهو الإمامة والقيادة للأمّة الإسلاميّة والّتي يتفرّع منها مناصب أخرى كالقضاء والقيادة العسكريّة وغيرهما.
- نقطة الخلاف الرئيسة بين السنّة والشيعة، أنّ منصب الإمامة - عند الشيعة هو منصب إلهيّ موقوف على التعيين الإلهيّ بواسطة نبيّه ﷺ وقد عيّن ﷺ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام خليفة له ثمّ، أبناءه من بعده أحد عشر إماماً. أمّا أهل السنّة فيعتقدون أنّ الإمامة الإلهيّة قد انتهت بوفاة النبيّ ﷺ وقد أوكل للناس مهمّة تعيين الإمام من بعده.

.**الإمامة لغةً:** الرئاسة، وكلّ من يتصدّى لرئاسة جماعة يُسمّى إماماً، سواء كان في طريق الحقّ أم الباطل.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٦٧.

وفي اصطلاح علم الكلام: الرئاسة العامّة الشاملة على الأمّة الإسلامية وقيادتها في جميع الأبعاد الدينيّة والدنيويّة.

والاختلاف بين الشيعة والسنّة في موضوع الإمامة في ثلاث مسائل:

١ـ لا بدّ من تعيين الإمام من اللّه تعالى بواسطة النبيّ.

٢ـ لا بّد أن يملك الإمام العلم الموهوب من اللّه سبحانه، وأن يكون مصاناً عن الخطأ.

٣ـ لا بدّ أنّ يكون معصوماً عن المعصية.



أسئلة

١. تحدّث حول المنصب الّذي كان يتولّاه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إضافةً إلى النّبوّة والرّسالة.

٢. استعرض ـ باختصار ـ مفهوم الإمامة لغةً واصطلاحاً.

٣. ما هي نقطة الخلاف الرئيسة بين الشيعة والسّنّة حول الإمامة؟



الدرس الخامس والعشرون

الحاجة لوجود الإمام



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب ضرورة وجود الإمام.

٢. أن يتبيّن خصائص الإمام.







تمهيد:

بنـاء على ما تقـدّم في الدرس السـابق، لا يبقى مجال لمـا توهمّه بعضٌ من أنّ أسـاس الخلاف بين الشيعة وأهل السـنّة يدور حول إمامة عليّ عليه السلام أو أبي بكر؟

أو أنّ الخلاف ينحصر في كيفيّة تولّي منصب الإمامة والخلافة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل أنّ شرعيّة تولّي هذا المنصب تتمّ بواسطة التعيين، أو باختيار الناس، أو من خلال الشورى مثلاً؟

وذلـك لأنّ المشـكلة والخـلاف الأسـاس، لا يكمن فيما ذكر وإن حصـل فيه اختلاف بل الاختلاف في أساسه يدور حول حقيقة الإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهل أنّ الإمامة منصـبٌ إلهيٌ كمنصـب النبوّة - خلا الوحي - فتكون الإمامة استمراراً لخطّ النبوّة في كلّ مجالاتها، فيكون دور الإمام ووظيفته عين دور النبيّ ووظيفته - كما يقول الشـيعة -؟ أو أنّ الإمامة هي مجرّد منصـب دنيوي ينحصـر دوره في إدارة شؤون الناس الحياتيّة، وسياستهم الدنيويّة - كما يقول السنّة؟

ويتفرّع على هذا الاختلاف، اختلافات أخرى:

منها: ما هي الشـرائط، والمواصفات الّتي يجب أن يتحلّى بها من يتولّى هذا المنصب؟ وهل يشترط فيه أن يحمل علماً خاصّاً أم لا؟

وهل يشترط أن يكون معصوماً عن المعصية والخطأ أم لا؟

وهل أنّ معرفة الشـخص المؤهلّ لهذا المنصـب ممكنة لعامّـة الناس؟ أو أنّ معرفته منحصرة بالله تعالى، وبالتالي يحتاج إلى بيان وتنصيب من الله تعالى؟

إذاً فالخلاف ليس حول الشخص بقدر ما هو خلاف حول المفاهيم والمبادئ والشروط المتعلّقة بالإمامة والإمام.

وبالإجابة هذه التساؤلات يتّضـح لماذا طُرحت الإمامة عند الشـيعة كأصل عقائدي، ولم تُطرح عندهم كفرع فقهي، كما هو الحال عند السنّة.

والإجابة على هذه التساؤلات تتضح بملاحظة ما يأتي من عناوين...

ضرورة وجود الإمام

الكلام في ضرورة وجود الإمام يتحقّق ببيان أمرين:

١- ذكرنـا فيمـا سـبق أنّ تحقيق الهدف من خلق الإنسـان مرتبـط بهدايته بواسـطة الوحي، وقد اقتضـت الحكمة الإلهيّة بعثـة أنبياء عليهم السلام يعلّمون البشـر طريـق السّـعادة في الدّنيـا والآخـرة وهدايتهم للطّريـق القويم، وصـراط الحقّ المستقيم، وكذلك تربية الأشـخاص المؤهّلين وإيصالهم لآخر مرحلة كماليّة يمكنهم الوصـول إليها، وكذلك القيام بتنفيذ الأحكام والتّشـريعات الاجتماعيّـة الدّينيّـة فيما لـو توفّرت الظّـروف الاجتماعية المناسبة لذلك.

٢- تقـدّم أنّ الدّيـن الإسـلامي ديـن عالمـيّ وخالـد، لا يُنسـخ ولا يأتي بعد نبـيّ الإسـلام صلى الله عليه وآله وسلم نبيّ آخـر، ولا يتوافق ختم النّبوّة مـع الحكمة من بعثة الأنبياء عليهم السلام، إلّا إذا كانت الشّـريعة السماويّة الأخيرة مستجيبة لجميع

الاحتياجات البشـريّة، إضـافة إلى ضـمان بقائها حتّى نهاية العالم. وقد توفّر القرآن الكريم على هذا التّكفّل والضّمان، فقد تعهّد الله تعالى بحفظ هذا الكتاب العزيز من كلّ تغيير وتحريف، إلّا أنّه لا يتأتّى اسـتفادة جميع الأحكام والتّعاليم الإسلاميّة من ظواهر الآيات الكريمة.

مثلاً، لا يمكن التّعرُّف من القرآن الكريم على عدد ركعات الصـلاة، وطريقة أدائهـا، والكثير من الأحكام وتفصـيلاتها المرتبطة بهـا. وليس القرآن الكريم في مقام بيان تفاصـيل الأحكام والتّشـريعات، بل وضـع مهمّة بيانها على عاتق النّبـيّ ﷺ[1]، من خـلال العلم الّذي وهبه الله تعالى لـه (غير الوحي القرآني) ومن هنا تثبت حجيّة سـنّة النّبيّ ﷺ واعتبارها كمصـدر من المصادر الأصيلة لمعرفة الإسلام.

إلّا أنّ الظّروف الصّـعبة الّتي عاشـها النّبيّ ﷺ في بداية الدعوة، وسـنوات الحصـار في شـعب أبي طالب، ثمّ عشـرة أعوام من القتال مع أعداء الإسلام، لم تسـمح له ببيان جميع الأحكام والتّشـريعات الإسـلاميّة للنّاس كافّة. وحتّى ما تعلّمه الأصـحاب، لا يوجد ما يضـمن الحفاظ عليه، فقـد اختلف في طريقة وضـوئه ﷺ، بالرّغم من أنّها كانت بمرأى من المسـلمين لسنوات طويلة. فإذا كانت أحكام هذا العمل معرّضـة للاختلاف - وهو عمل يحتاجه جميع المسلمين ويمارسونه يوميّاً، مع عدم وجود دوافع للتّحريف والتّغيير العمدي فيه - فإنّ خطر الخطأ والاشـتباه في النّقل، والتّحريفات المتعمّدة أشدّ وأكثر في مجال الأحكام الدقيقة، وخاصّة تلك الأحكام والتّشريعات الّتي تصطدم مع أهواء بعض الأفراد، وأطماع بعض الجماعات ومصالحهم[2].

---

(١) ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ سورة البقرة: الآية ١٥١، وانظر أيضاً السور التالية: آل عمران: ٤٦١، والجمعة: ٢، والنحل: ٤٤، و٤٦، والأحزاب: ١٢، والحشر: ٧.

(٢) ذكر العلامة الأميني قدّس سرّه في كتابه الغدير أسماء سبعمئة من الوضّاعين للأحاديث، ونسب لبعضهم أنه وضع ما يناهز مئة ألف حديث، يراجع الغدير، ج٥، ص ٢٠٨، وما بعدها.

الأدلّة العقلية على عصمة الإمام وعلمه

ومن خلال هذه الملاحظات يتّضح أنّه يمكن طرح الدّين الإسلامي كدين كامل وشامل يستجيب لكلّ الاحتياجات ولجميع البشر، حتّى نهاية العالم، فيما لو افترض وجود طريق لتوفير المصالح الضّروريّة للأمّة في داخل الدّين نفسه، تلك المصالح الّتي يمكن أن تتعرّض للتّهديد والتّدمير مع وفاة الرسول ﷺ ولا يتمثّل هذا الطّريق إلّا في تعيين الخليفة الصّالح للرّسول ﷺ، هذا الخليفة الّذي يملك العلم الموهوب من الله، ليُمّكنه بيان الحقائق الدّينيّة بكلّ أبعادها وخصوصيّاتها، ويتمتّع بملكة العصمة، حتّى لا يخضع لتأثير الدّوافع النفسانيّة والشّيطانيّة، وحتّى لا يرتكب التّحريف العمدي في الدّين، وكذلك يمكنه القيام بالدّور التّربوي الّذي كان يمارسه النّبيّ، سيّما مع الأفراد المؤهّلين، ولإيصالهم إلى أرفع درجات الكمال. وكذلك - حين تتوفّر الظّروف الاجتماعيّة الملائمة - يتصدّى للحكومة وتدبير الأمور العامّة في الأمّة الإسلاميّة، وتنفيذ التّشريعات الاجتماعية الإسلاميّة، وتطبيقها ونشر الحقّ والعدالة في العالم.

والحاصل: إنّ ختم النّبوّة إنّما يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصوم، هذا الإمام الّذي يمتلك خصائص نبيّ الإسلام ﷺ كلّها عدا النّبوّة والرّسالة.

وبذلك تثبت ضرورة وجود الإمام، وكذلك ضرورة توفّره على العلم الموهوب من الله، ومقام العصمة، ولزوم تعيينه ونصبه من قبل الله، تعالى لأنّه عزَّ وجلَّ وحده الّذي يعرف الشّخص الذي أُفيض عليه هذا العلم والعصمة، وهو الّذي يملك حقّ الولاية على عباده أصالة، ويمكنه منح مثل هذا الحقّ في درجة أدنى لأفراد يتمتّعون بشروط معيّنة.

فإذاً، كما حَكَمَ العقل بلزوم عصمة النّبيّ وغيرها من الصّفات الكماليّة،

يحكم أيضاً بضرورتها لكلّ من يتولّى وظائف وأدوار النّبيّ، عدا الصّفات المختصّة به كنبيّ وذلك كالوحي الّذي ثبت أنّه لا يكون إلا للنبيّ دون غيره ولو كانوا أصحاب عصمة.

عثرات الخلفاء عند السنّة

وممّا يلزم التأكيد عليه، أنّ غير الشيعة لا يقولون بمثل هذه الخصائص لأيّ خليفة من الخلفاء، فلا يدّعون نصبه وتعيينه من الله تعالى والنّبيّ ﷺ، ولا توفّر الخلفاء على العلم الموهوب من الله، ولا ملكة العصمة.

بل إنّهم نقلوا في كتبهم المعتبرة عثراتهم واشتباهاتهم وعجزهم عن الإجابة على أسئلة النّاس الدّينيّة. أمّا عثرات وخلفاء بني أميّة وبني العبّاس، فهي أوضح من أن تذكر، ويعرفها كلّ من له أدنى اطّلاع على تاريخ المسلمين. والشّيعة وحدهم الّذين يعتقدون بوجود الشّروط الثّلاثة في الأئمّة الاثني عشر من بعد النبيّ ﷺ. ويثبت ممّا ذكرنا صحّة اعتقادهم في مسألة الإمامة، ولا يحتاج ذلك للأدلّة الموسّعة والمفصّلة، ومع ذلك ستتمّ الإشارة في الدّرس القادم إلى بعض الأدلّة المقتبسة من الكتاب والسّنّة.

الإمامة منزلة الأنبياء عليهم السلام

ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام في مقطع من رواية عبد العزيز عنه عليه السلام:

«إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء عليهم السلام وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عزَّ وجلَّ، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصّيام والحجّ، والجهاد، وتوفير الفيء، والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثُغور والأطراف. الإمام يُحلّ حلال الله،

ويحـرّم حـرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن ديـن الله ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمـة والموعظـة الحسنـة، والحجّـة البالغـة. الإمـام كالشّمس الطّالعة للعالـم وهـي بالأفق بحيـث لا تنالها الأيـدي والأبصار. الإمام البـدر المنير، والسّـراج الزّاهـر والنّور السّاطـع، والنّجم الهادي في غياهـب الدّجى، والبيدِ القفارِ، ولججِ البحارِ»[1].

خلاصة الدرس

نُثبت ضرورة وجود الإمام بالبيان التالي:

أ- الأنبيـاء عليهم السلام أُرسـلوا لهدايـة النـاس وتربيتهم وللقيام بتنفيـذ الأحكام والتشريعات إذا توفّرت الظروف.

ب- النبـيّ محمّـد صلى الله عليه وآله وسلم بُعث لهذه الأهـداف وتميّز بأنّ رسـالته عالميّة عامّة خالدة خاتمة، لا تُنسخ، ولا نبيّ بعد نبيّنا كما بيّنت الآيات والروايات.

فلا بدّ إذاً من وجود إمام يحمل مواصـفات يسـتطيع من خلالها تكميل مهمّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- ختم النبوّة إنّمـا يكون موافقاً للحكمة الإلهيّة فيما لو اقترن بتعيين الإمام المعصـوم، هذا الإمام ينبغي أن يمتلك خصـائص نبيّ الإسـلام ما عدا النبوّة والرسالة.

- ينبغـي أن يكون الإمام بتعيين الله تعالـى واختياره، كما كان النبيّ مختاراً منه سبحانه، وكذلك ينبغي أن يتوفّر على العلم الموهوب من الله والعصمة عن الخطأ والذنب.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٩٨- ٢٠٣.

- السنّة لا يعتبرون في إمامهم ما تقوله الشيعة، ولذلك نرى أنّهم نقلوا في كتبهم عثرات الخلفاء.



أسئلة

١. لماذا يعتبر الشّيعة الإمامة أصلاً عقائديّاً؟

٢. بيّن فكرة ضرورة وجود الإمام.

٣. متى يكون ختم النّبوّة موافقاً للحكمة الإلهيّة؟

٤. اذكر الدليل العقلي على لزوم عصمة الإمام.





الدرس السادس والعشرون

تعيين الإمام



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .
٢. أن يستذكر الدليل على إمامة الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام .







تمهيد:

تقدّم في الدّرس السّابق أنّ ختم النّبوّة بدون نصب الإمام المعصوم وتعيينه مخالف للحكمة الإلهيّة، وأنّ إكمال الدّين الإسلاميّ العالمي الشامل والخالد مرتبط بتعيين الخلفاء الصّالحين بعد النّبيّ ﷺ أمّا في هذا الدرس فسنتناول الآيات القرآنيّة والروايات الدالّة على هذا الأمر.

الدليل القرآني والروائي

ويمكن استفادة هذه الفكرة من الآيات القرآنيّة الكريمة والرّوايات الكثيرة الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة في تفسير هذه الآيات.

١- منها قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

وقد اتّفق المفسّرون جميعاً على نزول هذه الآية في حجّة الوداع، أي قبل وفاة الرّسول ﷺ بعدّة أشهر، وبعد أن تشير الآية ليأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ تؤكّد إكمال الدّين في ذلك

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

اليـوم، وإتمام النّعمة. ومع ملاحظة الكثير من الرّوايات الواردة في شـأن نزول هذه الآية، يتّضـح جلياً أنّ الإكمال والإتمام الّذين اقترنا بيأس الكفّار من إلحاق الضّرر بالإسلام، إنّما تحقّقا بنصب خليفة للنّبيّ ﷺ من قبل الله تعالى، وذلك لأنّ أعداء الإسـلام كانوا يتوقّعون بقاء الإسـلام بدون قائد بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ وخاصّـة مع عدم وجود الأولاد الذّكور للرّسـول ﷺ ـ وبذلك يكون معرضاً للضّـعف والزّوال، بيد أنّ الإسـلام قد بلغ كماله بتعيين خليفة للنّبيّ ﷺ، فتمّت بذلـك النّعمة الإلهيّة وانهارت أطمـاع الكافرين وآمالهم[1]. وقد تمّ هذا التّعيين حين رجوع النّبيّ ﷺ من حجّة الوداع. فقد جمع الحجّاج كلّهم في موضـع يقال له (غدير خم)، وخلال إلقائه خطبته الطّويلة عليهم، سألهم: «**ألست أولى بكم مـن أنفسكم**»[2] قالوا: «**بلى**» ثمّ أخذ بيـد عليّ عليه السلام ورفعها أمام النّاس وقال: «**مـن كنت مولاه فعليّ مـولاه**»، وبهذا أثبت للإمام عليه السلام الولاية الإلهيّة فبايعه جميع الحاضـرين، ومنهم الخليفة الثّاني الّـذي هنّأه بقوله: «**بخْ بخْ لك يا عليّ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة**»[3].

وعقيب هذا التنصيب الإلهي نزلت الآية الشريفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، فكبّر الرّسول ﷺ وقال: «**تمام نبوّتي وتمام دين الله ولاية عليّ بعدي**».

وورد فـي رواية نقلها أحد علماء أهل السّـنّة الكبـار (الحمويني): «**فقام أبو بكـر وعمـر وقالا: يا رسول الله هذه الآيات خاصّـة في عليّ عليه السلام فقال ﷺ: بلى، فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة، قالا: يا رسول الله بينّهم لنا، فقال: عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أمّتي، ووليّ كلّ مؤمن من**

(١) للتوسع أكثر حول دلالة هذه الآية يراجع تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٥٦ وما بعدها، المصحّح.

(٢) يشير بذلك للآية (٦) من سورة الأحزاب ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.

(٣) للتأكد من قطعيّة سند الحديث ودلالته يراجع عبقات الأنوار والغدير.

بعدي، ثمّ ابني الحسن، ثمّ ابني الحسين، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين، واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا علي الحوض»[1].

ويستفاد من روايات عديدة أنّ النّبيّ ﷺ كان مأموراً قبل ذلك بالإعلان الرسمي عن إمامة أمير المؤمنين عليه السلام على الرأي العامّ، لكنّه كان يخشى حمل النّاس مثل هذا العمل منه على رأيه الشّخصي، واتهامه أنّه ما كان تنصيب عليّ عليه السلام إلّا لقرابته منه ﷺ فيعرضون عنه ولا يتقبّلونه؛ ولذلك كان يبحث عن فرصة مناسبة، تتوفّر فيها ظروف الإعلان عن مثل هذا الحدث المهمّ والخطير، حتّى نزلت الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

فمن خلال التّأكيد على ضرورة إبلاغ هذا النداء الإلهي - الّذي هو بمستوى كلّ النداءات الإلهيّة الأخرى، وعدم إبلاغه يساوي عدم إبلاغ الرّسالة الإلهيّة كلّها - قد بشّره اللّه بأنّه سيعصمه ويحفظه من جميع الآثار والمضاعفات المتوقّعة من هذا العمل الّذي سيزعج الكثير من الناس الّذين لا يريدون الخير للأمّة. وقد أدرك النّبيّ ﷺ - مع نزول هذه الآية - حصول الزّمان المناسب للقيام بهذه المهمّة، وليس من الصّالح تأخيرها، ومن هنا بادر في غدير خم للقيام بها[3].

والملاحظ: أنّ ما يختصّ بهذا اليوم هو الإعلان الرسميّ عن هذا التّعيين أمام النّاس، وأخذ البيعة منهم، وإلّا فإنّ رسول اللّه ﷺ كان قد تعرّض مراراً خلال فترة رسالته لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبأساليب وتعابير مختلفة.

(١) غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، الباب ٥٨ الحديث ٤، نقلاً عن الفرائد للحمويني.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧، للتوسع أكثر حول دلالة الآية يراجع تفسير الميزان، ج٦، ص ٤١ فما بعدها.

(٣) روى علماء أهل السنة الكبار هذه الواقعة عن سبعة من أصحاب رسول اللّه ﷺ وهم: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري، والبراء بن عازب، وأبو هريرة، ابن مسعود (الغدير، ج١).

٢- ومنهـا حين نزلت هذه الآيـة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] في بدايات البعثة، قال ﷺ لعشيرته: «**فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون هـو أخـي ووصيّـي وخليفتـي فيكم**» واتّفـق الفريقان علـى إحجام القوم جميعاً إلّا عليّ بن أبي طالب وأنّه أوّل من استجاب[2].

٣- ومنها حين نزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3].

حيث فرض الله تعالى فيها إطاعة أولي الأمر بصورة مطلقة، واعتبر إطاعتهم بمستوى إطاعة النّبيّ ﷺ، والروايات الدالة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

أ- سأله جابر بن عبد الله من هم الّذين وجبت طاعتهم؟ أجاب ﷺ:

«**هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين من بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التـوراة بالباقـر. ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السّلام. ثمّ الصّادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثـمّ علـيّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثـمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ**»[4].

وكمـا أخبـر النّبيّ ﷺ فقد بقي جابـر حيّاً حتّى إمامـة الباقر عليه السلام وأبلغه سلام رسول الله ﷺ.

وفي حديث روي عن أبي بصـير أنّه قال: سـألت أبا عبد الله الصّـادق عليه السلام عن قـول الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٢) عبقات الأنوار، والغدير، والمراجعات، المراجعة ٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) غاية المرام، ص ٢٦٧، ج١٠ (ط قديمة)، وإثبات الهداة، ج٣، ص ١٢٣، وينابيع المودة، ص ٤٩٤.

مِنكُمۡۖ﴾ فقال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فقلت له: إنّ النّاس يقولون فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ. قال: فقولوا لهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه آيات الصّلاة فلم تذكر شيئاً عن الرّكعات الأربع أو الثّلاث وإنّما فسّرها لهم رسول الله، وكذلك حينما نزلت آية ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فقال رسول الله: من كنت مولاه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإنّي سألت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أن لا يفرّق بينهما حتَّى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم؛ إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يُدخلوكم في باب ضلالة»[1].

ب- ومن الروايات الدالة على خلافتهم عليهم السلام ما كان يكرّره الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مراراً في أواخر أيّام حياته: «**إنّي تارك فيكم الثّقلين، كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض**»[2].

ج- وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «**ألا إنّ مثلَ أهل بيتي فيكم مثلُ سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**»[3] وقال مراراً مخاطباً علياً عليه السلام: «**أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي**»[4] وعشرات من الأحاديث الأخرى[5]، لا يسمح المجال لذكرها. وكلّها تدلّ على أحقيّته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد كلّ ما ذكر - وهو قليل بالنسبة لما لم يذكر- لا يبقى أمام الباحث عن الحقيقة إلّا الإذعان والإقرار بما قامت عليه الأدلّة العقليّة، والنقليّة من آيات وروايات.

---

(١) غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، ص ٢٦٥، ح٣، ط القديمة.

(٢) وهذا الحديث من الاحاديث المتواترة أيضا، وقد رواه عن الرسول وبطرق عديدة، جماعة من كبار علماء أهل السنة أمثال: الترمذي والنسائي وصاحب المستدرك.

(٣) مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٥١.

(٤) م.ن.، ج٣، ص ١٣٤، وص١١١، وصواعق ابن حجر، ص ١٠٣، ومسند ابن حنبل، ج١، ص ٣٣١، وج٤، ص ٤٣٨. الخ.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، وبحار الأنوار للعلّامة المجلسي.

معنى الإمامة من كلام المعصوم عليه السلام

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجور فيها اختيارهم؟! إنّ الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النّبوّة، والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل عليه السلام: سروراً بها. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله عزَّ وجلَّ بأن جعلها في ذريّته أهل الصّفوة والطّهارة فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1] فلم يزل في ذريّته يرثها بعض عن بعض حتّى ورثها النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فكانت له خاصّة فقلّدها صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً بأمر الله عزَّ وجلَّ على رسم ما فرضها الله عزَّ وجلَّ، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[3] فهي في ولد عليّ عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟!»[4].

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٢-٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٦.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص٢١٧.

خلاصة الدرس

- قد تبيّن ضرورة تعيين إمام من قِبَل الله تعالى، ويوجد في القرآن الكريم والروايات أدلّة على هذا التعيين:

من القرآن الكريم

١ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[1].

فهذه الآية نزلت تأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ تعيين الإمام علي عليه السلام خليفة بعده.

٢ـ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[2].

٣ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[3].

من الروايات:

١ـ سأل جابر بن عبد الله الأنصاري من هم الذين وجبت طاعتهم في الآية السابقة، أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**هم خلفائي يا جابر وأئمّة المسلمين بعدي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر. ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام. ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سميّي وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ**».

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

٢ـ عن رسول الله ﷺ: «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لـن يفترقـا حتّى يـردا عليّ الحوض**» وهذا حديـث متواتر، رواه كثير من علماء السنّة.

٣ـ وعنـه ﷺ: «**ألا إنّ مثـل أهـل بيتي فيكم مثل سفينة نـوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**».

أسـئلـة

١. **مـا هـي الآية المرتبطـة بتعيين الإمام؟ وبيّـن دلالتها على ذلك.**

٢. **بيّن الواقعة الّتي عُيّنَ فيها أمير المؤمنين عليه السلام إماماً.**

٣. **لمـاذا أخّـر النّبيّ ﷺ الإعلان عـن إمامة أميـر المؤمنين عليه السلام، وكيف أقدم على هذا الأمر؟**

٤. **أذكر الرّوايات الدّالة على إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام؟**

٥. **مـا هو فـرق إعلان الغديـر عن غيره حتّـى يخشى الرسول ﷺ فيه ما لم يخشه في غيره؟**



الدرس السابع والعشرون

العصمة وعلم الإمام



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب الدليل النقليّ على عصمة الإمام.

٢. أن يتعرّف إلى شموليّة علم الإمام.







تمهيد:

تقدّمت الإشــارة سابقاً - عند الكلام عن ضــرورة الإمامة - إلى الدّليل العقلي على عصمة الأئمّة عليهم السلام، وسيتمّ عرض بعض الأدلّة النّقليّة في هذا الدّرس.

عصمة الإمام، في الآيات والروايات

لقــد وردت جملة من الآيات والروايات الّتي تدلّ على عصــمة الأئمّة وســيتمّ التعرّض لبعض منها:.

١- آيــة الابتــلاء: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

حيــث نفى - ســبحانه وتعالــى - منح المناصــب الإلهيّة ومنهــا الإمامة لأولئك الملوَّثيــن بالذنوب. وقــد تقدّم الكلام حول دلالة الآية علــى الإمامة عند البحث عن عصمة الأنبياء.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

٢- آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾[١].

إنّ الإرادة التشريعيّة الإلهيّة في تطهير العباد لا تختصّ ببعض البشر دون بعض، فإنّه تعالى أراد من جميع البشر ووجَّه خطابه لجميع الناس أن يعصموا أنفسهم، من خلال اتّباعهم للتّشريعات الإلهيّة -فالإرادة التشريعيّة عامّة وليست خاصّة بفئة وصنف من الناس. وبما أنّه تعالى في مقام التفضّل والامتنان وهما يقتضيان تخصيص المتفضّل والممتّن عليه بأمر معيّن، فيتعيّن كون الإرادة في الآية هي الإرادة التّكوينيّة الإلهيّة والّتي لا تقبل التخلّف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] وهي مختصّة بالنّبيّ وأهل البيت عليهم السلام.

والتّطهير المطلق ونفي كلّ رجس وقبيح يعني العصمة، ونحن نعلم أنّ كلّ المذاهب والفرق الإسلاميّة، لا تدّعي وجود العصمة في أيّ أحد من المنتسبين للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، إلّا الشّيعة الّذين يعتقدون بعصمة الزهراء عليها السلام، والأئمّة الإثني عشر[٣] عليهم السلام.

الروايات المفسِّرة للآية

ويلزم علينا أن نؤكِّد أنّ هناك أكثر من سبعين رواية، ورد أكثرها عن علماء أهل السّنّة، تدلّ على أنّ هذه الآية الشّريفة نزلت في شأن «**الخمسة الطّيبين**»[٤]، أي: النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وقد نقل الشّيخ الصّدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يا عليّ هذه الآية نزلت فيك وفي سبطيّ والأئمّة من ولدك، قلت: يا رسول الله وكم الأئمّة**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) لمزيد من التوضيح حول هذه الآية يراجع تفسير الميزان وكتاب (الإمامة والولاية في القرآن الكريم).

(٤) غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، ص ٢٨٧-٢٩٣.

من بعدك؟ قال: أنت يا عليّ، ثمّ ابناك الحسن والحسين، وبعد الحسين عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد جعفر ابنه، وبعد جعفر موسى ابنه، وبعد موسى عليّ ابنه، وبعد عليّ محمّد ابنه، وبعد محمّد عليّ ابنه، وبعد عليّ الحسن ابنه، وبعد الحسن ابنه الحجّة. هكذا وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش فسألت الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عن ذلك فقال: يا محمّد هم الأئمّة بعدك مطهّرون معصومون وأعداؤهم ملعونون»[1].

ويكفي من الرّوايات حديث الثّقلين الّذي قرن فيه الرسول ﷺ أهل البيت والعتّرة مع القرآن الكريم، وأكّد عدم افتراقهما أبداً، وهو دليل واضح على عصمتهم، وذلك؛ لأنّ ارتكاب المعصية ـ حتّى لو كانت صغيرة، وإن صدرت سهواً ـ يعني الافتراق العملي عن القرآن. مع أنّ الحديث يؤكّد عدم الافتراق مطلقاً.

علم الإمام

مصادر علم الإمام

إنّ مصادر علوم الأئمة متنوّعة ومتعدّدة، منها:

١- إنّ أهل بيت النّبيّ ﷺ قد اقتبسوا وتزوّدوا من علومه ﷺ أكثر من غيرهم، وكما قال ﷺ في حقّهم: «**لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم**»[2]، وخاصّة أمير المؤمنين عليه السلام الّذي ترعرع ونشأ في أحضان الرسول ﷺ منذ طفولته، ولازمه حتّى آخر لحظات عمره الشريف، وكان يغترف دائماً ويتزوّد من علوم النّبيّ ﷺ وقد قال ﷺ في حقّه: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»[3].

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**إنّ رسول الله ﷺ علّمني ألف باب، وكل**

(١) غاية المرام، السيّد هاشم البحراني، ص ٢٩٣، ح ٦.

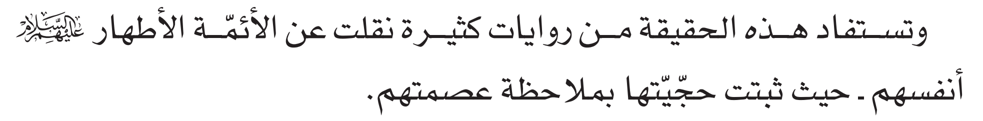
(٢) الكافي،الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٩٤.

(٣) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٢٢٦، ومن الجدير بالذكر أنّ أحد علماء أهل السنّة ألّف كتابا اسمه (فتح الملك العلي بصحّة حديث مدينة العلم علي) وطبع في القاهرة كتبه سنة ١٣٥٤هـ.

باب يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتّى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلّمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب»[١]. ولكنّ علوم أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا تنحصر بما سمعوه من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة أو بدون واسطة، بل هناك طرق أخرى..

٢- إنّهم عليهم السلام كانوا يتمتّعون أيضاً بنوع من العلوم غير العاديّة الّتي تفاض عليهم من طريق (**الإلهام**) أو (**التّحديث**)[٢]، كالإلهام الّذي حصل للخضر وذي القرنين[٣]، ومريم وأمّ موسى عليهم السلام[٤]، وقد عبّر في القرآن الكريم عن بعضها بـ (**الوحي**) وليس المقصود وحي النّبوّة، وبمثل هذا العلم بلغ بعض الأئمّة الأطهار عليهم السلام مقام الإمامة في فترة طفولتهم، وحيث كانوا يعلمون بكلّ شيء، لم يحتاجوا للتّعلم والدّراسة عند الآخرين.

الأدلة على التحديث



وتستفاد هذه الحقيقة من روايات كثيرة نقلت عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم ـ حيث ثبتت حجّيّتها بملاحظة عصمتهم.

منها: ما رواه ابن المغازلي الشّافعي عن عبد اللّه بن عطاء: قال كنت عند أبي جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) جالساً إذ مرّ علينا ابن عبد اللّه بن سلام[٥] قلت: جعلني اللّه فداك، هذا ابن الّذي عنده علم الكتاب، قال: «**لا ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب الّذي نزلت فيه آيات من كتاب اللّه (عزّ وجلّ)**: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٦] ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٧] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ

(١) ينابيع المودّة، ص ٨٨، والكافي، ج١، ص ٢٩٦.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ٢٦٤ وص ٢٧٠.

(٣) سورة الكهف، الآيات: ٦٥-٩٨، والكافي، ج١، ص ٢٦٨.

(٤) ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٤٢، وانظر أيضاً في السور التالية: مريم: ١٧-٢١، طه: ٣٨، القصص: ٧.

(٥) وعبد اللّه من علماء أهل الكتاب وقد أعلن إسلامه في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٧) سورة هود، الآية: ١٧.

﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1]»[2]. فثبت من خلال الرّواية أنّ عليّاً عليه السلام عنده علم الكتاب فهو يمتلك المقام الرّفيع كذلك.

وتتّضح لنا أهميّة التّوفّر على (علم الكتاب) حينما نتأمّل في حكاية سليمان عليه السلام وإحضار عرش بلقيس لديه، الّتي ذكرها القرآن الكريم: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[3].

ويُستفاد من هذه الآية أنّ التّعرّف على (بعض) علم الكتاب له مثل هذه الآثار المدهشة، ومن هنا يمكن أن ندرك الآثار الكبيرة للتّعرّف على (جميع) علم الكتاب. وقد أشار لهذه الملاحظة الإمام الصّادق عليه السلام في حديث رواه سدير عنه:

«**يا سدير: ألم تقرأ القرآن،** قلت: بلى، **قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ **قال،** قلت: جعلت فداك قد قرأته[4]، **قال** عليه السلام: **فهل عرفت الرّجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت أخبرني به، قال: قطرة من الماء في البحر الأخضر. ثمّ قال** عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[5] **قلت: قد قرأته، قال** عليه السلام: **أفمن عنده علم الكتاب كلّه أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كلّه، قال: فأومأ بيده إلى صدره، وقال** عليه السلام: **علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا**»[6].

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٣٥، ص٢٠٠.

(٣) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٤) ويلزم أن نعلم بأنّ المراد من علم الغيب المختصّ بالله تعالى، هو العلم الّذي لا يحتاج لتعلّم، كما أجاب به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عمّن سأله عن علمه بالغيب، «**إنّما هو تعلّم من ذي علم**» وإلّا فإنّ جميع الأنبياء و كثير من أولياء الله مطّلعون على بعض العلوم الغيبيّة بواسطة الوحي أو الإلهام. و من العلوم الغيبية الّتي لا يشك فيها أحد هذا النبأ الغيبيّ الذي ألهم لأمّ موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ سورة القصص: الآية ٧.

(٥) سورة الرعد، الآية:٤٣.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٥٧، طبعة دار الكتب الإسلامية.

علم الإمام في كلام الإمام عليه السلام

يوجد جملة من الرّوايات الواردة حول علوم أهل البيت عليهم السلام.

- ففي حديث طويل عن الإمام الرّضا عليه السلام يقول فيه: «**وإنّ العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يَعْيَ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصّواب، فهو معصوم مؤيّد، موفّق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّة على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فهل يقدّمون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه**»[1].

- وعن الحسن بن يحيى المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قلت له: أخبرني عن الإمام إذا سئل كيف يجيب؟ فقال: «**إلهام، وسماع، وربما كانا جميعاً**»[2].

- وفي رواية أخرى عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**أيّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجّة لله على خلقه**»[3].

- وفي عدّة روايات عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال فيها: «**إنّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم**»[4].

- وورد عنه عليه السلام أيضاً في روايات عديدة أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ قال: «**خلق من خلق الله عزّ وجلّ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره ويسدّده وهو مع الأئمّة من بعده**»[5].

ورد عن الإمام الرّضا عليه السلام: (في مقطع من رواية عبد العزيز): «**الإمام**

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٩٨- ٢٠٣.
(٢) بحار الانوار، العلّامة المجلسي، ج ٢٦، ص ٥٨.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٥٨.
(٤) م.ن، ج ١، ص ٢٥٨ وفي رواية (اعلم) بلا عن (علم) وفي الأخرى (علمه الله بذلك).
(٥) م.ن، ج ١، ص ٢٧٣.

المطهّر من الذّنوب، المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم، مرسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير»[1].

خلاصة الدرس

- بالإضافة إلى الدليل العقلي على علم الإمام هناك أدلّة قرآنيّة وروائيّة.

منها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

وهناك روايات توضّح المقصود من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس بأنّهم أهل الكساء بالإضافة إلى ولد الحسين عليه السلام المعصومين عليهم السلام.

ومنها: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[3]. حيث نفت الآية الإمامة عن الظالمين الملوّثين بالذنوب.

ويكفينا حديث الثقلين الذي قرن فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل البيت مع القرآن الكريم، وأكّد عدم افتراقهما أبداً، وهو دليل على عصمتهم.

- إن مصادر علوم الأئمّة عليهم السلام متعدّدة، منها:

١ـ أنّهم اقتبسوا من علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً الإمام عليّ عليه السلام؛ باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ العلم اللدنّي من الله تعالى بالإلهام والتحديث.

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص ١٩٨-٢٠٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

- هناك روايات كثيرة نُقلت عن الأئمّة عليهم السلام تُشير إلى مدى علمهم الواسع وإلهامهم، كما عن الإمام الصادق عليه السلام: «علم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا»، وعنه عليه السلام: بعدما سأله أحدهم عن الإمام إذا سُئل كيف يُجيب؟ فقال عليه السلام: «إلهام، وسماع، وربما كانا جميعاً».

أسـئـلـة

١. أذكر آية التطهير، وكيفيّة دلالتها على العصمة.

٢. ما هي أنواع علم الإمام، واذكر شواهد؟

٣. ما هي الآثار المترتّبة على من يعلم علم الكتاب، واذكر الآيات الدالّة عليها.



الدرس الثامن والعشرون

الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى معنى الحكومة العالميّة.

٢. أن يستذكر آية تتحدّث عن الوعد الإلهيّ.

٣. أن يتعرّف إلى معنى غيبة الإمام عجّل الله فرجه الشريف.



تمهيد:

لقد رويت أحاديث كثيرة من قبل الشّيعة وأهل السّنّة عن النّبيّ ﷺ، أشير في بعضها إلى عدد الأئمّة فحسب، وأضيف في بعضها الآخر أنّهم جميعاً من قريش، وفي بعض آخر ذكر أنّهم بعدد نقباء بني إسرائيل، وجاء في جملة منها أنّ تسعة منهم من أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً فإنّ بعض الرّوايات ذكرت أسماءهم واحداً تلو الآخر، وبعضها منقول عن أهل السّنّة، وهي متواترة من طرق الشّيعة[١].

وقد رويت أحاديث كثيرة من طرق الشّيعة حول إمامة كلّ واحد من الأئمّة الأطهار عليهم السلام، لا يسمح المجال لذكرها في هذا الموجز[٢]. ولذلك نخصّ البحث في موضوع الإمام الثاني عشر صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ومراعاة للإيجاز سيحصر البحث حول أهمّ الملاحظات.

(١) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ط ٣، ص١٠-١٤٠.

(٢) راجع: بحار الأنوار، وغاية المرام، وإثبات الهداة وسائر كتب الحديث.

الحكومة الإلهيّة العالميّة

لقد حاول الأنبياء العظام عليهم السلام تشكيل مجتمع مثاليّ قائم على أساس عبادة الله والقيم والتّعاليم الإلهيّة، ونشر العدل والقسط في الأرض كلّها، وقد خطا كلّ واحد منهم - بحسب وسعه - خطوة في هذا السّبيل، وقد تمكّن بعضهم من إقامة دولة إلهيّة في منطقة أو مرحلة زمنيّة معيّنة، ولكن لم تتوفّر لأيّ منهم الظّروف والشّروط المناسبة لإقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة.

وممّا ينبغي الإشارة إليه هو أنّ عدم توفّر مثل هذه الظّروف والشّروط المناسبة لا يعني قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم وأساليبهم، أو النّقص والتقصير في تبليغهم وإدارتهم وقيادتهم، وكذلك لا يعني عدم تحقّق الهدف الإلهيّ من بعثتهم. إذ - وكما أشرنا إلى ذلك - إنّ الهدف الإلهيّ هو: توفير الأجواء والظّروف المناسبة لحركة البشر الاختياريّة ومسيرتهم: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. جبر النّاس وقهرهم على اعتناق الدّين الحقّ دون اختيار منهم﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[2]، وهذا المقدار من الهدف قد تحقّق بقيام كلّ منهم بوظيفته على أكمل وجه.

ولكنّ الله تعالى وعد - في كتبه السّماوية - بإقامة الحكومة الإلهيّة على الأرض كلّها، ويمكن اعتبار ذلك نوعاً من الإنباء بالغيب بالنّسبة لتوفّر الأجواء المناسبة في المستقبل لتقبّل الدّين الحقّ، على نطاق واسع من المجتمع البشري، وحيث تتحقق على أيدي أشخاص متميزين - وبمعونة الإمدادات الغيبيّة الإلهيّة - إزالة العقبات والحواجز الّتي تحول دون إقامة الحكومة العالميّة، ونشر العدل والقسط في المجتمعات المظلومة والمستضعفة، والّتي ضاقت ذرعاً بجور

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

الظّالمين، ويئست من كلّ المبادئ والأنظمة الحاكمة، ويمكن اعتبار ذلك هو الهدف النّهائي لبعثة خاتم النّبيّين ﷺ، ودينه العالميّ والخالد، وذلك لأنّ اللّه قال في حقّه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1].

وبما أنّ الإمامة متمّمة للنّبوّة، ومحقّقة لحكمة ختم النّبوّة، فيتوصّل - على ضوء ذلك - إلى هذه النّتيجة، وهي: أنّ هذا الهدف سيتحقّق بواسطة الإمام الأخير وهو المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، وهذه الفكرة قد ذكرت في روايات متواترة.

وُيشار هنا إلى آيات من القرآن الكريم، تتضمّن البشارة والوعد بإقامة هذه الدّولة العالميّة، وبعد ذلك تُعرض نماذج من الرّوايات المرتبطة بهذا الموضوع.

الوعد الإلهي

يقول اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2].

وقد ورد هذا الوعد الإلهيّ في عدّة آيات، وممّا لا يقبل الشّكّ أنّه سيأتي اليوم الّذي يتحقّق فيه هذا الوعد الإلهيّ. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3].

وهذه الآية - وإن وردت في شأن بني إسرائيل واستيلائهم على زمام الأمور بعد تخلّصهم من قبضة الفراعنة - ولكن هذا التعبير (ونريد) يشير إلى إرادة إلهيّة مستمرّة، ولذلك طبقت في الكثير من الرّوايات على ظهور المهدي عجّل الله فرجه الشريف[4].

وقد خاطب تعالى - في موضع آخر - المسلمين بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) راجع السور التالية: التوبة: الآية ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩، وراجع: بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٠، ح ٢٢، وص ٦٠، ح ٥٨ و ٥٩.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة القصص، الآية: ٥.
(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٤، ح ٣٥، وص ٦٣ و ٦٤.

﴿...مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

وجاء في بعض الرّوايات، أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمان ظهور الإمام الغائب عجّل الله فرجه الشريف بصورة كاملة[2]. وهناك روايات أخرى طبّقت بعض الآيات على الإمام الغائب عجّل الله فرجه الشريف[3]، نعرض عن ذكرها رعاية للاختصار والإيجاز[4].

المهديّ عجّل الله فرجه الشريف في روايات أهل السُنّة

إنّ الرّوايات الّتي نقلها الشّيعة وأهل السّنّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حول الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف تفوق حدّ التّواتر، بل إنّ الروايات الّتي نقلها أهل السّنّة وحدها تبلغ حدّ التّواتر، باعتراف جماعة من علمائهم[5]. وقد اعتبر جماعة منهم أن الاعتقاد بالإمام الغائب مما اتّفقت عليه الفرق الإسلاميّة جميعاً[6]، وألّف بعضهم كتباً ومؤلّفات حول الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف[7]، وعلامات ظهوره، نذكر هنا بعضها:

- من الرّوايات العديدة الّتي رووها عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «**لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً**»[8].

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٥٨، ح ٥، وص ٥٤، ح ٣٤ و ٣٥.

(٣) أمثال هذه الآيات: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٣٩ و ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ سورة التوبة، الآية: ٣٣ و ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ سورة هود، الآية: ٨٦.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٤٤-٦٤.

(٥) انظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر، ص ٩٩، ونور الأبصار، للشبلنجي، ص ١٥٥، وإسعاف الراغبين، ص ١٤٠، والفتوحات الإسلامية، ج ٢، ص ٢١١.

(٦) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٣٥، وسبائك الذهب، للسويدي، ص ٧٨، وغاية المأمول، ج ٥، ص ٣٦٢.

(٧) أمثال كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) تأليف الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي الّذي عاش في القرن السابع، وكتاب (البرهان في علامات مهدي آخر الزمان) تأليف المّتقي الهندي الّذي عاش في القرن العاشر.

(٨) صحيح الترمذي، ج٢، ص ٤٦، وصحيح أبي داود، ج ٢، ص ٢٠٧، ومسند ابن حنبل، ج ١، ص ٣٧٨، وينابيع المودّة، ص ١٨٦ و٢٨٥ و ٤٤٠ و ٤٨٨ و ٤٩٠.

- عـن أمّ سـلمة: أنّ رسـول اللّه ﷺ قـال: «**المهـديّ مـن عترتـي ومـن ولد فاطمة**»[1].

- وعـن ابن عبّاس قال: قال رسـول اللّه ﷺ: «**إنّ عليّاً إمـام أمّتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الّذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً**»[2].

الغَيْبَة

تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام الثاني عشر عجّل الله فرجه الشريف والّتي ورد التّأكيد عليها في الرّوايات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام منها:

ما رواه عبد العظيم الحسـنيّ عن الإمام محمّد الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّي بالشّيعة يجولـون جـولان النّعم في غيبتـه يطلبون المرعى فلا يجدونـه، ألا فمن ثبت منهـم علـى دينـه ولـم يقسُ قلبه لطـول غيبة إمامـه فهو معي فـي درجتي يوم القيامة**».

ثـمّ قال: «**إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحـد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه**»[3].

- وروي عـن الإمام السّـجاد، عن أبيه، عن جـدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قـال: «**وإنّ للقائـم منّا غيبتيـن، إحداهما أطـول من الأخرى، فـلا يثبت على إمامته إلّا من قوي يقينه وصحّت معرفته**»[4].

(١) إسعاف الراغبين، ص ٤٣١، نقلا عن صحيح مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي.
(٢) ينابيع المودّة، القندوزي، ص ٤٩٤.
(٣) منتخب الأثر، ص ٢٥٥.
(٤) م.ن، ص ٢٥١.

سرّ الغيبة ومغزاها

لقد حاول الحكّام الظالمــون بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحريف المفاهيم والأحكام الدينيّة، بما يتوافق مع مصــالحهم الشخصــيّة، والّتي تحفظ لهم تسلّطهم على رقاب الناس، ومن هنا قام سائر الأئمّة الأطهار عليهم السلام بتثبيت الأصول العقائديّة وترسيخ ونشر المعارف والأحكام الإسلاميّة، وتربية النّفوس المؤهّلة وتهذيبها، وحيثما تســمح الظّروف، كانوا يحرّضــون النّاس ســرّاً علــى محاربة الظّالمين، والجبابــرة والطّواغيت، ويزرعون فيهم الأمل بتحقّق الدّولة الإلهيّة العالميّة، إلّا أنّهم استشــهدوا جميعاً واحداً بعد الآخر، ولم تتوفّر الظروف المناســبة لإقامة الدولة الإسلاميّة العادلة والموعودة.

وعلى كلّ حال، تمكّن الأئـمّة الأطهار عليهم السلام خلال قرنين ونصف من عرض الحقائق الإسّلاميّة وبيانها للنّاس، بالرّغم من مواجهتهم الكثير من التّحدّيات والمشاكل والمتاعب الشّديدة، وقد أظهروا بعضاً منها للنّاس عامّة وبعضها الآخر أظهروه لخصوص شيعتهم وخواصّ أصحابهم، وبذلك انتشرت المعارف الإسلاميّة بمختلف أبعادها وجوانبها في الأمّة، وضمن ذلك بقاءَ الشّريعة المحمّديّة، وقد تشكّلت ـ خلال ذلك ـ هنا وهناك في البلاد الإسلاميّة بعض الجماعات الّتي اندفعت لمحاربة الحكّام الجائرين، وأمكنهم ـ ولو بصورة محدودة ـ منع الجبابرة والطّواغيت من التّمادي في غيّهم وجورهم وعبثهم.

ولكن الّذي كان يُثير فزع الحكّام الظّالمين وقلقهم أكثر، هو الوعد بظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، الّذي كان يُهدّد وجودهم وكيانهم، ومن هنا فرض المعاصرون منهم للإمام الحسن العسكري عليه السلام رقابة مشدّدة عليه، ليقتلوا أيّ طفل يولد له، وقد استشهد الإمام عليه السلام نفسه بأيديهم، وهو في ريعان شبابه، ولكن

شاءت الإرادة الإلهيّة أن يولد المهديّ ﷺ، وأنّ يُدّخر لخلاص البشريّة ونجاتها؛ ولهذا السّبب لم يوفّق للقائه خلال حياة أبيه - وحتّى الخامسة من عمره - إلّا أفراد قليلون من خواصّ الشّيعة، بيد أنّ الإمام ﷺ ارتبط بالنّاس بعد وفاة أبيه، بواسطة نوّاب أربعة، كُلّفوا بمهمّة النّيابة الخاصّة[1]، واحداً بعد الآخر، وبعد ذلك بدأت (الغيبة الكبرى)، الّتي ستستمرّ إلى مدّة غير معلومة، حتّى اليوم الّذي يتمّ فيه إعداد البشريّة لتقبّل الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها وحينئذ سيظهر الإمام ﷺ بأمر من الله تبارك وتعالى.

النتيجة

إذن فالسّرّ في غيبته ﷺ هو الحفاظ عليه من أيدي الجبابرة والجائرين، وانتظار الظروف المؤاتية لتقبُّل البشريّة إقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة، وامتلاك القدرة على إقامتها، وقد أشير في بعض الروايات إلى حِكَم أخرى.

منها: امتحان النّاس واختبار مدى استقامتهم وثباتهم بعد إتمام الحجّة عليهم.

ومنها: أنّ بقاء الإمام ﷺ على قيد الحياة يُعتبر عاملاً قويّاً ومؤثّراً في زرع الطُّمأنينة وشيوع الأمل بين النّاس، ليحاولوا إصلاحَ أنفسهم وإعدادَها لظهوره.

فائدة وجود الامام ﷺ حال الغيبة

إنّ غيبة الإمام ﷺ لا تعني انقطاعه التامّ عن النّاس، ولا تستلزم حرمان النّاس من بركات وجوده، ونعمة هدايته، وإن كانت بدرجة أقلّ وآثار أضعف، وكما أشار الإمام نفسه إلى هذا الأمر بقوله ﷺ: «**وأمّا وجه الانتفاع بي في**

(١) وهم: عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان بن سعيد، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري.

غيبتي، فكالانتفاع بالشّمس، إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب»[١]، فإنّ الشّمس يستفاد من نورها وشعاعها وإن حجبتها الغيوم وإن كانت الفائدة أقلّ. وقد وُفِّق بعض الأشخاص للقاء الإمام عجل الله فرجه الشريف واستفادوا منه الكثير في قضاء حوائجهم، وتوجيههم فكريّاً وسلوكيّاً.

خلاصة الدرس

- إنّ هدف الأنبياء عليهم السلام إقامة العدل والقسط في الأرض كلِّها، وعدم تمكّن الأنبياء من تحقيق هذا الهدف لا يعني قصور تعاليمهم ومناهجهم وأساليبهم أو تقصيراً منهم؛ بل لعدم توفّر الظروف الموضوعيّة.

وممّا ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٢].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾[٣].

وجاء في بعض الروايات أنّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقّق في زمن ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف بصورة كاملة.

- إنّ الروايات في الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف متواترة من طريق أهل السنّة فضلاً عن الشيعة، ومنها: «لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

- تُعتبر الغَيْبَة من خصائص الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف والّتي ورد التأكيد عليها في

(١) كمال الدين، الشيخ الصدوق، ص ٤٨٥، الباب ٤٥ ذكر التوقيعات، الحديث ٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

الروايات، ومن أسرار الغَيْبَة:

أ- الحفاظ عليه من أيدي الجبابرة، وانتظار الظروف المؤاتية لنجاح مهمّته.

ب- امتحان الناس واختبارهم.

أسئلة

١. هل إنّ عدم تحقّق العدالة في الأرض ناتج عن قصور تعاليم الأنبياء عليهم السلام ولماذا؟

٢. أذكر آية تدلّ على الوعد الإلهيّ بتحقّق العدالة، ومتى تتحقّق.

٣. أذكر الأسرار والحكم من غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف.

٤. أذكر روايتين حول وجود المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وروايتين حول غيبته؟





الدرس التاسع والعشرون

الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف



أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

٢. أن يستذكر الإجابة على التساؤلات المتعلّقة بغيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف.







تمهيد:

بعدما تقدّم الكلام في جملة من أسرار الغيبة ومغزاها، وأنّ لها أسباباً أوجبتها، وأنّ الغيبة لم تكن نتيجة رغبة في الابتعاد عن مسرح الأحداث، بقدر ما كانت بسبب الناس أنفسهم، الّذين يجهلون حقيقة الإمامة ودور الإمام وبسبب قلّة الناصر للإمام عجل الله فرجه والمحامي عنه عليه السلام بحيث أصبح معرّضاً للقتل، مع العلم أنه المعصوم الوحيد المتبقّي القادر على القيام بدور القيادة الإلهية للمجتمع، لذلك وجب الحفاظ عليه لئلا تخلو الأرض من حجّة، فإنّ الأرض لا تستقرّ ولا تستمرّ من دون الارتباط باللّه من خلال الحجّة كما جاء في الحديث الشريف: «**لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها**»[١].

إضافة إلى أنّ الغيبة تدفع الناس للإحساس بالحاجة إلى وجود الإمام نتيجة إدراكهم للنقص الحاصل بسبب غيبته.

فتخلق فيهم دافعاً قويّاً، لتهيئة الظروف المناسبة لظهوره المبارك عجل الله فرجه ورفع الموانع الّتي تمنع من قيامه بنهضته العالمية إلّا أنّه - ومع كلّ ما تقدّم - لا بدّ من الإجابة على بعض التساؤلات المثارة حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

(١) الرواية بمضمونها عن بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٥٧، ص٢١٣.

هل يمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟

الجواب:

١- إنّ مسألة طول عمر الإنسان ليست أمراً مستحيلاً عقلاً، وبالتالي فهي أمر ممكن وكلّ أمر ممكن مقدور للّه تعالى - كما مرّ في بحث القدرة - فإذا أراد اللّه تعالى - وقد أراد[١] - أن يُطيل عمر إنسان فإنّه يطول، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢].

٢- لقد تعرّض القرآن الكريم والروايات الشريفة لذكر عدد من البشر الّذين أطال اللّه أعمارهم، ولقد حكم العقل واتفق العقلاء على **أنّ الوقوع أدلّ دليل على الإمكان** فمن آمن بالقرآن وتدبّره واطّلع على الروايات، وجب عليه الاعتقاد بأنّ طول العمر قد تحقّق لعدد من البشر، منهم:

أ- النبيّ نوح عليه السلام، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[٣].

وهذه الأعوام الطويلة عاشها نوح عليه السلام يدعو قومه بعد إرساله إليهم، وعاش بعد الطوفان مدّة مديدة.

ب- الخضر عليه السلام: وهو صاحب النبيّ موسى عليه السلام، الّذي تحدّث عنه المولى عزّ وجلّ بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[٤].

والخضر كان حيّاً قبل لقائه النبيّ موسى عليهما السلام وكان صاحب علم جليل، ولا

(١) وقد علمنا إرادته تعالى لإطالة عمر صاحب الزمان عجل الله فرجه من خلال الروايات المتواترة الّتي تقدّمت بالإشارة إليها.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٥-٦٦.

زال حيّاً، وسيبقى حيّاً كما ذكرت جملة من الروايات، وقد عزّى الخضر عليه السلام أهل البيت عليهم السلام بوفاة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**وأمّا العبد الصالح الخضر، فإنّ الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوّة قدّرها، ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى، إنّ الله تبارك وتعالى لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم ما يقدّر من عمر الخضر، وما قدّر في أيّام غيبته ما قدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح من غير سبب يوجب ذلك إلّا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عجل الله فرجه الشريف، وليقطع بذلك حجّة المعاندين لئلّا يكون للناس على الله حجّة**»[2].

وبعد هذا البيان وما تقدّم من تواتر الروايات لا يبقى أمام طالب الحقيقة إلّا الإذعان لهذه الحقيقة الناصعة.

لماذا أطال الله عمره الشريف ولم ينصّب إماماً آخر غيره عجل الله فرجه الشريف؟

والجواب:

١- أنّه إذا قام دليل قطعيّ على أمر ما وجب الاعتقاد به والتسليم له، بغض النظر عن معرفة الإنسان الباحث عن الحقيقة بالأسباب والغايات الّتي أوجبته، وإن كان هذا لا يمنع من محاولة البحث لمعرفة تلك الأسباب والحكم والغايات، على أن لا يكون إذعانه متوقّفاً على معرفتها.

وخاصّة أنّ أحد أركان الإيمان هو الاعتقاد والإيمان بأمور غيبيّة لا يتمكّن الإنسان من الاطلاع عليها بشكل مباشر، بل تتوقّف على ورود بيان شرعيّ فيها،

(١) كمال الدين، الشيخ الصدوق، ص ٢٩١.

(٢) مكيال المكارم، محمد تقي الأصفهاني، ج ١، ص ١٧١.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]. وإنّ الاعتقاد بوجود الإمام المنتظر عجّل الله فرجه الشريف أصبح من الغيب نتيجة غيبته، والإيمان به من جملة الإيمان بالغيب وهو من صفات المتقين.

وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن الآية المتقدّمة فقال عليه السلام: «**المتّقون شيعة عليّ عليه السلام والغيب فهو الحجّة (الغائب) وشاهد ذلك قوله تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾[2]»[3].

وفي كلام آخر للإمام الصادق عليه السلام حول المهديّ عجّل الله فرجه الشريف: «**يا بن الفضل إنّ هذا الأمر أمر من أمر الله تعالى وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم؛ صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف**»[4].

٢- لقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ العصمة وهي شرط أساس لتولّي منصب الإمامة ليست جبريّة، وبالتالي فإنّ المؤهّلين لمنصب الإمامة هم الأئمّة الاثنا عشر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على حسب الترتيب المعروف، فلو فرض موت الإمام الثاني عشر - والعياذ بالله - فهذا يعني استحالة إقامة دولة العدل الإلهيّ الّتي وعد الله بها، وذلك لعدم وجود المؤهَّل لتحمّل هذا المنصب وبذلك ينتفي الغرض من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

إضافة إلى ما ذُكر في بداية الدرس من وجود ترابط دائم وعلاقة علّية بين وجود المعصوم - وهو الإنسان الكامل - وبقاء الكون، فإن لحظة انقطاع التواصل

(١) سورة البقرة، الآية: ٣.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢.
(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ١٢٥.
(٤) م.ن، ص ٩١.

بين الأرض والسماء، وبين عالم الشهود والغيب هي نفسها لحظة فناء الكون، فكان لا بدّ من بقاء الإمام الثاني عشر عجّل الله فرجه الشريف وإلّا لساخت الأرض بأهلها ولانتقض قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[1]، ولانتفت الحجّة على الناس (ويمكن الرجوع إلى المطوّلات للاطلاع على أسباب أخرى لطول عمره الشريف).

متى يتحقّق ظهور الإمام عجّل الله فرجه الشريف؟

الجواب:

١- بما أنّ الغيبة لها أسباب وللظهور غايات وأهداف كما تقدّم، وعليه لا يمكن أن يتحقّق الظهور قبل ارتفاع الأسباب الّتي دفعت إلى غيبة الإمام عجّل الله فرجه الشريف، ولا بدّ من تحقّق الأرضيّة المناسبة والظروف الموضوعيّة الّتي تسمح بتحقّق الهدف، فعندما تُضمن سلامة الإمام من خلال اجتماع عدد يشكّل نواة لحركة الإمام، وهو عدد المسلمين في معركة بدر - أي ثلاثماية وثلاثة عشر - وعندما يقطع معظم الناس الأمل بإمكانيّة تحقيق العدالة على أيدي البشر العاديّين، فيتوسّلون تحقيق العدالة الإلهيّة على يدي رجل إلهيّ، حينئذ تكون الأسباب قد ارتفعت والأرضيّة قد تهيّأت، وأمّا متى يحصل هذا؟ فهو أمر تنحصر معرفته بالله تعالى، ولذلك ورد النهي الشديد، والتكذيب الأكيد على لسان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة عليهم السلام - لكلّ من يحاول توقيت الظهور، فقد ورد في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريّتك؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: مثله مثل الساعة** ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾[2]»[3].

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية:١٨٧.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ١٥٤.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون**»[1] وغيرها من الروايات.

٢- إنّ إخفاء الوقت له آثار إيجابيّة في دفع الإنسان للعمل والسعي والجدّ، وتربية نفسه وتهذيبها، ليكون مؤهّلاً وحاضراً عندما تأتيه الدعوة للخروج، ويسمع النداء. فتبقى بذلك قلوب المؤمنين مشتاقة لرؤيته ومهيئة لتقبّل دعوته عجل الله فرجه الشريف.

وقد جاء في رسالة الإمام عجل الله فرجه الشريف للشيخ المفيد: «**فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقرّبه من محبّتنا، ويتجنّب ما يُدنيه من كراهيتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا يُنجيه من عقابنا ندم على حوبة**»[2].

هل يوجد علامات للظهور؟

الجواب: نعم لقد وردت جملة من الروايات الّتي تستعرض بعض العلامات الّتي تسبق خروج الإمام عجل الله فرجه الشريف إلّا أنّه لا بدّ من الإشارة إلى:

١. إنّ العلامة هي مجرّد دليل على قرب الظهور، وليست سبباً للظهور بحيث يتوقّف عليها.

٢. إنّ العلامة لا تدلّ بالضرورة على ملاصقة الظهور لها، فقد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيته، وإن كان يوجد علامات تُشير إلى كون الظهور قريباً جدّاً. كما سيأتي..

٣. إنّ بعض العلامات بشكل عامّ وردت على شكل رموز، ولذلك يُخطئ من يحاول تطبيقها بشكل قاطع على حوادث ووقائع، فلا يفيد هذا التطبيق إلّا ظنّاً ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾[3].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٦٨.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٣، ص ١٧٦.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٨.

٤. يوجد علامات حتميّة الوقوع، ولكن يوجد أيضاً علامات غير حتميّة وقد يحصل البَداء فيها.

٥. أن لا يتلهّى الإنسان بالعلامات ويقف عندها ويغفل عن الأمر المهمّ وهو السعي لتهذيب نفسه وتزكيتها وتهيئتها، ليكون أهلاً لصحبة الإمام عجل الله فرجه الشريف، لأنّ هذا الّذي يحتاجه المؤمن لنفسه، ويطلبه منه إمامه عجل الله فرجه الشريف وبذلك تتحقّق إحدى فوائد جعل العلامات وبيانها.

وإليك بعض العلامات الواردة بشكل إجماليّ، وهي:

١. **خروج الثلاثة:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«خروج الثلاثة: السفيانيّ والخراسانيّ واليمانيّ في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها من راية أهدى من راية اليمانيّ لأنّه يدعو إلى الحقّ»**[١].

٢. **الرايات السود:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«تنزل الرايات السود الّتي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهديّ عجل الله فرجه الشريف بعثت إليه بالبيعة»**[٢].

٣. **قتل النفس الزكية:** ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«وليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمس عشرة ليلة»**[٣].

٤. **الخسف:** ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: **«...يكون عند ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»**[٤].

٥. **طلوع الشمس من المغرب:** ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **«وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم»**[٥].

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢١٠.
(٢) م.ن، ج ٥٢، ص ٢١٧.
(٣) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٤٤٥.
(٤) معجم أحاديث المهدي عجل الله فرجه الشريف، الكوراني، ج ١، ص ٣١١، نقلها من جملة مصادر.
(٥) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٨٩.

٦. **الصيحـة فـي السمـاء:** ورد عـن الإمام الباقـر عليه السلام: «**ينـادي مناد من السمـاء باسـم القائم فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلّا استيقـظ، ولا قائـم إلّا قعـد، ولا قاعـد إلّا قـام على رجليـه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب**»[١].

الأجواء الفاسدة

بقيت الإشـارة إلى الأجواء الفاسدة السائدة في الأمّة عصر الظهور، وذلك مـن خلال الرواية الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «...**فإنّ علامات ذلك: إذا أمـات النـاس الصلاة وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرّشـا... وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهـواء واستخفـوا بالدمـاء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخـراً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان والإثم والطغيان... وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقـي الفاجر مخافة شـرّه، وصُدّق الكاذب وأؤتمن الخائـن، واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر الأمّة أوّلها، وركبت ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء...**»[٢].



خلاصة الدرس

.أُثيرت تساؤلات عدّة حول غياب الإمام المهدي عجل الله فرجه منها:

هل يُمكن أن يعيش الإنسان هذا العمر الطويل؟ والجواب:

١- مسألة طول عمر الإنسان ليست من المستحيلات العقليّة، والله قادر على كلّ شيء.

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥٢، ص ٢٠٣.

(٢) م.ن، ج ٥٢، ص ١٩٣.

٢- إنّ طول عمر الإنسان كما أنّه ممكن عقلاً هو واقعٌ خارجاً، كما في النبيّ نوح عليه السلام والخضر عليه السلام.

لماذا أطال الله عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه؟ والجواب:

إنّه قام الدليل القطعي على الإمام المهدي عجل الله فرجه وإذا لم نعرف أسباب غيبته ـ فرضاً ـ هذا لا يدعونا إلى الإنكار، فالإيمان بالمهدي عجل الله فرجه هو أحد مصاديق الإيمان بالغيب. ثمّ إنّ إقامة دول الحقّ تحتاج إلى المعصوم فلو فرض موت الإمام الثاني عشر فهذا يعني استحالة إقامة دولة الحقّ.

متى يتحقّق الظهور؟ والجواب:

إنّ للظهور أسبابه الموضوعيّة فمتى حانت ظهر الإمام عجل الله فرجه بأمر الله تعالى. وأمّا إخفاء توقيت ظهوره المبارك ففيه فوائد منها: دفع الإنسان المؤمن للعمل والسعي وتربية نفسه لتتهيّأ لظهوره الشريف.

هل يوجد علامات للظهور؟ والجواب:

نعم وردت روايات تستعرض علامات لظهوره الشريف، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ العلامة دليل على قرب الظهور وليست سبباً، كم أنّها قد تكون علامة على عصر الظهور وليست علامة لتوقيت الظهور، ثمّ إنّ بعضها يُشكّل رموزاً؛ لذلك قد يُخطئ بعض الناس في تطبيقها، وعلى الإنسان المؤمن أن لا يلتهي بالعلامات عن العمل للتمهيد للظهور المبارك.

- علامات الظهور منها حتميّ ومنها غير حتميّ قد يحصل البداء فيها، ومن العلامات: خروج السفياني والخراساني واليماني، الرايات السود من خراسان، قتل النفس الزكيّة، الخسف، الصيحة من السماء، انتشار الفساد.



أسئلة

١. ما هي فلسفة وعمر الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف الطويل؟

٢. ما هو الهدف من إخفاء ساعة الظهور؟

٣. عدّد بعضاً من علامات الظهور.



الدرس الثلاثون

المعاد



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب إلى أهميّة الاعتقاد بالمعاد.

٢. أن يتعرّف إلى نتائج الاعتقاد بالمعاد.

٣. أن يستذكر آية قرآنية عن المعاد.





أهميّة معرفة العاقبة

إنّ البحث عن المعاد يتمّ ضمن المراحل التالية:

الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد وفيها يتمّ بيان ميزة هذا الأصل العقائديّ، وتأثيره المهمّ في سلوك الإنسان وأفعاله الفرديّة والاجتماعيّة.

الثّانية: أهميّة الروح في إثبات المعاد ويتمّ من خلالها توضيح التّصوّر الصّحيح عن المعاد، والّذي يتوقّف على إثبات وجود الرّوح غير المحسوسة والخالدة والاعتقاد بها؛ لأنّها تشكّل الأساس الأوّل لإثبات المعاد، فكما أنّ معرفة الوجود تبقى ناقصة من دون الاعتقاد بوجود اللّه الواحد، فكذلك معرفة الإنسان ومصيره تبقى ناقصة إن لم يعتقد بوجود الروح الخالدة.

الثّالثة: ويتمّ فيها عرض بعض الأدلّة الّتي يتمّ من خلالها إثبات المعاد ومسائله الأساس.

الرّابعة: عرض أهمّ شبهات المنكرين للمعاد والردّ عليها.

وبهذا يكون قد تمّ استعراض الخطوات المطلوبة بشكل إجمالي وقد جاء دور البحث التّفصيلي لتلك الخطوات.

المرحلة الأولى: أهميّة الاعتقاد بالمعاد

إنّ الباعث والداعي للقيام بالنّشاطات والأعمال الحياتيّة هو إشباع الحاجات والرّغبات، وتحقيق الأهداف والطّموحات، وبالتّالي الوصول للسّعادة والكمال النّهائي. وإنّ تقويم الأفعال، وكيفيّة توجيهها مرتبط بتحديد الأهداف الّتي يسعى بجميع جهوده وطاقاته لبلوغها. ومن هنا كان لمعرفة الهدف النّهائي للحياة الّتي يعيشها دور أساس في معرفة الطرق والوسائل والأعمال الّتي لا بدّ من اختيارها وممارستها. وفي الواقع إنّ العامل الرّئيس في تحديد طريقة الحياة ومسيرتها يكمن في رؤية الإنسان ومعرفته بحقيقته وكماله وسعادته. ومن يعتقد أنّ حقيقته ليست إلّا مجموعة من العناصر المادّيّة، البدنيّة والتّفاعلات المعقّدة فيما بينها، ويرى حياته محدّدة بهذه الأيّام القليلة للحياة الدّنيويّة، ولا يعرف لذّةً أو سعادة أو كمالاً آخر وراء هذه المنافع والمكاسب المرتبطة بهذه الحياة، فإنّه سوف ينظّم أعماله وسلوكه بما يشبع حاجاته الدّنيويّة ومتطلّبات هذا العالم، أمّا الّذي يؤمن بأنّ حقيقته أوسع وأبعد من الظّواهر المادّيّة، ولا يرى في الموت نهاية الحياة، بل يراه منعطفاً ينتقل من خلاله من هذا العالَم المؤقّت إلى عالَم خالد باقٍ، وأنّ أعماله الصّالحة وسيلة للوصول لسعادته وكماله الأبديّين، فإنّه سوف يخطّط لِنظام حياته بطريقة تكون معها أكثر عطاء وأفضل تأثيراً على حياته الأبديّة. ومن جانب آخر، فإنّ المتاعب والمصائب والابتلاءات الّتي يواجهها في حياته الدّنيويّة، لا تثبّط عزيمته، ولا تبعث فيه روح اليأس والقنوط، ولا تمنعه من مواصلة جهده وعزيمته في سبيل ممارسة وظائفه، وبلوغ السّعادة والكمال الأبديّين الّذين يطلبهما الإنسان بفطرته.

ولا ينحصر تأثير هذين النّوعين من معرفة الإنسان، في الحياة الفرديّة، بل إنّ لهما تأثيراً كبيراً وفاعلاً في الحياة الاجتماعية، وفي مواقف الأفراد

وعلاقاتهم فيما بينهم. فإنّ للاعتقاد بالحياة الأُخرويّة، وبالثّواب والعقاب الأبديّين، دوره المهمّ وتأثيره البالغ في رعاية حقوق الآخرين، والإيثار والإحسان إلى المحتاجين والمحرومين. وحين يسود المجتمع مثل هذا الاعتقاد، فلا يحتاج كثيراً إلى استخدام القوّة في سبيل تنفيذ القوانين والأحكام العادلة ومكافحة الظّلم والاعتداء على الآخرين. وبطبيعة الحال كلّما اتّسعت دائرة هذا الاعتقاد بين النّاس وعمّت، فإنّ المشاكل والخلافات سوف تقلّ.

ومن خلال هذه الملاحظات، تتّضح لنا أهميّة مسألة المعاد، وقيمة البحث فيها، بل وحتّى الاعتقاد بالتّوحيد، إن لم يكن مقترناً بالاعتقاد بالمعاد، لا يمكنه أن يؤثّر أثره الكامل والشّامل في توجيه الحياة الدنيوية الوجهة الصّحيحة والمنشودة، ومن هنا ينكشف سرّ اهتمام الأديان السّماويّة ـ وخاصّة الدّين الإسلاميّ المقدّس ـ بهذا الأصل العقائدي، وسرّ بذل الأنبياء عليهم السلام أقصى جهودهم في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في النّفوس وتثبيتها.

والاعتقاد بالحياة الأخرويّة، إنّما يكون له تأثيره في توجيه السّلوك والأفعال الفرديّة والاجتماعيّة، فيما لو تمّ التّسليم بوجود نوع من علاقة السببيّة والمسببيّة بين ما يتحقّق في هذا العالم من المواقف والأفعال، والسّعادة والشّقاء في عالم الآخرة.

وبهذا يظهر أنّه من الضّروري ـ إضافةً لإثبات المعاد والحياة الأخرويّة ـ إثبات العلاقة بين الحياتين (الدّنيا والآخرة) وتأثير الأفعال الاختياريّة في السّعادة والشقاء الأبديّين.



اهتمام القرآن بمسألة المعاد

الملاحظ أن أكثر من ثلث الآيات القرآنيّة، مرتبط بالحياة الآخرة، وفي مجموعة من هذه الآيات أكّد القرآن على لزوم الإيمان بالآخرة[1]. وفي مجموعة

(١) ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ سورة البقرة: الآية٤. وانظر أيضاً سورتي: لقمان: ٤. النمل: ٣.

أخرى أشار إلى آثار إنكار المعاد ومضاعفاته[١]. وفي ثالثة ذكر النّعم الأبديّة[٢]. وفي رابعة تعرّض القرآن إلى أنواع العذاب الأبديّ[٣]. كما أنّ هناك آيات كثيرة ذكرت العلاقة بين الأعمال الحسنة والسّيئة، مع نتائجها وآثارها الأُخرويّة. وكذلك أكّدت بأساليب مختلفة إمكان القيامة بل وضرورتها، وتعرَّضت للإجابة عن شبهات المنكرين، وقد بيّنت بعض الآيات أنّ السّبب في الكثير من أنواع الضلال والانحراف هو نسيان أو إنكار القيامة ويوم الجزاء[٤].

ومن خلال التأمّل في الآيات القرآنيّة نتوصّل إلى أنّ القسم الأكبر من أحاديث الأنبياء عليهم السلام ومناظراتهم مع النّاس كان يدور حول موضوع المعاد، بل يمكن القول بأنّ الجهود الّتي بذلوها لإثبات هذا الأصل كانت أكثر من جهودهم لإثبات التّوحيد، وذلك لأنّ أغلب النّاس كانوا يتّخذون موقفاً أكثر عناداً وتشدّداً من هذا الأصل. ويمكن أن نُلخّص السبب في عنادهم وتشدّدهم في أمرين:

١- عامل مشترك يتجسّد في إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس.

٢- عامل مختصّ بموضوع المعاد، أي الرغبة بالتحلّل، وعدم الشّعور بالمسؤوليّة، وذلك لما ذكرناه من أنّ الاعتقاد بالقيامة والحساب، يُعتبر دعامة قويّة وصلبة للشعور بالمسؤوليّة، ودافعاً قويّاً لتقبّل الكثير من

---

(١) ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ سورة الإسراء: ١٠، وأيضاً السور التالية: الفرقان: ١١، وسبأ: ٨، والمؤمنون: ٧٤.

(٢) ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ سورة الإنسان: ١١-٢١، وانظر سورتي: الرحمن: من الآية ٤٦ إلى آخر السورة. الواقعة: ١٥- ٣٨.

(٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ سورة الحاقة: ٢٥- ٣٢، وانظر أيضاً سورتي: الملك: ٦-١١، الواقعة: ٤٢-٥٦.

(٤) ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ سورة ص: ٢٦، وانظر أيضا: سورة السجدة: ١٤.

الضّوابط على السّلوك والأعمال، والكفّ عن الظّلم والاعتداء والفساد والمعصية. وبإنكاره سوف يفتح الطّريق أمام تدفّق التّصرّفات المتحلّلة، وعبادة الشهوات والأنانيّات والانحرافات. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العامل في قوله: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[1].

خلاصة القول

من أجل أن يتمكن الإنسان من اختيار الطريق الّذي يؤدّي به إلى سعادته الحقيقيّة وكماله النهائيّ، يلزم عليه أن يفكّر. ويسأل نفسه: هل تنتهي الحياة الإنسانيّة بالموت؟ هل توجد هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة؟ هل الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر، كالسّفر من مدينة لأخرى، بحيث يمكنه توفير وسائل ومستلزمات المعيشة والحياة في تلك المدينة؟ هل الحياة في هذا العالم مقدّمة، وأرضيّة لحصول المسرّات والآلام في ذلك العالم، فلا بدّ أن يعدّ العدّة، ويعمل في هذا العالم، ليحصل على النتيجة النهائيّة هناك أم لا وجود لهذه العلاقة؟

وسيأتي الجواب الصحيح وبشكل واضح لهذه الأسئلة في المرحلة الثالثة في الدروس الآتية.

خلاصة الدرس

- إنّ الإيمان بالمعاد له أهميّة كبرى وآثار عظيمة على الحياة الفرديّة والاجتماعيّة للناس، فهو يُصيّر الإنسان أكثر عطاءً ونشاطاً وعملاً، ويُخفِّف عنه وطأة المصائب والبلاءات، ويجعل العلاقة بين الناس علاقة

(١) سورة القيامة، الآيات: ٣-٥.

تعـــاون ومحبّة وإيثار وأخلاق، فلا يُحتاج لتطبيق القوانين ومكافحة الظلم إلى استخدام القوّة.

- الاعتقاد بالمعاد لا يؤثّر أثره المطلوب إلاّ إذا سلّمنا بتأثير أفعال الإنسان في السعادة والشقاء الأبديّين، أي إذا سلّمنا بالثواب والعقاب الأخرويّين.
- ولأهميّة الإيمان بالمعاد والثواب والعقاب كان للأديان وخصوصاً الإسلام الاهتمام البارز في هذه المسألة، لذا نرى أنّ أكثر من ثلث الآيات القرآنية مرتبط بالحياة الآخرة.

ومن هذه الآيات:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1].

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2].

. من أسباب إنكار الكافرين للمعاد:

١ـ إنكار كلّ أمر غيبيّ وغير محسوس.

٢ ـ الرغبة في التحلُّل من الواجبات والانغماس بالشهوات.



أسئلة

١. تحدّث باختصار عن أهميّة الاعتقاد بالمعاد، وأثره على الإنسان.

٢. أذكر العاملين الأساسين لإنكار المعاد.

٣. أذكر آية قرآنية تتحدّث عن المعاد.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠.



الدرس الواحد والثلاثون

المعاد والروح



أهداف الدرس:

١. أن يتبيّن الطالب علاقة الروح بالمعاد.

٢. أن يستذكر الدليل العقلي على تجرّد الروح.

٣. أن يستذكر الدليل القرآني على تجرّد الروح.





المرحلة الثّانية: المعاد وعلاقته بالروح وتجرّدها

لقد أثبت العلم أنّ بدن الإنسان والحيوان مؤلّف من مجموعة خلايا وأنّ خلاياه في تحوّل وتبدّل دائمين، وهي ليست واحدة ولا ثابتة منذ الولادة حتّى الوفاة، بل إنّ الخلايا تتبدّل بتمامها بشكل تدريجيّ مرّة كلّ سبع سنوات تقريباً[١].

فالبدن اليوم هو غيره بالكامل قبل أو بعد سبع سنوات، وفي نفس الوقت يجد الإنسان نفسه واحداً لا يتغيّر طوال حياته، وهذا يكشف عن أنّ منبع وحدته ليس هو البدن إذ هو متغيّر حسب الفرض، وعليه يجب أن يوجد وراء بدن الإنسان حقيقة أخرى ثابتة لا تتغيّر منذ الطّفولة إلى الشّباب، فالكهولة، فالشّيخوخة، وهذه الحقيقة المجرّدة هي المعبّر عنها بالرّوح، وعند الفلاسفة بالنّفس، وهي موجود قابل للاستقلال عن البدن، وإليها يسند الإنسان كلّ أفعاله وفي كلّ الأزمنة فيقول: أنا فعلت كذا حين كنت طفلاً، وأنا فعلت كذا في مرحلة الشّباب وهكذا.

وبإثبات الرّوح وتجرّدها عن المادّة، يُمكن حينئذ البحث حول المعاد وإثباته؛

(١) وقيل: إنّ خلايا الدماغ لا تتبدّل وهذا لا يؤثّر على الاستدلال، وحتّى لو ناقش بعض بعدد السنين، فإنّ العدد لا يؤثّر على الاستدلال أيضاً طالما أنّ أصل التبدّل من المسلّمات الطبيّة.

لأنّه بذلك يمكن القول (إنّ الشخص المُعاد ـ أي: الشخص الّذي تردّ له الحياة بعد الموت ـ هو نفسه الّذي كان في الدنيا)؛ لأنّ البدن يتلاشى ولكن الرّوح، والّتي بها وحدة الإنسان باقية، وبها ترتبط شخصيّة الإنسان وإنسانيّته، وحينما تتعلّق من جديد بالبدن يحتفظ الشخص بوحدته كما هو الحال قبل الموت، ولا يؤدّي تبدّل موادّ البدن إلى تعدّد الشخص.

وبسبب أهميّة تجرّد الرّوح في إثبات المعاد، ينبغي استعراض بعض الأدلّة العقليّة والنّقليّة على تجرّدها.

الروح والبدن

قبل الحديث عن تجرّد الروح والأدلّة على هذا، لا بدّ من إثبات أنّ الروح موجود آخر غير البدن. ولتوضيح هذا الأمر لا بدّ من تقديم مقدّمة تقع ضمن نقطتين:

١- لا يشكّ أحدنا أنّه يشاهد لون جلده وشكل بدنه بأمّ عينه، ويتحسّس خشونة أعضائه ونعومتها بحاسّة اللّمس، ولا يمكن التّعرف على داخل البدن إلّا بصورة غير مباشرة. هذا إضافة إلى أنّ الخوف والحبّ والبغض، والغضب والإرادة والتفكير، يُدركها الإنسان بدون احتياج للحواس، وكذلك يتعرّف على الـ (أنا) الّذي يملك هذه الإحساسات والمشاعر والعواطف والحالات النفسيّة بدون استخدام الحواس.

إذاً فالإنسان يملك نوعين من الإدراك: أحدهما يحتاج فيه إلى الحواس، والثاني: لا يحتاج فيه إلى الحواس وهذا واضح.

٢- مع ملاحظة إمكان تعرّض المدركات الحسيّة للخطأ، إذ قد تُخطئ الحواس كما هو الحال فيمن يرى السّراب؛ فإنّه يراه ماءً مع أنّه إذا جاءه

لم يجده شيئاً، فمن الممكن حصول الخطأ في النّوع الأوّل من المدركات، خلافـاً للنّوع الثّاني، فهي معارف لا مجال فيها للخطأ والاشـتباه والشـكّ والتّردّد، فيمكن للمرء أن يشكّ في لون جلده، وأنه هل شخّصه كما هو في الواقـع فعلاً أم لا، ولكن لا يمكن لأحد أن يشـكّ، فـي أنّه هل فكّر أم لا، أو أراد شيئاً أم لا، أو شكَّ أم لا؟!

وهذا ما يعبّر عنه بالعلم الحضـوريّ وهو يتعلّق مباشـرة بالواقع بلا توسُّـط الصورة؛ ولذلك لا يقبل الخطأ، وأمّا العلم الحصوليّ، فبما أنّه يحصل بواسطة الصورة الإدراكيّة، فهو يقبل الشكّ والتردّد ذاتاً[1].

ومعنــى ذلــك، أنّ أكثر علوم الإنســان رســوخاً وقــوّة هي العلوم الحضـوريّة والمدركات الشّـهوديّة الّتي تشـمل علم النفس بنفسـها والإحساسات والمشاعر والعواطف والحالات النّفسيّة الأخرى. ومن هنا، فإنّ الـ (أنا) المدرك، المفكّر، المريد، لا يقبل الشّكّ والتّردّد أبداً، وكذلك وجود حالات الخوف والحبّ والغضب والتفكير والإرادة، لا يقبل التّردّد.

ومن هنا يبرز هذا السؤال: هل هذا الـ (أنا) هو البدن الماديّ والمحسوس؟ وهـل إنّ هذه الحالات النفسـية بدورها من أعراض البـدن، أم إن وجودها غير وجـود البدن، وإن كان للـ (أنا) علاقة وثيقـة وقويّة بالبدن، إذ إنّ الـ (أنا) يقوم بالكثير من أعماله ونشـاطاته بواسـطة البدن، وكما يؤثّر بالبـدن، فإنّه يتأثّر به أيضاً؟ والجواب يأتي ضمن العناوين الآتية.

الدّليل العقلي على تجرّد الرّوح:

١- إنّنا ندرك الـ (أنا) بالعلم الحضـوريّ، وأمّـا البدن فلا بدَّ من أن نتعرّف عليه بمعونة الحواسّ، إذن فالـ (أنا) -أي النفس والرّوح- غير البدن.

(١) راجع: المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، الشيخ اليزدي، الجزء الأوّل، الدرس الثالث عشر (بتصرّف).

٢- إنّ الـ (أنا) موجود يبقى محافظاً خلال عشرات السّنين على وصف الوحدة الشّخصـيّة الحقيقيّة، وندرك هذه الوحدة الشّخصـيّة بالعلم الحضوريّ الّـذي لا يقبل الخطأ ولا الشـكّ، وأمّا أجزاء البدن، فإنّهـا تتعرّض للتّغير والتّبديل، مرّات عديدة، ولا يوجد أيّ ملاك للوحدة الحقيقيّة بين أجزائه السّابقة واللّاحقة.

٣- إنّ الــ (أنا) موجود بسـيط لا يقبل التّجزئة والتّقسـيم، فـلا يمكن مثلاً تقسيمه إلى نصفين، بينما أعضاء البدن متعدّدة وقابلة للتّقسيم.

٤- الملاحـظ أنّ جميع الحالات النّفسـيّة كالإحسـاس والإرادة وغيرهما، لا تملك الخاصّة الأصليّة والرّئيسة للمادّيّات، أي: الامتداد والقابليّة للتّقسيم؛ لذلك لا يمكن اعتبار هذه الأمور غير المادّيّة من أعراض المادّة (البدن)، إذاً لا بدَّ من أن يكون موضوع هذه الأعراض جوهراً غير مادّي[1].

الدليل القرآني على تجرّد الرّوح:

يؤكّـد القرآن الكريـم على وجود الرّوح الإنسـانيّة، وهذه الحقيقـة القرآنيّة ممّا لا تقبل الشـكّ والتردُّد، فهي الرّوح الّتي تنسـب للّه تعالى، لشـدّة شـرفها وسـموّها[2] كما يقول القـرآن الكريم في كيفيّة خلق الإنسـان: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[3].

وليس المراد ـ والعياذ باللّه ـ انفصـال شـيء من ذات اللّه وانتقاله للإنسان. وفي الحديث عن خلق آدم عليه السلام يقول تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[4] إشـارة

(١) المنهـج الجديد في تعليم الفلسـفة، الشـيخ اليزدي، الجـزء الثاني، الدرس الرابـع والأربعون، والتاسـع والأربعون. غير مادّي:أي مجرّداً من المادّة ولذلك أطلق على الروح أنّها موجود مجرّد.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ١٣٤.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٩.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٧٢.

إلى خلق آدم عليه السلام، حيث خلق البدن من تراب، والروح نسبها تعالى إلى ذاته.

وكذلك يُستفاد من آيات أخرى أنّ الرّوح غير البدن وخواصّه وأعراضه، وأنّها تمتلك قابليّة البقاء بدون البدن، ومن هذه الآيات ما ينقله القرآن على لسان الكفّار: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾[1]. أي إذا تفرّقت أجزاء أبداننا في التّراب.

ويُجيبهم القرآن الكريم بقوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2].

إذن فمِلاك هويّة الإنسان وحقيقته هي روحه، الّتي يقبضها ملك الموت، والّتي تظلّ باقية، وليس أجزاء البدن الّتي تتلاشى وتتفرّق في الأرض.

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3].

وفي موت الظّالمين يقول تعالى: ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾[4].

ويفهم من هذه الآيات وآيات أخرى أنّ نفس كلّ امرئ تتحدّد بذلك الشّيء الّذي يقبضه ملك الموت أو الملائكة الموكّلون بقبض الأرواح، وأنّ انعدام البدن لا تأثير له على بقاء الرّوح ووحدة الإنسان الشّخصيّة.

(١) سورة السجدة، الآية: ١٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

ونتيجة ذلك كلّه أمور ثلاثة:

١- إنّه يوجد في الإنسان شيء يُدعى بالرّوح.

٢- الرّوح الإنسانيّة قابلة للبقاء والاستقلال عن البدن، وليست هي من قبيل الأعراض والصّور المادّيّة الّتي تنعدم حين يتلاشى المحلّ.

٣- إنّ هويّة كلّ امرئ مرتبطة بروحه، وبعبارة أخرى: إنّ حقيقة كلّ إنسان هي روحه، أمّا البدن فإنّه يقوم بدور الآلة بالنّسبة للرّوح وإلّا لما استطاعت أن تتخلّى عنه وتتعلّق به من جديد.

خلاصة الدرس

- إنّ ما يُشكِّل مِلاك وحدة الإنسان هي الروح المجرّدة الثابتة لا البدن المتغيِّر، وبإثبات الروح وتجرّدها وبقائها يُمكن البحث في المعاد؛ لأنّ الشخص المُعاد هو نفسه الذي كان في الدنيا باعتبار وحدة روحه وبقائها وتجرّدها وإن تلاشى بدنه.

- إنّ الروح موجود آخر غير البدن، وذلك يظهر من خلال:

١- أنّ مدركات البدن بحاجة إلى الحواس، بخلاف مدركات الروح لا تحتاج للحواس.

٢- المدركات الحسيّة ـ حصوليّة تتعرّض للخطأ، بخلاف مدركات الروح ـ الحضوريّة ـ فإنّها لا تتعرّض للخطأ.

ـ من الأدّلة العقليّة على تجرّد الروح.

١ ـ إنّ مدركات الروح ـ الأنا ـ حضوريّة، أمّا مدركات البدن حصوليّة تحتاج إلى الحواس.

٢ ـ إنّ الروح ـ الأنا ـ ثابت يُحافظ على وحدته الشخصـية ونُدرك ذلك بالعلم الحضوري، بخلاف البدن المتغيّر بالوجدان.

٣ ـ إنّ الـروح ـ الأنـا ـ موجـود بسـيط لا يقبـل التجزئـة والتقسـيم بخـلاف الأعضاء.

ـ كثيرة هي الأدّلة القرآنيّة على وجود الروح، منها:


﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[1].


﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2].

أسـئـلـة

١. تحدّث حول ملاك الوحدة في الإنسان.

٢. ما هي الأدلّة العقليّة على تجرّد الرّوح؟

٣. أذكر آيتين تتحدّثان عن الرّوح.

٤. ما هي النتيجة الّتي تستخلص من الأدلّة العقليّة والقرآنيّة على وجود الرّوح؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.



الدرس الثاني و الثلاثون

أدلّة المعاد



أهداف الدرس:

١. أن يستذكر الطالب برهان الحكمة على إثبات المعاد.

٢. أن يستذكر برهان العدالة على إثبات المعاد.







المرحلة الثالثة: إثبات المعاد

إنّ الاعتقاد بالمعاد، وإحياء النّاس جميعاً في عالم الآخرة، من أهمّ الأصول العقائديّة في جميع الأديان السّماويّة. وقد أكّد الأنبياء عليهم السلام كثيراً على هذا الأصل، وتحمّلوا الكثير من المتاعب والتّحديات في سبيل ترسيخ هذه العقيدة في النّفوس وتثبيتها. وقد اعتبر القرآن الكريم الاعتقاد بالمعاد عِدْلاً وقريناً للاعتقاد بالتّوحيد؛ ولذلك جمع وفي ما يتجاوز العشرين آية كلمات (اللّه) و(اليوم الآخر)، أحدهما في سياق الآخر، (إضافة إلى أنّ القرآن الكريم تحدّث عن شؤون الآخرة وأحوالها في أكثر من ألفي آية في سوره المختلفة).

وقد تمّ التّعرّض في بداية هذا الفصل لأهميّة البحث في معرفة العاقبة والمصير، واتّضح بأنّ التصوّر الصحيح للمعاد يبتني على الاعتراف بموجود آخر غير البدن به تتحقّق هويّة كلّ إنسان وحقيقته لا بالبدن المادّي. وهذا الموجود هو الروح، وأنّها ستبقى بعد الموت حتّى يمكن القول: بأنّ ذلك الشّخص الّذي مات في الدّنيا هو الّذي ردّت له الحياة في عالم الآخرة مرّة أخرى. وبعد ذلك جرى البحث في إثبات هذه الرّوح عن طريق العقل والوحي. كلّ ذلك، من أجل تمهيد الطّريق لدراسة البحوث الرّئيسة والأصليّة حول الحياة الأبديّة للإنسان،

والآن حان الوقت للبحث في إثبات هذا الأصل العقائديّ المهمّ.

وكما تمّ إثبات مسألة الرّوح من خلال طريقي العقل والنقل، فإنّ هذه المسألة أيضاً يمكن إثباتها من خلال هذين الطّريقين.

الأدلّة العقليّة:

١- برهان الحكمة

لقد خلق الله تعالى الكون وما فيه لكي تتوفّر الأرضيّة الملائمة لخلق الإنسان - وهو أكمل الموجودات - والإنسان مركّب من بدن فانٍ، ومن روح قابلة للبقاء، ويمكنه الحصول على الكمالات الأبديّة الخالدة المرتبطة بالرّوح، تلك الكمالات الّتي لا يمكن مقارنتها بالكمالات المادّيّة من حيث الدّرجة والقيمة الوجوديّة، بل تتفوّق عليها، فإذا انحصرت حياة الإنسان بهذه الحياة الدّنيويّة، فإنّ ذلك لا يتلائم مع الحكمة الإلهيّة بل ينافيها ويلزمه العبث، وخاصّة مع ملاحظة اقتران الحياة الدّنيويّة بالمتاعب والمشاقّ والمصاعب الكثيرة، ولا يمكن الحصول على لذّة غالباً بدون معاناة ومشقّة وتعب بحيث تَوَصّل الإنسان لهذه النتيجة: وهي أن الحصول على تلك اللّذّات الضئيلة لا يساوي شيئاً مقارنة مع المتاعب والمصاعب الّتي يتحمّلها الإنسان في سبيل الحصول عليها. إضافةً إلى أنّه لولا وجود يوم القيامة - أي المعاد - لكان وجود غريزة حبّ البقاء والخلود الّتي أودعها الخالق في فطرة الإنسان، عبثاً وبلا فائدة، إذ كيف يتلاءم إيجاد مثل هذه الغريزة مع القول بأنّ مصير الإنسان هو الفناء والتلاشي.

إذاً، فوجود هذا الميل الفطريّ للبقاء إنّما يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة فيما لو وجدت حياة أخرى غير هذه الحياة المحكوم عليها بالموت والفناء.

والحاصل، من خلال ضمّ إحدى هاتين المقدّمتين إلى الأخرى - أي: الحكمة الإلهيّة وإمكان الحياة الأبديّة للإنسـان - نتوصّل إلى هذه النتيجة وهي: أنّه لا بدَّ من وجود حياة أخرى للإنسـان وراء هذه الحياة الدّنيويّة المحدودة القصـيرة، حتّى لا يتنافى وجوده مع الحكمة الإلهيّة.

ويتّضح أيضاً أنّ الحياة الأبديّة للإنسان لا بدَّ لها من نظام آخر، مغاير لنظام الحيـاة الدّنيويّـة المسـتلزمة للمتاعب الكثيـرة، وإلّا فإنّ اسـتمرار هذه الحياة الدّنيويّـة بكلّ مسـتلزماتها ومتاعبهـا، حتّى لو كانت مؤبّـدة خالدة لا يتلاءم مع الحكمة الإلهيّة.

٢- برهان العدالة

إنّ النّاس أحرار في هذا العالم في اختيار وممارسة الأعمال الحسنة أو السيّئة. فمن جانب نلاحظ بعض الأفراد يقضون أعمارهم كلّها في عبادة اللّه وخدمة عباده ومن جانب آخر، نلاحظ بعض الأشرار والمجرمين يرتكبون - من أجل الوصول لنزواتهم وأطماعهم الشّيطانيّة - أبشع أنواع الظّلم وأفظع ألوان الذّنوب، بل إنّ الهدف من خلق الإنسان في هذا العالم، وتجهيزه بأنواع الميول المتضادّة، وبقوّة الإرادة والاختيار، وبأنواع المعارف العقليّة والنّقليّة وتوفير الأجواء والظّروف للأفعال المختلفة، وجعله على مفترق طريقين، الحقّ والباطل، والخير والشّر، الهدف من ذلك كلّه أن يكون معرضاً للاختبارات والابتلاءات العديدة، وليختار مسير تكامله بإرادته واختياره، حتّى يصل إلى نتائج أفعاله الاختياريّة، وثوابها أو عقابها. وفي الواقع إنّ الحياة الدّنيويّة بكاملها جعلت للإنسان دار ابتلاء واختبار، وبناء لهويّته الإنسانيّة، حتّى في أواخر لحظات حياته وعمره، لا يُعفى من هذا الامتحان والتّكليف وممارسة وظائفه المقدورة له.

ولكنّنا نرى أنّ كلاً من الأخيار والأشـرار لا يصـلـون في هذه الدّنيا إلى الثّواب والعقاب الملائم لأعمالهم، بل إنّنا نرى الكثير من الأشرار والمجرمين يحصلون أكثر من غيرهم على النّعم والملذّات. إضــافة إلى أنّ الحياة الدّنيويّة لا تستوعب الثّواب أو العقاب على الكثير من الأعمال والتّصرفات. فمثلاً: ذلك المجرم الّذي قتل آلاف الأبرياء لا يمكن الاقتصاص منه في هذه الدّنيا إلّا مرّة واحدة وبطبيعة الحال سـوف تبقى الكثير من جرائمه بدون عقاب، مع أن مقتضــى العدل الإلهيّ أن يتحمّل حتّى من ارتكب أقلّ الأعمال الحسنة أو السيّئة نتائجها وجزائها.

إذاً فكمــا أنّ هــذا العالــم دار اختبار وتكليــف، فلا بدَّ من وجــود عالم آخر، يُعتبر دار ثواب وعقاب، وظهور نتائج الأعمال فيه، ليصــل كلّ فرد إلى ما يتلائم وأعماله، لتتجسّد العدالة الإلهيّة عمليّاً بذلك![1].

ومن خلال ذلك يتّضــح أيضــاً بأنّ عالــم الآخرة ليس عالم اختيــار الطّريق أو ممارســة التّكاليف، بل هو عالم حصــد النتائج كما ورد في الحديث: «**الدّنيا مزرعة الآخرة**».



خلاصة الدرس

- من الأدلّة العقلية على المعاد:

١. برهان الحكمة

إنّ لــكلِّ مخلــوق كمالــه اللائق به - حســب حكمة اللّه تعالى - فكمــال الحيوان والنبــات غيره في الإنســان. فالنبات مثلاً ليس لها معــاد لأنّها أخذت كمالها في الدنيــا، بخلاف الإنســان فإنّ كماله التّام لا يظهر في الدنيــا، لأنّها مكان نقص

(١) مـع ملاحظــة أن العدالة في الواقع من مصــاديق الحكمة، فيمكــن أن نعتبر هذا البرهان من أنواع الإســتدلال عن طريق الحكمة الإلهية.

ومشـــاق وأقصـــاها كمـــالات مادّيّة، وفي المعاد تصـــل روح الإنســـان الباقية إلى كمالها واستعداداتها؛ فلو كان هناك فناء لكان خلق الروح عبثاً.

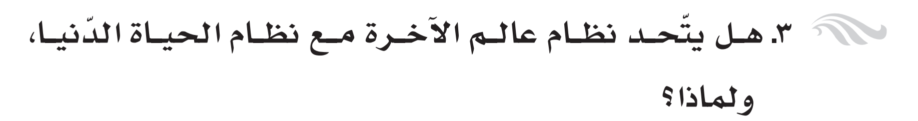
٢. برهان العدالة:

إذا ثبـــت أنّ خلق الإنســـان ليس عبثـــاً ولعباً بل هو في مـــكان اختبار وامتحان إن أحســـن فله ثوابه وإن أســـاء فله عقابه؛ إذ إنّ العدل الإلهي يوجب أن لا يعامل المحسنون والمسيئون في مقام الجزاء على شكل واحد، ومن جانب آخر لا يُمكن تحقّق العدالة الكاملة بالنسبة إلى الثواب والعقاب في الحياة الدنيويّة، فكم من محســـن لم يُلاق ثواباً في هذه الدنيا بل بعض المحسنين عوقبوا من مجتمعهم، وكم من ظالم ومسيء لم يُلاق عقاباً بل لاقى تكريماً، إذاً: لا بدّ من محكمة إلهيّة عادلة في المعاد تُحقّق العدالة.




١. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال الحكمة الإلهيّة؟


٢. كيف يمكن إثبات المعاد من خلال العدالة الإلهيّة؟


٣. هـل يتّحـد نظـام عالـم الآخـرة مـع نظـام الحيـاة الدّنيـا، ولماذا؟





الدرس الثالث والثلاثون

شبهات وردود



أهداف الدرس:

١. أن يجيب الطالب على شبهة إعادة المعدوم.
٢. أن يجيب على شبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة.
٣. أن يجيب على شبهة تحلّل الأبدان في التراب.







المرحلة الرابعة: الردّ على شبهات المنكرين للمعاد

هناك جملة من الشبهات الّتي تمسّك بها المنكرون للمعاد قديماً وحديثاً، وقد أُجيب عليها في علم الكلام، ومعظم الإجابات والردود استفيدت من القرآن الكريم الّذي تصدّى لإثبات المعاد والردّ على المنكرين له، وسيتّم في هذا الدرس عرض أهمّ الشّبهات مع الردّ عليها.

١ ـ شبهة إعادة المعدوم

أشرنا سابقاً إلى أنّ القرآن الكريم أجاب أولئك الّذين كانوا يقولون: كيف يحيى الإنسان من جديد بعد أن يضمحلّ ويتلاشى بدنه؟ بما مفاده: أنّ هويّتكم قائمة بروحكم، لا بأعضاء بدنكم الّذي يتفرّق في الأرض. قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[١].

ويُمكن أن يكون الدافع لإنكار الكفّار المعاد هو تلك الشبهة الّتي يعبّر عنها في الفلسفة بـ (استحالة إعادة المعدوم)، أي: إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ الإنسان

(١) سورة السجدة: الآيتان١٠-١١.

هـو هـذا البدن المادّيّ الّذي يتلاشـى وينعدم بالمـوت، وإذا رُدّت له الحياة من جديد بعد الموت، فهو إنسـان آخر، شبيه بالأوّل إذ إن إعادة المعدوم أمر محال وممتنع.

ويتّضـح الجواب عن هذه الشـبهة من القرآن الكريم، وأنّ الهوية الشّخصيّة لـكلّ إنسـان وحقيقته متمثّلة بروحـه، وبعبارة أخرى: إنّ المعـاد ليس من إعادة (المعـدوم)، بـل عودة (الـروح الموجـودة) إلى البـدن. فنفس الدّليـل العقلي والقرآني المثبت لوجود الروح يُشكِّل ردّاً على هذه الشبهة.

٢ ـ شبهة عدم قابليّة البدن للحياة الجديدة

الشّـبهة السّـابقة كانت مرتبطة بالإمـكان الذّاتيّ للمعاد، أمّا هذه الشّـبهة فهـي ناظرة لإمكانه الوقوعيّ، بمعنى: أنّ عودة الرّوح للبدن وإن لم تكن محالاً عقـلاً، ولا يلـزم التناقـض من افتراضـها، ولكن وقـوع العودة فعـلاً وخارجاً مشـروط بقابليّة البدن، ونحن نرى أنّ حصـول الحياة منوط بشروط وأسباب خاصّـة، لا بـدَّ مـن توفّرها تدريجيّـاً، فمثلاً: لا بدَّ مـن أن تسـتقرّ النّطفة في الرّحم، ولا بدَّ أيضـاً من توفّر شروط مناسـبة لنموّها وتكاملها، لتصبح جنيناً متكامـلاً بالتّدريج، ولتكون بصـورة إنسـان، ولكنّ البدن الّذي يتلاشـى يفقد قابليّته واسـتعداده للحياة.

والجواب: إنّ النّظام المشهود في عالم الدّنيا، ليس هو النّظام الوحيد، والشّروط والأسباب الّتي نتعرّف عليها من خلال التّجربة ليست أسباباً وعللاً منحصرة، والشّاهد على ذلك وقوع بعض الظّواهر والحوادث الحياتيّة الخارقة للعادة في هذا العالم نفسه، أمثال إحياء بعض الحيوانات أو النّاس، بغير الطريق المعهودة ومنها بعض الظّواهر الخارقة للعادة الّتي تحدّث عنها في القرآن الكريم، كناقة صالح، وطير النّبيّ إبراهيم عليه السلام وغير ذلك.

٣ـ الشّبهة في مجال قدرة الفاعل

يشترط في وقوع أيّة ظاهرة من الظّواهر وتحقّقها: قدرة الفاعل على ذلك، إضافة للإمكان الذّاتي وقابليّة القابل، فمن أين نعرف أنّ اللّه تعالى يملك القدرة على إحياء الموتى؟!

وهذه الشّبهة، إنّما تطرح من قبل أولئك الّذين يجهلون قدرة اللّه اللّامتناهية.

والجواب: إنّ القدرة الإلهيّة ليس لها حدود، بل تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، كما هو الملاحظ بأنّه تعالى خلق هذا الكون الواسع بكل ما يتمتّع به من عظمة مثيرة للدّهشة والإعجاب: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

إضافة إلى أنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل، ولا يحتاج إلى قدرة أكبر، بل هو أهون وأسهل، لأنّ الإيجاد من العدم أصعب من الإعادة بعد الموت: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[٢]. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٣].

٤ـ الشّبهة في مجال علم الفاعل

إذا أراد اللّه إحياء النّاس، ومجازاة أعمالهم ثواباً أو عقاباً فيلزم من جانب أن يميّز بين الأبدان الّتي لا تعدّ ولا تحصى، ليعيد كلّ روح إلى بدنها، ومن جانب آخر، لا بدَّ من أن يتذكّر جميع الأعمال الحسنة والسّيئة، ليجازي كلًّا منها بما

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣، وانظر السور التالية: يس، الآية: ٨١، الإسراء، الآية: ٩٩، الصافات، الآية: ١١، النازعات، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥١ وانظر السور التالية: العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠، ق، الآية: ١٥، الواقعة، الآية: ٦٢، يس، الآية: ٨٠، الحج، الآية: ٥، الطارق، الآية: ٨.

(٣) سورة الروم، الآية:٢٧.

تستحقّه من الثّواب أو العقاب، ولكن كيف يمكن التمييز والتّعرف على الأبدان الّتي تحوّلت إلى تراب، واختلطت ذراتها وأجزاؤها؟ وكيف يمكنه أن يضبط ويتذكَّر أعمال البشر كلّها خلال الآلاف بل الملايين من السّنين ليحاسبها؟

وهذه الشّبهة طرحها أولئك الّذين يجهلون العلم الإلهيّ غير المتناهي، حيث قاسوا العلم الإلهيّ بعلومهم النّاقصة المحدودة.

والجواب: إنّ العلم الإلهيّ ليس له حدود، وله إحاطة بكلّ شيء، ولا ينسى اللّه تعالى أيّ شيء.

وينقل القرآن الكريم عن فرعون قوله لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾؟ فقال موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[(١)].

وقد ذكر تعالى في آية أخرى الجواب عن الشبهتين الأخيرتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[(٢)].



خلاصة الدرس

. من شبهات منكري المعاد

١ - شبهة إعادة المعدوم، ولكن يُردّ بأنّ الذي يعود هو الروح الباقية الّتي أثبتنا بقاءها وأنّها تُمثّل حقيقة الإنسان والبدن واسطة لإيصال الثواب والعقاب.

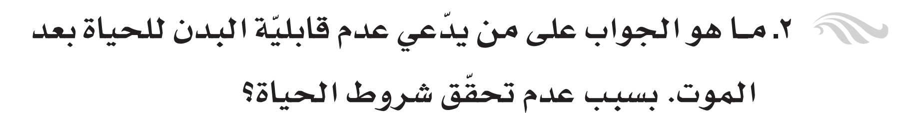
٢ - شبهة عدم قابلية البدن للحياة الجديدة، ولكن يُردّ بأنّ النظام المشهود في الدنيا ليس هو النظام الوحيد، والأسباب والشروط الّتي نتعرّف عليها في الدنيا ليست منحصرة.

(١) سورة طه، الآيتان: ٥١-٥٢، وتراجع أيضاً: سورة ق، الآيات ٢-٤.
(٢) سورة يس، الآية: ٧٩.

فالبدن صحيح أنّه في الدنيا يحتاج إلى شروط خاصّة وتدرّج من كونه نطفة في الرحم إلى آخر مراحله؛ إلاّ أنّ هذه الشروط ليست منحصرة كما نرى في الظواهر الخارقة للعادة.

٣ ـ شبهة استبعاد قدرة الخالق، ولكن يُردّ أنّ قدرة اللّه تعالى غير محدودة، فهي تتعلّق بكلّ شيء ممكن الوقوع، ثمّ إنّ الخلق الجديد ليس أكثر صعوبة من الخلق الأوّل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

٤ ـ شبهة استبعاد علم اللّه تعالى بكلّ الناس الأموات والتمييز بينهم ومعرفة محسنهم ومسيئهم، ولكن يُردّ أنّ علم اللّه سبحانه ليس له حدود ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.



أسئلة

١. كيف نجيب من يدّعي أنّ إعادة الإنسان أمر مستحيل بسبب استحالة إعادة المعدوم؟

٢. ما هو الجواب على من يدّعي عدم قابليّة البدن للحياة بعد الموت. بسبب عدم تحقّق شروط الحياة؟

٣. أذكر بعض الآيات الدّالة على قدرته تعالى على إعادة الحياة بعد الموت.





الدرس الرابع والثلاثون

الشفاعة يوم القيامة(١)



أهداف الدرس:

١. أن يعدّد الطالب أنواع الشفاعة.
٢. أن يتعرّف إلى معنى الشفاعة.
٣. أن يحدّد شروط الشفاعة.







تمهيد:

لقد أكرم اللّه تعالى نبيّه الأكرم ﷺ بأن تفضّل عليه بمقام الشّفاعة، فجعله واسطة لوصول فيض رحمته تعالى لعباده المذنبين في الدّنيا ويوم القيامة.

أقسام الشفاعة

الشّفاعة نوعان: تكوينيّة وتشريعيّة.

١. الشّفاعة التكوينيّة: والمراد منها «**توسّط العلل والأسباب بينه تعالى وبين المسبّبات في الواقع الخارجي وتنظيم وجودها حدوثاً وبقاء**»، فالشّفاعة في نظام التكوين هي انضمام السبب الطبيعيّ إلى الإرادة الإلهيّة ليتحقّق المسبّب بإذن اللّه تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[1]، فهذه الآية وغيرها تدلّ على أنّه لا وجود لشفاعة ولا لتدبير في عالم التّكوين إلّا من بعد إذنه تعالى.

٢. الشّفاعة التّشريعيّة: والمراد منها «**العفو عن المسيء وإسقاط العقاب**

(١) سورة يونس، الآية: ٣.

عنه أو رفع الدرجات له بتوسّط غير الله تعالى ولكن بإذنه تعالى»، وهذه الشّفاعة قد تكون في الّدنيا، كما هو الحال في (الحسنات، والتّوبة، والملائكة، والقرآن والنّبيّ ﷺ فإنّها جميعاً وسائط في رفع العقاب عن المذنب، وقد تحقّقت هذه الشّفاعة في الدّنيا حيث قال تعالى بما يتعلّق بشفاعة النّبيّ والاستغفار في الدّنيا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]،﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

وهذا القسم من الشّفاعة أيضاً غير مستقلّ في التأثير بل هي شفاعة بإذن اللّه تعالى، وقد تكون هذه الشّفاعة يوم القيامة وهي المعروفة بالشّفاعة الكبرى، وإليها ينصرف إطلاق لفظ الشّفاعة وهي محلّ الكلام في المقام دون غيرها من الأقسام.

وهذه الشّفاعة هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4].

فقد فسّرت الرّوايات الآيتين العطاء المرضي والمقام المحمود بالشّفاعة يوم القيامة، وقد تواترت الرّوايات عن الفريقين في ثبوت الشّفاعة للنّبيّ ﷺ، حتَّى عُدّ من الضّروريّات ففي الحديث المشهور: «**ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**»[5].

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة الضحى، الآية: ٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٥) راجع: تفسير الرازي، ج٣، ص٦٣، وتفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ٢٠٢.

تعريف الشّفاعة المصطلحة:

قبل الكلام عن الشفاعة المصطلحة تجدد الإشارة إلى المعنى اللغويّ، وهي مأخوذة من (شفع)وهو خلاف الوتر أي الزوج تقول: كان وتراً فشفعته[١] أي ضممت إلى الأوّل شيئاً آخر فأصبحا شفعاً.

وأمّا الشّفاعة المصطلحة فهي عبارة عن توسّط النّبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم ممّن ثبت له مقام الشّفاعة بين المؤمنين المذنبين وبين اللّه تعالى، للعفو والصّفح عن ذنوبهم في الآخرة، فيرفع اللّه عنهم العذاب أو يرفع درجة ثوابهم بسبب دعاء الشّفيع وطلبه، فيضمّ طلب الشّفيع إلى إيمان المؤمن ليتحقّق الغرض والّذي لا يتحقّق إلّا بهما معاً. وبهذا تكون الشفاعة المصطلحة أحد مصاديق المعنى اللغويّ.

وبعبارة علميّة: إنّ الشّفاعة من متمّمات الأسباب فهي جزء المقتضي، وليست الشّفاعة علّة تامّة لأنّها لا تكون إلّا فيما إذا كان المشفوع له قابلاً في الجملة لرفع العذاب عنه، فلا محلّ للشّفاعة فيما لا قابليّة له أصلاً، فالشّفاعة من الأسباب والعلل المتمّمة للتّأثير، وليست مستقلّة فيه (فحالها حال الجزء الأخير من العلّة)، وهذا الكلام فيه اجمال يحتاج إلى توضيح وذلك ضمن عدّة نقاط:

أ- مورد الشّفاعة

إنّ الشّفاعة تختصّ بالذّنوب الباقية إلى يوم القيامة أي: الّتي لم تغفر ولم يمحى أثرها في الدّنيا من خلال الحسنات والتّوبة مثلاً، وفي الحقيقة لو تمّت المغفرة قبل الموت فإنّه لا يبقى للشّفاعة موضوع من الأساس - من هذه الجهة - فتكون سالبة بانتفاء الموضوع، نعم يبقى محتاجاً لها لرفع درجة الثواب.

(١) لسان العرب مادة (شفع).

ب- شروط الشّفاعة

١ ـ أن يكون المشفوع له مؤمناً إلّا أنّه ارتكب بعض الذّنوب، وهذا في حقيقته هو المقتضي لتحقّق الشّفاعة، وبه تحصل القابليّة للشّفاعة. وأمّا المنكر للّه والمشرك به فليس محلّاً للشّفاعة، وذلك لعدم أهليّته لها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[١].

٢ ـ يُعتبر إذن اللّه تعالى في مورد الشّفاعة، فهي تحتاج إلى إذاً خاصّ من اللّه تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾[٢].

وبدون إذنه تعالى لا يبقى مجال للشّفاعة ولذلك حصر اللّه تعالى الشّفاعة بذاته كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾[٣].

فإنّ الشّفاعة المستقلّة هي للّه تعالى، حالها حال الخالقيّة والرّبوبيّة، وأمّا شفاعة غيره تعالى فهي مستمدّة ومأذونة منه تعالى، ومن خلال هذا الشّرط يتّضح المراد من بعض الآيات النّافية للشّفاعة مطلقاً كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾[٤].

فإنّها تنفي الشّفاعة المستقلّة مطلقاً عن غيره تعالى خاصّة في مقابل من يعتقد بأنّ الأصنام ستشفع له.

وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

﴿ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

فالآيات تفيد بأنّ سبب فقدانهم لأهليّة كونهم ممّن يشفع لهم وعدم استحقاقهم لها هو عدم الإيمان بسبب الخوض في الملاهي وزخارف الدّنيا، بحيث حرفتهم عن الإقبال على اللّه تعالى، وكذلك التّكذيب بيوم الدّين المخرج من الإيمان، ونتيجة ما ذكر أنّ من حافظ على إيمانه وأوجد المقتضي للشّفاعة يكون إيمانه هو السّبب لكونه مرضيّاً، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2]، وأمّا الذّنوب والمعاصي فتشكّل مانعاً من دخول الجنّة، فتصل النوبة إلى الشّفاعة فتلغي أثر الذّنوب فيرتفع المانع ويتحقّق الغرض منها وهو دخول الجنّة والخلاص من العقاب.

خلاصة الدرس

- الشفاعة نوعان، تكوينيّة وتشريعيّة.

والمراد بالأولى: توسّط العلل والأسباب بين اللّه سبحانه وبين المسبَّبات.

والمراد بالثانية: رفع درجة العبد أو إسقاط العقاب عنه بتوسّط شفيع غير اللّه تعالى ولكن بإذنه.

وهي على نحوين:

١. **في الدنيا:** كما في وجود النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنّ هذا الوجود واسطة في رفع العقاب في الدنيا.

٢. **في الآخرة:** وهي الشفاعة المصطلحة وهي تعني: توسّط النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٢-٤٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

بيته عليهم السلام وغيرهم، ممّن ثبت له مقام الشـفاعة، بين المؤمنين المذنبين وبين اللّه تعالى للعفو عنهم أو رفع درجتهم، وكلّ ذلك بإذن اللّه سبحانه.

- مورد الشفاعة الذنوب الباقية إلى يوم القيامة، أي الّتي لم تُغفر في الدنيا.

- من شروط الشفاعة:

١ ـ أن يكون المشفوع له مؤمناً؛ فلا شفاعة للكافر أو المشرك.

٢ ـ يُعتبر إذن اللّه تعالى في الشفاعة.



١. عرّف الشّفاعة التكوينيّة والتشريعيّة.

٢. ما هي الشّفاعة المصطلحة؟

٣. تحدّث باختصار عن شروط الشّفاعة.



الدرس الخامس والثلاثون

الشفاعة يوم القيامة (٢)



أهداف الدرس:

١. أن يتعرّف الطالب على الشفعاء يوم القيامة.

٢. أن يعدّد بعض الذنوب المانعة من الشفاعة.



الشّفعاء

تقدّم القول بأنّ الشّـفاعة بالأصالة والاستقلال هي لله تعالى ولغيره عزَّ وجلَّ بإذنه ورضاه، وقد أشار القرآن والسنّة إلى عدد من الشّفعاء المأذونين.

منهم: النّبيّ الأكرم ﷺ وقد تقدّمت الإشـارة للآيات في سـورتي الضُّـحى والإسـراء في المقدّمة. وفي تفسير العياشي عن أحدهما عليه السلام في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١]،

قال عليه السلام: «**الشّفاعة**»[٢].

وأخرج مسـلم عن أنس عن رسـول الله ﷺ أنّه قال: «**لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها في أمّته، وخبّأتُ دعوتي شفاعةً لأمّتي يوم القيامة**»[٣].

ومنهم: سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ويمكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٤]، ولا شكّ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٧، ص ١٠٠.

(٣) صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٢.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

في أنّ الأنبياء عليهم السلام يشهدون بالحقّ، وهي دليل عامّ يشملهم وغيرهم عليهم السلام.

ومنهم: السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والدليل قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في سبب تسميتها حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد فطمها الله وذريّتها عن النّار يوم القيامة**»، وفي رواية أخرى: «**فطمها ومحبّيها عن النّار**»(١).

ومنهم: الأئمّة عليهم السلام ورد في الرّواية عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه يوم القيامة يأتي قوم يمشي النور بين أيديهم، فيُسألون من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويّون، نحن ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون فيجيئهم النّداء: «**اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون**»(٢).

ومنهم: العلماء والشّهداء والمؤمنون والجيران والسِّقط، ففي الحديث: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تستخفّوا بفقراء شيعة عليّ عليه السلام وعترته من بعده، فإنّ الرّجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر**»(٣).

وفي الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاثة يشفعون إلى الله عزَّ وجلَّ فيشفّعون: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشّهداء**»(٤).

بيان:

إنّ الشّفيع المطلق بعد الباري عزَّ وجلَّ هو النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولذا صار شهيداً على الجميع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾(٥).

(١) ينابيع المودّة، القندوزي، ج ٢، ص ٤٢٨.
(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٨، ص٣٦.
(٣) م.ن، ج٧٥، ص٥٩.
(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٥٦، ح١٩٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩.

فالشّفاعة تنزل على نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومنه إلى غيره، وكذلك لكلّ طائفة من الشّفعاء مستوىً ودرجة تناسب مقدار كماله وقربه من الله تعالى.

ما هي الغاية والحكمة من إعطائهم مقام الشّفاعة؟

والجواب: هو أنّه بعدما أُثبتت الشّفاعة بالدّليل، لزم الاعتقاد بها، بغضّ النظر عن إدراك الغاية ومعرفة الحكمة.

مع أنّه يمكن أن تكون الحكمة منها هو تكريمهم عليهم السلام، وإظهار فضلهم وبيان مرتبتهم.

المرحلة الرابعة: الذّنوب المانعة من الشّفاعة:

إنّ الشّفاعة تنال كبائر الذنوب إلّا أنّ هناك بعض الذّنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة.

منها: الاستخفاف بالصلاة ففي الحديث عن أبي جعفر عليه السلام: «**قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته**»[1]، وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصّلاة**»[2].

ومنها: سوء الخلق، فعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إيّاكم وسوء الخلق، فإنّ سوء الخلق في النّار لا محالة**»[3].

ومنها: الإسراع والمبادرة إلى ارتكاب المعاصي اتّكالاً على الشّفاعة كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته لأحبّائه «**من سرّه أن ينفعه شفاعة الشّافعين فليطلب إلى الله أن يرضى عنه**»[4]، أي: ينبغي أن يكون الإنسان مراقباً لنفسه

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٤، ص ٢٢، ح ١٠.
(٢) م . ن، باب تحريم إضاعة الصلاة ح ٦.
(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٣٨٦.
(٤) قرب الإسناد، الحميري القمّيّ، ص ٦٤، ح ٢٠٣.

ولا يغفل عنها اعتماداً على الشّفاعة فقد لا ينالها إذا ارتكب ما يسخط اللّه.

ومنها: إنكار الشـفاعة ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**من كذّب بشفاعة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لم تنله**»[1].

ومنها: النّاصـب العداء لأهل البيت عليهم السلام ورد عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**المؤمـن ليشفـع لحميمـه إلّا أن يكـون ناصباً، ولو أنّ ناصبـاً شفع له كلّ نبيّ مرسل وملك مقرّب ما شفّعوا**»[2].

ورغم هذا البيان المطوّل للشّفاعة، إلّا أنّه بقي الكثير ممّا لا يسع المجال لذكره.

وقد بان أنّ الشفاعة ليسـت من نوع الشّفاعة السيّئة والواسطة الّتي يرفضها العرف والعقلاء، بل هذه الشّـفاعة صـحيحة ومقبولة عند العقلاء؛ لأنّها ليست عبثـاً ولا جزافاً، بل هي خاضـعة لقوانين وضـوابط بحيث لا تميّز بين شـخص وآخر، إلّا إذا كان محقّقاً لأهليّة واستحقاق الشفاعة.

كما أنّه لا يلزم من هكذا شفاعة الجرأة على ارتكاب المعاصي، بل هي دعوة للإنسـان لتحقيق مقتضـاها ورفع موانعها، فحالها حال التّوبـة، فكما أنّ التّوبة المجمع على ثبوتها لا تستدعي الجرأة على اللّه فكذلك الشفاعة، وكما أنّ التّوبة فتحـت أبـواب الأمل والرّجاء وشـكّلت دافعاً لعـدم اليأس مـن روح اللّه فكذلك الشّـفاعة. ولا فرق بينهمـا إلّا أنّ التّوبة محلّها الحياة الدنيا، والشّـفاعة محلّها الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين، رزقنا اللّه وجميع المؤمنين شـفاعة سيّد المرسلين وبضعته وأهل بيته الميامين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٧١، ح ٢٩٢.

(٢) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٨، ص٤١.

خلاصة الدرس

مـن الشـفعاء يوم القيامـة النبيّ ﷺ وسـائر الأنبيـاء عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ، والعلماء والشهداء والمؤمنون.

- الشفاعة تنال كبائر الذنوب، إلاّ أنّ هناك بعض الذنوب لا تنالها، منها: الاستخفاف بالصلاة وسوء الخُلقُ، والاستهانة بالذنوب اتّكالاً على الشفاعة، وإنكار الشفاعة، ونصب العداء لأهل البيت عليهم السلام .

- الشـفاعة كمـا التوبة لا تعني الجرأة على المعاصـي، فـربّ عاصٍ لا تقبل منه توبة ولا شـفاعة، فعلى الإنسـان أن لا يترجّح رجاؤه على خوفه، وعليه بالعمل والجدّ ليُحقِّق أسـباب الشفاعة وشرائطها ورفع الموانع الّتي تحول دون حصوله على الشفاعة.

أسـئـلـة

١. عدِّد بعضاً من الشفعاء يوم القيامة.



٢. ما هي الذنوب الّتي لا تنالها الشّفاعة؟

٣. هل الشّفاعة تعني الواسطة بالمعنى السيّئ، ولماذا؟

